
الطبعة
السادسة
مذبحة القلعة
وغياهب غوانتنامو
أسرار شاهد عيان ومعتقل سابق في غوانتنامو
وليد محمد حاج
بيت المقدس



1441 هـ 2019 م

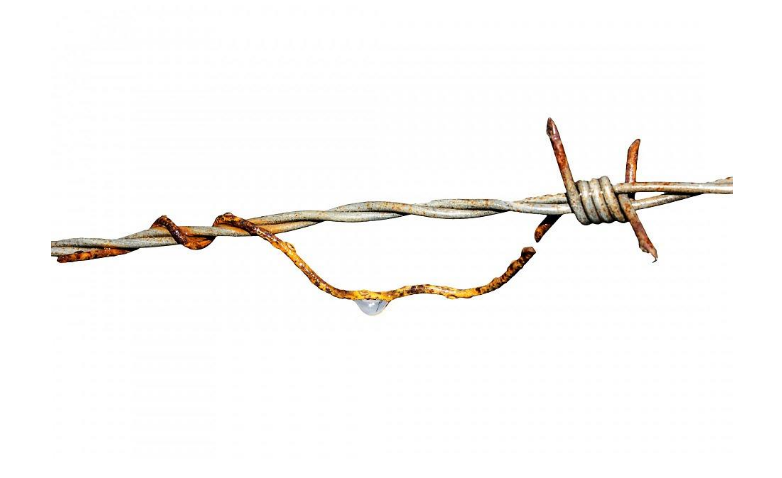
Baytalmaqdiss44@gmail.com

بيت المقدس

مجزرة القلعة
وغياهب غوانتنامو

يرويها شاهد على العصر ومعتقل سابق في غوانتنامو

الأخ/ وليد محمد حاج (حفظه الله)



بيت المقدس

بسم الله الرحمن الرحيم

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ ﴾ إبراهيم: ٤٢ - ٤٣

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ الأنفال: ٦٠

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾ ﴾ البقرة: ١٩٣

قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ ﴾ آل عمران: ١٩٦ - ١٩٧

الإهداء

أهدي هذا الكتاب ..

إلى والـديّ العزيـزين .. اللـذين ربيـاني صـغيرا وصـبرا علـى غيـابي الطويـل وأنا بعيـد عنهما في سجون الظلام..

إلى مـن نعمـت بصـحبتهم في خطـوط القتـال في خواجـة غـار وقلعـة الجنـك في شمـال أفغانستان..

أولئك الذين قدموا أرواحهم فداء لنصرة دين الحق ..

إلى القابعين خلف القضبان في غوانتنامو ينتظرون عدالة السماء..

إلى أولئـك الـذين أفـرج عـنهم ومـا زالـوا يحملـون بـين جـوانحهم أبشـع صـور التعـذيب الذي عرفته الإنسانية في حاضرها..

إلى القابضـين علـى الـزناد لإعـلاء كلمـة الله في أفغانسـتان والشيشـان وفلسـطين والعراق وكشمير والصومال..

وليد مُحَمَّد حاج

ولئن عرف التاريخ أوسًا وخزرجا
فلله أوس قادمـــــــون وخزرجَ

فلست أبالي حين أقتل مسلـــــــــمًا
على أيّ جنبٍ كان في الله مصرعي
ولست بمبدٍ للعدو تخشّـــــــــــعًا
ولا جزِعـــــــــًا إنّي إلى الله مَرجعي
وذلك في ذات الإلـــــــــــه وإن يشأ
يبـــــــــــارك على أوصالِ شلو ممزّع

مقدمة الناشر

بأسلوب سلس عفوي، يؤرّخ ويوثّق الأخ وليد الحاج – حفظه الله– تفاصيل حقبة مصيرية من تاريخ هذه الأمة المعاصر، يرويها لنا بصفته الشاهد والمعاين، يتحرى فيها دقة الوصف والنقل، تنبض عباراته بمعاني الإيمان واليقين وأخوة الدين، فكانت فصول روايته تنتقل بالقارئ إلى موقع الحدث وتصوّره بعدسة الحروف، فيعايش أحاسيس الراوي ويبصر بوضوح مشهدًا من مشاهد الصراع التي تتلخص في جملة واحدة: "إنها الحرب على الإسلام".

ثم إنها لأمانة عظيمة حملها الشاهد وليد على عاتقه أن بلغنا ما عايشه من دمار وقتل وظلم وعدوان، وإنه لعطاء عظيم أيضا، أن ينقل لنا ما استقر في قلبه وعاينته عيناه من عزة للمسلمين ومعية من الله سبحانه وكرامات منّ بها على عباده المرابطين في ساحات المواجهة بين الحق والباطل.

هي بطولات أكرم الله عبده وليد بأن يكون أحد أبطالها، ولكن فصولها لم تنته، ولا تزال رحى الحرب دائرة في أفغانستان وكوبا وغير مكان ولا تزال معها انتصارات المسلمين تتوالى، مما أذهل أمريكا وأعجزها رغم كل ما ضخته من ترليونات ومن أرواح ومن استراتيجيات لحسم الحرب.

علينا أن نقف وقفة تقدير وإجلال للأخ وليد، ممتنين له على كل لحظة خط فيها حقائق غابت عنا – بألم –، خطها بشهامة وعزة، بمحبة للدين ونصرة، ثم وقفة تقدير أخرى، لكل من شارك من رفقائه في حفر تلك الملاحم التي أصبحت جزءًا من التاريخ الماجد لأمة الإسلام، تقديرًا لكل ما بذلوه من تضحية وفداء وكرامة، لأجل أن تعيش هذه الأمة حرة مصانة.

ولا شك أن هذا التوثيق لجزء من التاريخ شهده الأخ وليد بمحنة الابتلاء ومنحة الانتصار، يعد إنجازًا في مقاييس العظماء، فاللهم تقبل من عبدك وليد وانفع بجهده وجهاده وصبره ومصابرته واجعل كتابه مصدر إلهام واعتزاز لأبناء هذه الأمة، ووقود مسيرة ومزيد فداء حتى نشهد بناء قبة النصر وانهيار هبل العصر، أمريكا الكافرة.

نقدم في هذه الطبعة التي تعد السادسة لهذا الكتاب الزاخر، بعنوان "مجزرة القلعة وغياهب غوانتنامو" نسخة بحلة جديدة من بيت المقدس بعد أن قمنا بتدقيقه وإكمال الناقص منه في الطبعات السابقة، ليخرج للنور من جديد ويبقى محطة تستوجب الوقوف والتأمل.

وإننا في هذا المقام نشد على يد كل من عايش أحداث الحرب على الإسلام أن يدوّنها بقلمه قبل أن تتسابق على تحريف روعة بطولاتها الأقلام المستأجرة والمؤسسات المخصصة لخداع الجماهير وتزوير التاريخ والحقائق.

وهكذا يمضي الرجال ويبقى الأثر.. فنعم الأثر أثرك يا وليد، ونعم الرجل، أنت وإخوانك كما نحسبكم.

اللهم ثبت إخواننا في سجون الكافرين وأفرغ عليهم صبرًا وسكينة، اللهم فكّ أسرهم عاجلا غير آجل، وأرنا في أعدائهم وأعداء الدين، عجائب قدرتك، اللهم انصر المسلمين في كل مكان ومكّن لهم دينهم الذي ارتضيت لهم.

بيت المقدس

الفهرس

الفصل الأول

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إله الأولين والآخرين وقيوم السماوات والأرض، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وخليله وأمينه على وحيه، أرسله إلى الناس كافة بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين ساروا على طريقته في الدعوة إلى سبيله، وصبروا على ذلك وجاهدوا فيه حتى أظهر الله بهم دينه، وأعلى كلمته ولو كره المشركون، وسلم تسليمًا كثيرًا أما بعد:

لا شك أن المواقف والتجارب التي تمر بالإنسان تدفعه بأن يوثّقها وهي من الأمور المهمة التي لابد من تسجيلها وتوثيقها لتتناقلها الأجيال جيلًا بعد جيل وتبقى بالتالي جزءًا مهمًا من حلقات التاريخ، وعليه فإني أسجل لك أيها القارئ هذه المواقف والتجارب التي عشتها عن كثب لأكشف لك الستار عن الجوانب المظلمه من سياسة أمريكا في العالم الإسلامي التي سببها الكراهية ومنطلقها هو حقد الكفر على الإسلام.

ومن الطبيعي أن يكون لكل فعل رد فعل وأن تنشأ مقاومة مسلحة في العالم الإسلامي للتحرر من الاحتلال المدجّج بأحدث أنواع الأسلحة، ومن الطبيعي أيضا أن يكون العداء عامًا وثابتًا وأحسب أن السؤال الكبير المتداول بين أوساط المسئولين الأمريكيين "لماذا يكرهوننا؟" يأتي لكونهم

تجاهلوا كل التقارير التي حذرتهم من مغبة الظلم واستغلال الشعوب المسلمة ونهب ثروات بلدانها وتكريس الفقر والبؤس في أرجائها، وفي أكبر عملية تزييف وتزوير في التاريخ، عمد الإعلام الغربي والأمريكي على وجه الخصوص بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر إلى وصم مقاومة الاحتلال ومناهضة الاستغلال بـ "الإرهاب" وبناء على هذا الخلط المتعمد بنت إدارة بوش خططها للحروب الاستباقية تحت مزاعم مكافحة "الإرهاب" وقامت بأفعالها العدوانية بغير أدلة أو بأدلة مسبقة الصنع ضد الإماره الإسلامية في أفغانستان والعراق، وانتهجت سياسة حمقاء قائمة على التهديد بالقوة العسكرية والتلويح بالعدوان المسلّح ضد دول إسلامية، ورفعت شعارات هي أبعد ما تكون عن الإيمان بها حول غياب الديمقراطية المدعاة وحقوق الإنسان المزعومة لدى العرب والمسلمين، ولم تكتف بذلك بل راحت تكيل الاتهامات للمسلمين بأنهم شعوب متطرفة ومتخلفة وهمجية ووصل الأمر إلى حد التطاول على الإسلام والتمادي مع رسوله ﷺ ومقدساته وقيمه، وتدفقت حملة غربية مغرضة صفراء مدّعية أن الإسلام هو مصدر الإرهاب والتطرف ويتخذ من القتل وسيله لتحقيق غاياته. لقد عمّقت إدارة بوش كراهية المسلمين للسياسات الغربية الأمريكية، كيف لا وقد استخدمت هذه الإدارة كل إمكانات الدول العملاقة المتجبرة في العالم ليس للانحياز لإسرائيل وضد الحق والعدل فحسب وإنما لتوجيه قواها العسكرية والإعلامية والمخابراتية الجبارة لتحطيم وتدمير أبسط مقومات الحياة في بلاد المسلمين وسلب خيراتهم وثرواتهم.

كما عمدت إلى أزالة أنظمة بعينها في كل من العراق وأفغانستان وقبضت على الأبرياء وزجّت بهم في معتقلات قندهار وغوانتنامو وأبو غريب والسجون السرية في أوربا والبلدان العربية وغيرها.

وبما أنني كنت واحدًا من أولئك الذين زجّ بهم في تلك المعتقلات في كل من (شفرغان) (وقندهار) و(غوانتنامو) فقد عايشت فيها كل أنواع القهر والإذلال التي مارستها أمريكا لانتهاك كرامتنا متجاهله كل الاتفاقيات والأعراف الدولية التي تنص على صيانة حقوق الأسرى.

ها أنذا أسرد لكم أيها القراء في هذا الكتاب كل التجارب والمواقف العصيبة التي عشتها في أفغانستان ومعتقل غوانتنامو في كوبا. جمعتها لكم مجردة من أي تزييف أو محاولة لليّ عنق الحقيقة، فأرجو أن تعذروني على هذه الصياغة للأحداث التي جاءت تفاصيلها خالية من جمال الأسلوب وحسن السبك ودقة المعنى، فأتمنى أن تتقبلوها على علّاتها فأنا لست بكاتب محترف بل أنا شاهد على العصر أقول ما يمليه علي ضميري وأسأل الله تعالى أن يوفقني وإياكم ويهدينا إلى سواء السبيل.

وليد مُحَمَّد حاج مُحَمَّد علي بلال

التاريخ : 15 مايو 2008م

في كنف الأسرة



لا أعرف كيف أبدأ ولكن سأحاول وأستجمع طاقتي وأفكاري إلى أقصى حد حتى أعتصر آخر كلمة موجودة في الذاكرة أقول:

نشأت في أسرة بسيطة في شمال السودان وبالتحديد في محلية البرقيق[1] تلك القرية الوادعة التي ترقد على أكناف نهر النيل العظيم، حيث تحدّها من ناحية الجنوب مدينة أرقو ومن ناحية الشمال مدينة كرمة ذات الحضارة العريقة ومن ناحية الشرق يمتد على محاذاتها مشروع البرقيق الزراعي ومن ناحية الغرب جزيرة أرتقاشا[2] مهد آبائي وأجدادى الأول.

كان مولدي في عام 1974م، حبوت على تراب هذه القرية الآمنة المطمئنة ، تفتحت عيناي على معالمها وأزقتها وحواريها وتعّودت أذناي على سماع أبواق الباصات واللواري الصاعدة والهابطة من وإلى الخرطوم وهي تحمل المسافرين وشحنات التمر والفول المصري، كذلك تعودت أذناي على

[1] – البرقيق : إحدى محليات الولاية الشمالية – السودان

[2] – جزيرة ارتقاشا :إحدى الجزر القابعة في أحضان نهر النيل بالولاية الشمالية .

جلبه وضوضاء السوق وصياح الباعة والحيوانات والعربات وحركة الرائحين والغادين من المارة الذين يفدون إليه من أطراف القرية، نظرت عيناي أول ما نظرت من معالمها البارزة " الدفوفة"[1] تلك القلعة الرابضة على مشارفها وهي تسد الأفق بلونها الداكن وعلوها الشاهق كلما أنظر إليها ترجع بي الذاكرة إلى جذور التاريخ وأحس بروعة المكان الذي يملأ نفسي راحةً وأمانًا.

تبسط الشمس أشعتها الذهبية بحنان على صدر هذه القرية وتصحو من إغفاءتها في الصباح الباكر لتغسل وجهها بماء النيل وتفتح عينيها على سحر الطبيعة المتجلي في الشطئان والجزر المتناثرة حولها في أحضان النيل، إنها قرية تمنحك المشاعر الرقراقة والحنان الدفاق، تفتح صدرها وقلبها للقادمين إليها في ألفة عميقة وترحاب شديد. "والدفوفة" بشموخها الأسطوري وعظمتها المهيبة تمثل علامة بارزة ومعلمًا مهمًا تصافحها العيون قبل الدخول إليها.

نعم عشت في هذه القرية طفولتي الباكرة وشربت من مائها العذب وتشبعت بعبق جروفها الندية وورثت عزة وكبرياء آبائي وأجدادي النوبة وأرومتهم[2] الشامخة شموخ نخيلها الباسقات التي تعانق السماء رفعة وعلوًا وأنا أنعم في حجر أم حنون تكفلت بتربيتنا أحسن تربية، علمتنا الصبر والكفاح والتضحية والاعتماد على النفس وحب الخير للناس منذ نعومة أظفارنا وأنا سادس سبعة أبناء، أما الأب فقد تعود على حياة الهجرة والاغتراب منذ بواكير عمره في مصر ولبنان والكويت، وحرم نفسه من حضن الوطن ودفء العشيرة لأجل راحتنا، وبعد ثلاثين عامًا من الهجرة والاغتراب ألقى عصا

---

[1] – الدفوفة : بناية أثرية شهيرة كانت تستخدم كقلعة لملوك النوبة .

[2] – أرومتهم : يعنى أصلها .

الترحال في رحاب الوطن أوائل التسعينات من القرن الماضي وأستقر في ضاحية (الحاج يوسف القديمة – المايقوما)[1] حيث كانت الأسرة قد سبقته في صيف عام 1983م.

قدمت إليها– أي الحاج يوسف – مع الأسرة، كنت حينها صبيًا يافعًا لم أبلغ مبلغ الرجال بعد، بدأت أخطو أولى خطواتي في مدارج العلم والمعرفة، كانت المحطة الأولى (مدرسة الشعبية الإبتدائية) بحي الشعبية في مدينة بحري بعدها تحولت إلى (مدرسة الحاج يوسف الإبتدائية القديمة) ومنها صعدت إلى المرحلة المتوسطة ثم الثانوي (بمدرسة بحري الحكومية العريقة)، في رحاب هذه المدرسة بدأت أبني أولى صداقاتي وأرسي قواعد وجسور التواصل مع أصدقائي وزملاء الدراسة، بدأت أتعرف على نمط الحياة الجديده في المدينة وأتشبع بتجارب جعلت ذهني يتفتق رويدًا رويدًا على هذا الأسلوب الجديد من حياة المدينة الصاخبة بكل ما فيها من تناقضات، أخذت أتشرب بمفاهيم وأفكار تختلف عما حملتها من حياة القرية حيث التقاليد والأعراف والنظم الصارمة وبساطة العيش وطيبة الأهل وتسامحهم وروح المودة والترابط الأسرى المتين وما إلى ذلك من المثل والقيم النبيلة، طفقت أتنسم عبير الحياة المدنية وأنا ما زلت أحمل بين جنبى تلك الروح القروية التي أعتز بها، كان لابد أن أتجاوب إذن مع هذا المجتمع المدني والتفاعل مع سرعة إيقاع الحياة فيه لأنني صرت جزءً من منظومة أفراده، هكذا أخذت معالم شخصيتي تتشكل في خضم هذه الحياة.

جلست لامتحان الشهادة السودانية، أحرزت نسبة أهلتني لدخول كلية الشريعة والقانون في جامعة أم درمان الإسلامية، انتظمت في العلم ولزمت قاعاتها ردحًا من الزمن وأنا أقبل على العلم والمعرفة بروح وثّابة

[1] – الحاج يوسف المايقوما : إحدى مدن محلية شرق النيل التابعة لولاية الخرطوم .

وحماسة لا تحدها حدود وعقل متفتح للتحصيل والتلقي، لكن شاء الله وقدر أن يصبح مصير هذه الروح الوثابة وهذه الحماسة أن تخبوا رويدًا رويدًا وتلاشا تمامًا ولم تعد لهما في الذاكرة مكانًا، تسألني أيها القارى ما السبب؟ أقول لك: أن هناك عاملًا قد برز في حياتي وأخذ يطرق على تفكيري بقوة قادني هذا العامل إلى التفكير في ترك قاعات الدرس والاتجاه إلى طريق الهجرة والاغتراب مثل معظم الشباب، كرست معظم وقتي وجهدي لتحقيق هذا الهدف الذي كان يقف وراءه جمع المال واقتناء المنزل والسيارة وبناء أسرة جديدة والانفاق على الوالدين وإخواني ورعايتهم، دفعتني الظروف الاقتصادية الضاغطة لاسيما بعد رجوع الوالد من بلاد الغربة والاستقرار بأرض الوطن إلى ذلك الطريق.

أخيرًا تحصلت على تأشيرة دخول إلى أراضي الحرمين الشرفين التي تعتبر نقطة تحول كبيرة في مسيرة حياتي الروحية والاتجاه إلى منحى آخر ما كنت أتوقعه. حزمت أمتعتي وودعت أهلي على عجل وأنا في طريقي إلى أرض المطار كانت تلك الرؤى والأحلام تتزاحم بذاكرتي وتدفعني دفعًا في المضي قدمًا لارتياد آفاق طالما كنت أحلم بها، هذه كانت غايتي المنشودة وقناعتي التي توصلت إليها ولكن يبدو أن أقدار الله كانت تنسج لي في الخفاء أحلامًا ما خطرت يومًا على بالي حيث كنت أعد نفسي لشيء والله تعالى يعد لي شيئًا آخر في رحم الغيب، فسبحان الله المدبر للأمور والمتصرف فيها وكيف لا ! وهو القائل في محكم تنزيله ﴿ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [1] .

1 - البقرة –الاية رقم 216

قبل وصولي إلى أرض الحرمين لم أكن أنتمي لأي حزب سياسي أو أعتنق مذهبًا معينًا كنت مسلمًا عاديًا أؤدي شعائري الدينية التي تلقيتها من بيئتي.

في رحاب بلاد الحرمين

بعد أن وطأت قدماي أرض الحرمين الشريفين، تعلمت في رحاب هذه الأراضي المقدسة أمورًا فقهية ومسائل شرعية تزودت بها في مراحل حياتي المختلفة، انخرطت أطرق أبواب العمل وأتنقل من مكان إلى مكان وفجأة عاودني الحنين إلى الوطن ومواصلة دراستي الجامعية التي قطعتها، شاورت الأهل في ذلك لكن وجدت رفضًا، كان هذا الرفض نعمة كبيرة علي، رجعت أتنقل من عمل إلى عمل ومن مدينة إلى أخرى إلى أن قضيت زهاء الثلاث أعوام ونصف في أراضي الحرمين الشريفين، قررت العودة مرة أخرى إلى الوطن لكن هذه المرة لإكمال نصف ديني ثم جال بفكري أن أدعو إلى الله تعالى وأخرج لنشر الدعوة في باكستان وبعدها أعود إلى أرض الوطن.

الرحلة إلى باكستان

انضممت إلى جماعة الدعوة، خرجت أطوف على الناس في منازلهم في أحياء وضواحي مدينة الرياض لتبصير الناس بأهمية الدعوة إلى الله، بعد زمن ليس بالطويل قررت السفر إلى باكستان وحصلت على تأشيرة الدخول إليها، نزلت مدينة (لاهور)[1]، جئت إلى هذا البلد ولا علم لي بما

[1] – لاهور: احدى المدن الباكستانية الكبيرة .

تخبئه الأقدار لي، كنت أحمل معي أموالي التي جمعتها لمراسم الزواج، ووقعت في فخ ونصب واحتيال من قبل صاحب التاكسي الذي أقلني من المطار وصاحب الفندق الذي نزلت عنده، كيف؟

حين نزلت في مطار لاهور، خرجت من الصالة وكأني أعرف المدينة حتى لا يظن أحد بأني غريب ويحتال علي ولكن لا ينفع حذر من قدر، وجدت خارج المطار صاحب تاكسي، لم أستطع أن أتفاهم معه لعدم معرفتي لغته واللغة الإنجليزية، نطقت ببعض الكلمات الإنجليزية قائلًا له money small - Hotel على العموم فهم فحوى كلامي وما أقصد. كنت لا أعلم بأنه يتعامل مع صاحب الفنادق لجلب الزبائن، ذهبت إلى الفندق، وفي الاستقبال طلبوا مني الجواز، بعد أخذ البيانات قال لي بلغة عربية مكسرة: الغرفة في اليوم 250 ريال سعودي من غير الإعاشة، وبما أنني لم أنزل في الفنادق من قبل قلت في قرارة نفسي احتمال أسعار الفنادق في هذا البلد هكذا، سكنت لحين اتصالي بجماعة الدعوة، مكثت حوالي ثلاثة أيام وأنا أحاول الاتصال بهم، أحسست بارتفاع ثمن الإقامة وحين سألت عن أسعار الفنادق قيل لي: أن تكلفة اليوم يتراوح ما بين 10 إلى 15 ريال سعودي .. يا للهول والنصب والاحتيال!!!

بعدها قررت الرحيل من هذا البلد والعودة إلى بلدي للزواج من غير أن أتصل بجماعة الدعوة ولكن أين المفر من أقدار الله.

تعرفت على رجل يتكلم اللغة العربية في أحد المساجد، رويت له ما حصل لي، أبديت له بأنني أريد نشر الدعوة، بعد أن استمع إلي باهتمام قال لي: إذا أردت نشر الدعوة فاذهب إلى أفغانستان فهي بحاجة إلى الدعوة، قلت له لا أملك تأشيرة دخول، قال مبتسمًا: الأمر سهل، وبعد الانتظار لعدة ساعات ركبنا السيارة وهي تشق بنا المدن والقرى إلى أن

وصلنا إلى مدينة تسمي (كويتا)[1] في الحدود الأفغانية، ودخلنا (مضافة)[2] وجدت فيها مناظر عجيبة، أناس مبتورو الأيدي والأرجل ومصابون في رؤوسهم، خيّل لي في بادئ الأمر أنها مستشفى ولكن فيما بعد علمت بأنها مركز يتجمع فيه جرحى قوات طالبان ومن ثم يتم توزيعهم إلى المستشفيات، مكثت عدة أيام معهم منتظرًا الدخول إلى أفغانستان.

العبور إلى أفغانستان

أخذتنا الشاحنات وتوجهت بنا إلى الداخل وهي تحمل من تعافي من جراحه إلى مراكز تجمع قوات المجاهدين في مدينة تسمى (قندوز)[3] تبعد حوالي ألف كيلومتر من كويتا،كانت الرحلة طويلة وممتعة تمتد أمامك الطريق، تصعد بك إلى الجبال تارة وتهبط بك إلى سهول خضراء تارةً أخرى، ترى وسط هذه السهول والوديان حدائق الكروم والرمان والتين وأنواع شتى من الفواكه وتهب عليك بين الفينة والأخرى نفحات طيبة تفوح من أرجاء الوادي وتدغدغ المشاعر وزخات المطر المتواصل تبعث فيك النشاط والحيوية، ربما وقع نظرك على فلاح ممسك بمحراثه يجره ثور وهو يعد أرضه في همة ونشاط وحوله أطفال يمرحون في براءة على ضفاف مجاري الماء، وربما ترى قطعان الضأن والماعز تتهادى وسط هذه الخضرة وقد تمر أمامك الطيور أسرابًا أسرابًا والسحب الداكنة تعبر الأجواء وتمضي نحو المجهول في عجل، كسفن بلا أشرعة، وتظهر لك من بعيد سلاسل جبال

[1] – كويتا : مدينة حدودية بين افغانستان وباكستان.

[2] – مضافة : بمعنى بيت الضيافة .

[3] – قندوز: مدينة في شمال أفغانستان وكانت تعتبر من أقوى المعاقل لطالبان.

(هنـدوكوش)[1] تسـد الأفـق وتشـرئب بقممهـا الشـاهقة نحـو السـماء كأنها تتضـرع إلى الله وقـد توشـحت أعاليهـا بثـوب أبـيض ناصـع مـن الـثلج، تـدخل مـن عقبـة إلى عقبـة ومـن نفـق إلى نفـق ومـن قريـة إلى قرية، أكثـر مـا تـرى النـاس يمتطـؤون الخيـول والبغـال وعمـائهم مسـدولة علـى أكتـافهم، فيـا لهـا مـن منـاظر خلابة تملأ النفس روعة وجمالا.

في الخطوط الأمامية للقتال في (خوجة غار)[2]

وصـلنا إلى شمـال أفغانسـتان وتحديـدًا مدينـة قنـدوز إحـدى معاقـل قـوات طالبـان، وأنا في هـذه المدينـة إذ قـرأت رسـالة موجهـة إلى المسـلمين كافـة علـى لسـان امـرأة شيشـانية تقـول فيهـا: أنهـنّ لا يحتجن رجـالًا للـدفاع عـن حرمـات المسـلمين في تلـك البقـاع ولا أمـوالًا للـدعم والمسـاندة، ولكـن نحتـاج فقـط مـنكم إرسـال أقـراص منـع الحمـل حـتى لانحمـل مـن هـؤلاء الـروس السـفاحين، كانـت تلـك الرسـالة قـد هـزّت ضـمير العـالم الإسـلامي وحركـت مشـاعر النخـوة والرجولـة لمـا يحـدث في ديار المسـلمين، كنـت واحـدًا مـن الـذين أطلعـوا علـى تلـك الرسـالة فتـأثرت بهـا ممـا جعلـني أغـير طريقـي مـن الـدعوة إلى إعـداد نفسـي للتـدريب وبالتـالي الانخـراط للجهـاد في الشيشـان. التحقـت بقـوات حركـة طالبـان للتـدريب علـى حمـل السـلاح ومـن ثم التوجـه إلى جمهوريـة الشيشـان مجاهـدًا في سـبيل الله ومـدافعًا عـن بيضـة الإسـلام ومرابطًـا فيهـا لاعـلاء كلمـة الحـق، نـذرت نفسـي لهـذا الحلـم السـامي وبالفعـل توجهـت إلى خوجـه غـار.

[1] – هندوكوش : سلاسل جبلية ضخمة تخترق أراضي أفغانستان وتمتد إلى الدول المجاورة .

[2] – خوجه غار : مدينة صغيرة تقع على نهر جيحون وكانت الخط الفاصل بين قوات طالبان وقوات مسعود شاه وحلفئه من الروس والفرنسيين .

وهي منطقة تتخللها هضاب وتلال وأودية جافة، مبانيها عبارة عن منازل متناثرة مشيّدة من الطين والقشّ، بعضها مهدمة وبعضها مهجورة وذلك بسبب كثرة الحروبات، هي منطقة متاخمة لطاجكستان يفصل بينهما (نهر جيحون) الذي ينحدر من قمم الجبال العالية مندفعًا بقوة هائلة. اتخذت قوات طالبان من هذه المنطقة مركزًا عسكريًا وخط أول للقتال، في هذه المنطقة بدأت أولى خطواتي لطريق الجهاد حيث سكنت في الخنادق، ولم أكن العربي الوحيد بل كانت هناك عدة جنسيات عربية وغير عربية، في أول وهلة دخولي إلى هذه المنطقة حدثت حادثة كانت من المثبتات لي والدوافع التي جعلتني أزداد إصرارًا على المضي في هذا الطريق، دعني أيها القارئى أسرد لك تفاصيل تلك الحادثة وما فيها من كرامات وعبر وعظات.. هجم العدو على خط النار الأول من جهة المجاهدين العرب وكان في هذه الأثناء .. إثنان من المجاهدين العرب هما عبد الله المكي وعزام النجدي يتآنسان داخل أحد الخنادق وفجأة وقع انفجار قوي بالقرب منهما وأعقبه سلسله من الانفجارات الأخرى المدوية، فزع عزام ولم يكن نتيجه لخوف، حاشا وكلا، ولكن انتقل في برهه من الزمن بروحه إلى عالم مثالي مليء بالتجلي والصفاء الروحي، رأى صاحبه عبد الله المكي نورًا يشع من قدم عزام، عاد عزام من عالمه الروحاني وغطى قدميه سريعًا، كانت هذه الحادثة لها وقع في نفس عبد الله المكي، وبعد أخذ ورد لما حصل، خرجا من الخندق لينظرا سبب الانفجارات بينما هما كذلك فإذا العدو قد أقبل متجهًا صوب المركز المجاور لهما، في هذا الأثناء تقابل عبد الله المكي مع أحد الإخوة المرابطين ويدعى مصعب العودلي، حكى له رؤيا قد رأها في المنام قال: كأني في مدينة جدة دخلت إلى فندق وكان به سبع غرف فوجدت غرفتي مختلفة عن بقية الغرف، وطلب من عبد الله المكي أن

يفسرها لـه، فقـال لـه عبـد الله ترجـع إلى مدينـة جـدة وتقتـل، أمـا عـزام كـان يقـف أمـام باب الخنـدق يـوم الجمعـة في ذلـك الوقـت يـذكّر الأخـوة بإكثـار الصـلاة علـى الرسـول (ﷺ) وقـراءة سـورة الكهـف والتحصـين بأذكـار المسـاء، وكـان شـابًا ورعًـا أحسبه مـن الصـالحين ولا أزكـي علـى الله أحـدًا.. فـإذا بقذيفـة تنطلـق مـن جهـة العـدو وتمزقـة أشـلاءً، وجـدنا الجـزء الأعلـى مـن جسـمه ودفنـاه أمـا الجـزء الأسـفل فقـد وجـدناه في اليـوم الثـاني ودفنـاه أيضًـا لكـن في مكـان آخر.. وبذلك سمي بذي (القبرين).

وبعـد شـهر مـن هـذه الحادثـة وأنا أتجـول في الـتلال والـوديان وجـدت أجـزاءً أخـرى متنـاثرة مـن جسـمه، أخـذت قطعـة وشممتهـا ولم أجـد فيهـا أي رائحـة كريهـة مثـل مـا يحـدث للجثـث وظلـت كـل هـذه الفـترة محفوظـة مـن الوحوش والهوام، "سبحان الله ".

دارت رحـى الحـرب وكـان النصـر فيهـا حليفنـا وتم بعـون الله دحـر العـدو المـدعوم مـن قبـل الـروس والفرنسـيين، بعـد يـومين زار عـزام صـديقة عبـد الله المكـي في رؤيه منامية فقـال لـه عبـد الله: مـاذا حـدث لـك يا عـزام ؟ فقـال لـه: حـين وقفـت أمـام باب الخنـدق وأذكّـر الإخـوة بالأذكـار فـإذا بي أرى قذيفـة منطلقـة نحـوي - ومعلـوم أن الإنسـان لا يـتمكن مـن رؤيـة القذيفـة المنطلقـة لسـرعتها الـتي تفـوق سـرعة الصـوت .. عندئـذ أيقـن أنـه قـد أصـبح في عـداد القتلـى لـذلك رآهـا " فسـبحان الله "، فالميـت يـرى عنـد احتضـارة مـا لا يـراه غـيره ويسـمع مـا لايسـمعه الآخـرون - ثم قـال لم أحـس إلا وأنا مـن فـوقكم وأشـاهد رحـى المعركـة تـدور وحاولـت النـزول لكـي أشـارككم ولكـن وجـدت نصـف جسـدي مفقـودًا، فجـاء ملـك ورفعـني إلى ملـك آخـر ثم إلى آخـر إلى أن وصـلت إلى السـماء، سـأله عبـد الله: أيـن أنـت الآن يا عـزام ؟ قـال: أنا في الجنـة، قـال لـه عبـد الله: أريـد علامـة بأنـك في الجنـة حـتى أخـبر إخـواني

المجاهدين، فأراه أنهار الجنة وثمارها، فقال له عبد الله: زدني فأحضر له مصعب العودلي ذلك الشاب الذي حكى رؤية لعبد الله من قبل وكان قد قتل هو الآخر في نفس اليوم الذي قتل فيه عزام، فقال له مصعب: أنا وعزام كلانا في الجنة وعزام درجته أعلى من درجتي، أما رؤيتي التي فسرتها آنفًا فقد أصبت في تفسير بعضها وأخفقت في تفسير بعضها الآخر، أصبت بأنني أقتل وأخفقت في تفسير رجوعي إلى جدة والغرف السبعة وهي ترمز لسبعة قتلى وكان هؤلاء السبعة هم عزام، ومصعب ، وخمسة باكستانيين. فقال عبد الله لعزام: زدني، فأحضر له أبو معاذ الكويتي وكان قد قتل في البوسنة من قبل، فذكر له اسمه الحقيقي ثم بيّن له بأنهم سوف يصابون ببلاء عظيم وكشف له بعضًا من ذلك البلاء، بعد ذلك جاء عزام بورقة بها أسماء تبلغ الأربعين وقال له: إن هؤلاء سوف يقتلون وطلب منه ألاّ يخبر أحدًا من إخوانه بما جاء في الورقة من أسماء.

استفاق عبد الله المكي بعد ذلك من نومه ولم يستطع كتمان ما رآه وذكر للأخوة المجاهدين تفاصيل هذه الرؤيا العجيبة وأخبر كل واحد منهم بأنه ضمن الأربعين، والأعجب من ذلك أنه اشترك إثنان في إسم واحد وادعى كل واحد منهما بأنه هو المعني حتى جاء عزام مرة أخرى إلى عبد الله المكي وحدد صاحب الإسم بأنه فلان ابن فلان. وجاء عزام مرة أخرى في المنام لعبد الله المكى وأعطاه ورقة بها أسماء مائة أخ سوف يقتلون ولكن عبد الله المكي لم يتمكن من قراءة الأسماء على حد قوله، أما كيف قتل الإخوة الأربعون .. تلك قصة أخرى سوف أرويها لك.

لا شك أن غزوة الحادي عشر من سبتمبر 2001م كانت نقطة تحول كبرى في خارطة العالم حيث غيّرت مجرى السياسة الدولية بأسرها في العالم وفي مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية. أشارت أصابع الاتهام إلى تنظيم

القاعدة الذي يتزعمه الشيخ أسامة بن لادن بتدبير هذه الغزوة، وهدد المعتوه بوش بالانتقام وطلب من جميع الدول وخاصة الدول العربية والإسلامية التعاون معه للانتقام مما سمّاه بالجماعات الأصولية الإرهابية التي أرغمت أنف أمريكا في الوحل وهتكت سيادتها، صرّح في وسائل الإعلام المختلفة بأنه "من لم يكن معنا فهو ضدنا"، وأخذ يعدّ العدة لتغيير أنظمة بعينها في دول مسلمة باعتبارها أنها محتضنة وراعية لهذه الجماعات الأصولية معلنًا في كلمة حماسية بأنها (حرب صليبية) ولاحقًا سحب كلمة (حرب صليبية) بعد أن أخبره اللوبي اليهودي المتحكم بمفاصل الدولة ومصنع القرار بأن هذا التصريح سوف يجرّ عليهم وبالًا ويثير مشاعر المسلمين كافة ويوقظ الخلايا النائمة من شباب الإسلام ضد اليهود والنصارى، ونتيجة لضغط اللوبي اليهودي عليه غيّر شعاره إلى الحرب ضد الإرهاب، فهو لم يكن يعلم عاقبة ما تفوّه به.

أول ما فعله بوش هو أن وجّه قواته العسكرية نحو الإمارة الإسلامية في أفغانستان التي كانت تحت قيادة حركة طالبان بزعامة الملا مُحَمَّد عمر مجاهد وحليفه الشيخ أسامة بن لادن زعيم تنظيم القاعدة والذي تبنى الدمار الذي لحق بأمريكا في سبتمبر 2001م.

وجدت أمريكا مساعدات واستجابات من أغلب الأنظمة والحكومات العربية والإسلامية لا سيما الدول المجاورة لأفغانستان مثل باكستان التي فتحت قواعدها وأراضيها لغزو أفغانستان، بدأت الطائرات الأمريكية تنطلق من قواعدها في باكستان وغيرها من دول الخليج مستهدفة المدن الأفغانية، فبدؤوا بالعاصمة كابل وقندهار وجلال أباد، وأخذت ترمي أطنانًا من القنابل الفتاكة على تلك المدن، كما أن أساطيلها الرابضة

في السواحل كانت تنطلق منها طائرات محملة بأحدث أنواع الأسلحة المدمرة لتدك المدن والقرى وتحيلها أثرًا بعد عين.

بعد أن سقطت المدن الرئيسية في الجنوب والشرق والغرب توجهوا أخيرًا في شمال أفغانستان، في هذه الفترة كنت ضمن قوات طالبان في الجبهة الشمالية، جاءت الطائرات الاستطلاعية لتكشف أماكن تجمعات المجاهدين، كان أغلب الإخوة الأربعون الذين أخبرتك عنهم سابقًا كانوا موجودين خلف التلال أي في الخط الثاني يعدون أنفسهم للصلاة، أثناء اصطفافهم لأداء الشعيرة جاءت الطائرات الأمريكية وألقت أطنانًا من القنابل العنقودية عليهم فقتلوا جميعًا وتمزقت أجسادهم الطاهرة إلى أشلاء، جاء أمير الجماعة ومعه مجموعة من المجاهدين لإخلاء المكان من الجرحى والقتلى فإذا بالطائرات تعود مرة ثانية وتلقي أطنانًا أخرى من القنابل العنقودية فلحق بهم أمير الجماعة (عبد السلام الحضرمي) ومن معه أيضًا، كان هؤلاء القتلى من ضمن الأربعين إسمًا التي ذكرها عزام في رؤيته، ولم يبق من هؤلاء الأربعين إلا خمسة مجاهدين، إثنان منهم أحياء إلى يومنا هذا وينتظرون دورهم والثلاثة الباقين كانوا رفقائي في القلعة وغوانتنامو وقتلوا مؤخرا وهم (يوسف الشهري: قتل في الحدود اليمنية) (ياسر الزهراني: قتل على يد الأمريكان في معتقل غوانتنامو) (وضاح الأبيني: قتل أيضا على يد الأمريكان في معتقل غوانتنامو)، فالإنسان لا يعرف متى وأين يموت مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[1] .

---

[1] – سورة لقمان الاية رقم: (34)

الانسحاب إلى مدينة قندوز

عند حضور القوات الأمريكية إلى شمال أفغانستان كانت خطتهم عدم قتل العرب المجاهدين في صفوف طالبان، كانوا يريدون أن يأخذوهم أحياء، جاءت الطائرات الاستطلاعية لتكشف أماكن التجمعات ثم عادت بعدها جاءت المقاتلات تحمل في جوفها الجحيم لتصبه على الميامن والمياسر لكسر جانبي خط القتال والالتفاف عليهم من الخلف وحصرهم في مكان واحد حتى يتسنى لهم السيطرة على الموقع وأسر أكبر عدد منهم، ولكن هذه الخطة باءت بالفشل لأن أمير الجماعة (غريب الصنعاني) الذي استلم القيادة بدلًا عن عبد السلام الحضرمي عندما علم بهذه الخطة قام بسحب قواته والخروج من هذه المصيدة، بعد خروجنا جاءت الطائرات الأمريكية تحلق فوق التلال التي انسحبنا منها وجاءت أيضًا قوات التحالف بقيادة فهيم شاه (أحد قادة مسعود شاه) من جهة الميمنة والميسرة التي اخترقت ودخلوا وهم يعتقدون بأننا ما زلنا في مواقعنا، واصلنا الانسحاب من هذه المنطقة واتجهنا نحو آخر معقل لطالبان ألا وهي مدينة قندوز التي ما تزال صامدة في وجه الأعداء، واصلنا طريقنا بين الجبال والتلال ومعنا عدة جنسيات، طاجيك، بنغال، باكستانيين، والأخوه العرب من اليمن، بلاد الحرمين، ليبيا، الجزائر، والمغرب وغيرها، أثناء انسحابنا كان بعضنا يتخلص من الأمتعة الثقيلة حتى نخفّ في السير، وإذا أعطينا وصفًا دقيقًا لهذه المنطقة المشهورة بكثرة التلال والوديان يمكن أن تقول بأنه يبدو كمثل " طبق البيض" نصعد في تلة ونهبط منها في تلة أخرى ونحن نسير في شكل جماعات، كل فوج مع أميره إلى أن وصلنا مع مغيب الشمس إلى ممر جبلي ضيق ينتهي إلى سهل منبسط، عند وصولنا إلى نهاية الممر سمعنا أصوات وهمهمات تحت جنح الليل سألنا: من أنتم ؟ من أنتم؟ عندما لم

نجد الإجابة منهم ظننا بأن العدو قد قطع علينا الطريق، كنت في مقدمة المجموعة توقفنا برهة عند سماع هذه الأصوات، فإذا برصاصة مضيئة تمر من أمامي، أخذنا نرد عليهم وهم يردون علينا فترة من الزمن، رأيت بأم عيني أحد الإخوه يهوي في وادي عميق بسبب قذيفة (أر- بي- جي) مرّت من أمامه، قتلوا منا عددًا، استمر الاشتباك حتى سمعنا صراخًا من الجانب الآخر ينادي توقفوا .... توقفوا.. أخوانكم.. أخوانكم .. تبين لنا فيما بعد بأنهم أخواننا الأوزبك وقد سبقونا إلى هذا المكان عن طريق آخر، في هذا الاشتباك المؤسف قتل منا سبعة إخوة وهم (عثمان الحضرمي ابن عم عبد السلام الحضرمي، أبو زيد البدري من المدينة، أبو تراب النجدي يسكن الرياض وهو كان يصرخ وينادي توقفوا توقفوا، وعبد الله التونسي يسكن ألمانيا...).

وجرح منا البعض وقتل منهم واحد وعشرون أخ أوزبكي وجرح بعض منهم، كادت تحدث كارثة لولا لطف الله علينا، في هذه الأثناء أحسسنا بأن العدو قد علم بالخديعة وخروجنا من المصيدة فأسرع للحاق بنا، تركنا القتلى في مكانهم وحملنا الجرحى في إحدى الشاحنات التي كانت مع الأخوة الأوزبك، بينما نحن نسير فإذا بنا نرى فوق هذا السهل سيارات ومدرعات تتحرك تحت جنح الليل كاشفة الظلام أمامنا بأنوارها الساطعة، كانت المسافة بيننا وبينهم حوالي خمس كيلومترات تقريبا.

بعد أن أدينا صلاة العشاء، جمع الأمير (غريب الصنعاني) الإخوة وقال: العدو من خلفنا ومن أمامنا والطائرات الأمريكية تحلق فوقنا لتكشف مكاننا ومعنا جرحى تنزف دماؤهم وهم بحاجة إلى تلقي العناية الصحية فمن يبايعني على الموت من أجل إخواننا وفتح الطريق لمرور الجرحى؟ أبدى الجميع استعدادهم وبعد المبايعة، وضع خطته بأن جعل للإخوة ميمنة

وميسرة ومقدمة ووضع إثنين في المقدمة للاستطلاع وأمر الجميع بوضع طلقة في (بيت النار) أي تعمير السلاح ليكون جاهزًا ، تحرك الجميع تحت جنح الظلام تاركين خلفنا أخواننا الذين قتلوا في الاشتباك الخاطئ، بعد أن سرنا قليلًا جاء العدو من خلفنا ووجد القتلى وأسر بعض الإخوة الذين تأخروا عن الركب، استطاع أحد الإخوة أن يلقي عليهم قنبلة يدوية كانت بحوزته فأصابهم رعب وأحدث ارتباكًا في صفوفهم فنجا الإخوة من الأسر.

بينما نحن نقطع الفيافي والوديان ونصعد تلة ونهبط من أخرى رأينا شاحنة، كان بإمكاننا أن نستولي عليها ولكن أمر الأمير غريب الصنعاني بأن نتركها تمر حتى لا ينكشف لهم موقعنا إذا اشتبكنا معهم، فمرت من إمامنا وهي تشق الوادي، كان الوقت قبيل الفجر فأردنا أن نأخذ قسطًا من الراحة، جلسنا في بطن الوادي وكان البرد قارسًا، لم نستطع الجلوس أو النوم فأمر الأمير بالتحرك، كان هذا أول يوم من انسحابنا من (خوجة غار) .

بدأ قرص الشمس يرتفع رويدًا رويدًا وبسطت أشعتها على الجبال والوديان وانقشع الظلام، فإذا بنا نجد أنفسنا قد ضللنا الطريق والطامّة الكبرى بأنه ليس معنا دليل والطريق أمامنا طويل يصعد بنا تارة إلى أعلى التلال ويهبط بنا تارة أخرى إلى السهول، وبينما نحن في هذه الحال إذ سمعنا أحد الأخوة يهتف قائلًا: بأن هذا الطريق يؤدي إلى قندوز ويبدو أنه كان قد مر من هذا الطريق من قبل، أخيرًا تنفس الجميع الصعداء، عرفنا فيما بعد بأن هذا الطريق قد مرت به المدرعات الثقيلة التابعة لقوات طالبان التي سبقتنا عند الانسحاب. كان الأمير غريب الصنعاني حقيقة رجل ذو كفاءة عسكرية عالية وخاض غمار معارك كثيرة مع صغر سنه (23 سنة) كان يدرك بحسه العسكرى بأن أي تأخير في هذا الانسحاب

ليس من الصالح، لذلك كان يسرع بنا وإذا أردنا أداء شعائر الصلاة ينبهنا وهو يخطو خطوات سريعة ويقول: تجهزوا للصلاة ويقف، ونصلي ونكمل أذكار الصلاة والباقيات الصالحات أثناء سيرنا، أتذكر في هذه اللحظة أنه كان معنا أخ أفريقي أو جمايكى لا أدري بالضبط واسمه عبد الله البوسنوي كان يعيش في مكه وكنيته (بابا) تورمت قدماه ولم يستطع مواصلة السير قال لنا: أتركوني وسلاحي أواجه مصيري، تركنا له سلاحه ولم يكن معه زاد فلا أدري أهو قتل أم أسر، وأيضًا فقدنا عكرمه وهو من حضرموت شقيق أبو هاجر الحضرمي وافترق منا بعض الإخوة منهم من وصل إلى قندوز بعد أيام ومنهم من أسر ورحل إلى غياهب غوانتنامو بعدنا.

كنا نتجنب أثناء سيرنا القرى والبلدات حتى لا يغدروا بنا أو يخبروا الأعداء عن مكاننا، بعد أن قطعنا مسافة بعيدة وجدنا مكانًا شبه آمن بين التلال وقد بلغ منا العطش مبلغا، هنا قال الأمير غريب الصنعانى: أريد منكم عشرة رجال لا يتوقفوا عن السير حتى نصل قندوز نأتي بالسيارات والطعام، توجه العشرة بمن فيهم الأمير نحو قندوز ولكنهم أخطؤوا الطريق الصحيح وظلوا يتيهون بين الجبال والسهول لا يعرفون أي فج يسلكون وقد بلغ بهم الجوع والعطش مبلغًا عظيمًا، بينما هم كذلك إذ حصلت لهم كرامة، وجدوا حمارًا محمولًا على ظهره طعام كثير وماء والأغرب من ذلك أنه لم يكن هناك راعي ولا قرى مأهولة بالسكان فأكلوا وشربوا .

قلقنا عليهم عندما طال بيننا وبينهم الأمد، كان في هذا الوقت قد حدثت حادثة طريفة كنت سببها وتتمثل هذه الحادثة بأننا عندما أمرنا بالانسحاب من (خوجة غار) أخذت سلاحى وفتحت حقيبتى وأخذت معجون الأسنان الذي كان لا يفارقني، أثناء استجمامنا للراحة تحسست جيبي فإذا به المعجون، أخذت بعضًا منه ووضعته في فمي فما أن وضعته

حتى امتلأ فمي ريقًا كثيرًا، تذكرت إخوتي وما هم فيه من التعب والعطش، صرت أعطي كل واحد منهم المعجون حتى ينعموا بما نعمت به، أتذكر منهم عبد الرحمن السليماني وكنيته مصعب العربي يسكن بالطائف بحي الشطبة نسأل الله أن يتقبله، وبالفعل أحس كل واحد منهم بما أحسست به مما جعلهم يطلبون المزيد، وياللهول ما حصل بعد برهة، جف المعجون في فمهم والتصقت شفاههم وفقدوا بقية البلل الذى كان في فمهم ولم يتمكنوا من فتح أفواههم ونادوا عليّ بصعوبه قائلين: ماذا فعلت بنا يا (زول)؟ فلم أستطع الإجابة لأني أنا الآخر صرت مثلهم لا أستطيع الكلام، لن أنسى هذا الموقف الطريف وهم كذلك. رأينا ونحن على هذا الحال أهالي بعض القرى مقبلون نحونا من بعيد، وعندما اقتربوا منا أخذوا يطلقون علينا الرصاص ونحن لا نبالي بهم من شده التعب وزخات الرصاص تمر من فوقنا وحولنا إلى أن طلب الأمير الثاني (عبد العزيز العمري كنيته عطيه الزهراني نسأل الله أن يتقبله) أن ننزل إلى جوف الوادي فنزلنا وتفرقنا فيه وأثناء تفرقنا في بطن الوادى حدثت شجاعة نادرة من أحد الأخوة اليمنيين وكان صغيرًا في السن يدعى (سيف الوائلى)، كان من أشهر الرماة بيننا ومعروف في قريته بهذه الصفة، كان هذا الفتى سائرًا، إذ وجد أمامه أشخاصًا على بعد مائتين متر تقريبًا. هاتفوه قائلين: أقدم .. أقدم نحن من قوات طالبان هنا نصحه أحد الإخوة الباكستانين قائلًا: لا تذهب إليهم فهؤلاء كذابون منافقون خونة، لم يسمع كلامه وتقدم نحوهم صاعدًا التلة، عندما اقترب منهم أيقن بصدق نصيحة الباكستانى وتدارك الموقف بسرعة نزل من التلة بسرعة وذهب إليهم من الخلف وكمّن في مكان ورآهم يلبسون قبعات الأعداء المعروفة (البكول) فأطلق عليهم عدة رصاصات فأردى اثنين منهم قتلى ثم أخذ سلاحهما وعاد إلينا والقبعة على رأسه والسلاح الذي

أخذه من هؤلاء الأعداء في يده فما كان من الأمير إلا أن وهبه إياه لما قام به.

اختلف الإخوة حول المكوث في مكاننا أم التقدم إلى الأمام لملاقاه الأمير الصنعاني والأخوة العشرة، بعد التشاور قررنا التحرك وقد أخذت الشمس تميل نحو المغيب، دخلنا في ليلة ليلاء فيا لها من ليلة طويلة مرت ثقيلة! كنا نترقب هجوم الأعداء في أي لحظة، نسير في طرق ملتوية ومتشعبة وزمهرير البرد الشديد يلسعنا، والإرهاق والتعب أخذ منا كل مأخذ إلى أن ظهرت خيوط النهار الأولى من اليوم الثالث.

كان معنا مجاهد أمريكي يدعى "جون ووكر" ماكنت أعرف أنه أمريكي إلا بعد أن وصلت إلى غوانتنامو، كان هذا الأمريكي مريضًا لا يستطيع السير إلا مسنودًا على أكتاف الإخوة يتناوبون عليه، كنت واحدًا ممن كان يسنده إلى أن وصلنا مدينة قندوز حيث لزم الفراش الأبيض في المستشفى، كنت أظن أنه شيشاني حيث كان هناك شيشانيان معنا ويحمل أحدهما نفس ملامحه، لذا ظننته شيشانيًا وفي غرف التحقيق في غوانتنامو كانوا يكثرون السؤال عنه، كنت أؤكد لهم بأنه لم يكن معنا أمريكي وأنا أجيب عن سؤالهم بصدق ما أقول، لكن الأمر كان خلاف ذلك، فالرجل على حسب ما رأيت فيه صفات الورع والتقوى والشجاعة والثبات على الجادة – وأحسبه والله حسيبه ولا أزكي على الله أحدًا – هذا الرجل عندما ألقي القبض عليه فيما بعد في (قلعة الجنك)[1] قال لرجال الصحافة والإعلام : نعم أنا أمريكي مسلم جئت إلى هنا مجاهدًا لإعلاء كلمة الله وأنا متحسر بأنني لم أرزق الشهادة مع بقية إخواني ومن أراد أن يتحصل على صورته فليدخل في موقع الأسرى في النت: WWW. AL- ASRA. COM

[1] – قلعة الجنك : قلعة مشهورة تقع في شمال أفغانستان تحديدا في مدينة مزار شريف، انشيءت منذ خمسمائة عام .

لم يصــدق الأمريكــان بوجــود واحــد مــن بــني جلــدتهم في صــفوف المجاهـدين. أثنـاء هـذه الرحلـة كنـا نـرى علـى جوانـب الطـرق وبـين الـوديان سـيارات محروقـة ومـدرعات مقلوبـة وشـاحنات معطلـة فارقهـا أهلهـا، وصـلنا عنـد نقطـة تقـاطع طـرق، نظـرنا مـن علـى البعـد شـاحنة متربصـة في موقـع كمـين، تقـدمنا نحوهـا حـذرين، عنـد اقترابنـا تبـين لنـا أنهـا معطلـة وحولهـا أواني متنـاثرة وملابـس وبراميـل يبـدو أن أصـحابها رحلـوا عنهـا عنـدما اشـتد بهـم العطـش والجـوع. كـان الإخـوه في قمـة العطـش قطعـوا (أنابيـب اللـديتر)[1] وشـربوا ماءهـا الصـدئ وبعـض الإخـوة – أكرمـك الله شـرب بولـه، وبعضـهم أكـل الحشـائش ليخفـف مـن وطـأة العطـش وكنـت واحـدا مـنهم، بعـد أن وجـدت بلـلًا في حلقـي قلـت: للإخـوان مـداعبًا، الآن قـد عرفـت لمـاذا لا ترفـع الأنعـام رأسـها مـن الحشـائش لأنهـا تجـد أكثـر ممـا نجـده مـن اللـذة في مضـغ الحشائش.

وصـلنا بعـد عنـاء وجهـد شـديدين إلى مفـترق طـرق يتفـرع منـه طريقـان، أحـدهما طريـق واسـع علـى يميننـا والآخـر طريـق ضـيق علـى يسـارنا، احـترنا أي الطـريقين نسـلك، تشـاورنا فيمـا بيننـا، طلـب الأمـير (عطيـه الزهـراني) منـا أن نسـلك ميامننـا تيمنًـا لسـنة الرسـول ﷺ ، أخـذنا جهـة اليمـين أي الطريـق الواسـع " عرضـه حـوالي مائـة مـتر "، رأينـا شـاحنة مقبلـة نحـونا تأهبنـا للاسـتيلاء عليهـا لكـن عـدلنا عـن رأينـا وتركناهـا تمـر كسـابقتها، حاولنـا تشـغيل جهـاز اللاسـلكي وكـان خارجًـا عـن شـبكة الاتصـال أخـذناه وصـعدنا بـه إلى أعلـى قمـة ومعـي مجموعـة مـن الشـباب (حفظهـم الله)، كـان كلمـا نصـعد إلى أعلـى نسـمع الأصـوات رويـدًا رويـدًا حـتى وضـحت الأصـوات وهـي كانـت تأتينـا مـن مركـز القيـادة مـن قنـدوز، حـددنا لهـم موقعنـا، علمنـا فيمـا بعـد أن

[1] – اللديتر : خزان الماء الذي يبرد ماكينة السيارة .

الطريق الذي سلكناه طيلة هذه الفترة طريق لا يؤدى إلى قندوز وأنما يؤدي إلى طاجكستان وهو المعروف بطريق الشاحنات، بدأنا نطلق وابل من الرصاص إلى أعلى ليهتدوا إلينا ويعرفوا مكاننا بالضبط، فجأة ظهرت الشاحنات من بين التلال والوديان وهم يهاتفوننا قائلين بأننا نراكم، هنا سجدنا شاكرين الله والدموع تخضب لحانا من شدة الفرحة، وصلوا إلينا بعد أن رأينا الموت بأم أعيننا وسط هذه الجبال والوديان الموحشة. احتضنونا ودخلنا في عناق طويل يدل على الأخوه الصادقة والمحبة الخالصة لله، فقدموا لكل واحد منا تمرة معها نصف كوب من الماء ورفضوا أن يعطونا المزيد حتى لا يؤدي كثرته إلى مضرة، لم نأكل ونشرب ونسترح منذ ثلاثة أيام فما أقساها من رحلة !

ركبنا معهم الشاحنات رافعين جهاز اللاسلكي عسى ولعل مجموعة ضالة عن الطريق من الإخوة تلتقط الإشارة، أخيرًا وصلنا مشارف مدينة قندوز قبل أن ندخل في الطريق المسفلت الذى ينتهي بك إلى داخل مدينة قندوز حيث مقر قيادة قوات طالبان، كان في انتظارنا قوات طالبان ومعهم المدرعات المنتشرة على طول الطريق وهم يلوحون لنا وتغمرهم الفرحة والسعادة بخروجنا من هذا البلاء.

عرفنا شهامة وتضحية الصنعاني ورفاقه وهذا قل ما نجده في مثل هذه المحن، تجلى ذلك في الأمير غريب الصنعاني منذ أن فارقنا لإحضار الشاحنات رفض أن ينعم بالطعام والشراب وأن يهنأ بالنوم والراحة وإخوانه ظمأى وجوعى يهيمون على وجوههم بين الفيافي والجبال، وبعد إلحاح كثير من زملائه تناول قليلًا من الماء والطعام، الله ... الله من رجال عظماء ذكّرونا بالصحابة رضوان الله عليهم.

عند وصولنا إلى مدينة قندوز علمنا بسقوط مدينة كابول وجلال أباد وقندهار وبقية المدن الأخرى ولم تبقى إلا قندوز وكانت هي المعقل الوحيد لقوات طالبان. وجدنا المدينة في حالة استنفار، المدرعات تخرج منها إلى محيطها ومنصات إطلاق الراجمات تنصب حولها لتكسر الحصار المضروب من أفراد قوات الجنرال الأوزبكي عبد الرشيد دستم من جهة وأفراد قوات مسعود شاه من جهة أخرى، كانت الطائرات الأمريكية في هذه الأثناء تقصف البيوت والأسواق وأماكن تجمع الناس بعنف لكي يجبروا السكان على إخراج الإخوة العرب منها، كانوا يسقطون عليهم منشورات فيها صورة الشيخ " أسامة بن لادن" ومعه صور بعض العرب ويكتبون فيها بلغة الأفغان نحن الأمريكان لا نريدكم أيها الأفغان بل نريد العرب، فإذا أخرجتم لنا العرب من مدينتكم نتوقف عن قصفكم ونعتبركم أصدقاء لنا، لكن الشعب الأفغاني في قندوز رفض هذا النداء وقالوا: لن نسلم أي عربي مجاهد، فهم يعتبروننا أحفاد الصحابة ويجب إكرامنا وإذا خرج بعض الشباب العرب إلى السوق لشراء بعض الأغراض وعرفهم البائع أنهم عرب يرفض أن يأخذ الأموال قائلًا له أجعلها في سبيل الله مع أنهم من أحوج الناس لها، وبعضهم إذا عرف أنه عربي حن عليه وقال له: أنتم مساكين يا عرب مطاردون في كل مكان لأنكم تجاهدون أعداء الله ولكن كما تراني أنا شيخ كبير في السن لا أستطيع مساعدتكم ولكن خذ هذه الأموال واجعلها في سبيل الله .

لما كان عدد المجاهدين العرب والجنسيات الأخرى كبيرًا أعدت حكومة طالبان معسكرين لنا لنأخذ قسطًا من الراحة وبعدها نعد أنفسنا للقتال وفك الحصار، كان من المفترض حدوثه ولكن احتارت قوات طالبان ماذا تفعل؛ لأنها محاصرة من ثلاث جهات بقوات الجنرال عبد الرشيد

دستم الأوزبكي الأصل من جهة وقوات القائد مسعود شاه من جهة يساندها غطاء جوي كثيف بواسطة المقاتلات الأمريكية.

أيقنت قوات طالبان بأنها أمام حصار محكم من أذناب أمريكا، لذا اضطرت إلى عقد اتفاق مع دستم وهم يعلمون بأن دستم همه الأول والأخير الاستيلاء على مدينة قندوز قبل دخول قوات مسعود شاه، كانت المنافسة شديدة بينهما على من يدخل المدينة أولًا ينال الحظوة والأموال والمكافأة، فقوات دستم محسوبة على الأمريكان وقوات مسعود شاه تتلقى دعمها الكامل من روسيا وإيران وفرنسا على الرغم من أن الطرفين يتمتعان بالدعم الجوي الأمريكي المباشر.

كان الاتفاق بوساطة قائد بشتوني كان مع طالبان وتركهم وانضم لقوات دستم وكان في نفس الوقت متعاطفًا مع قوات طالبان، كان الاتفاق يقضي بمرور قوات طالبان من قندوز إلى مدينة (مزار شريف)[1] التي كانت تحت سيطرة قوات دستم ومنها إلى مدينة (هيرات)[2] ومعلوم أن هيرات هذه كانت تحت إمرة قوات طالبان قبل سقوطها، وافق الجنرال دستم على عبور قوات طالبان بشرطين هما:

1/ أن تترك قوات طالبان مدينة قندوز له ولا يأخذها قوات مسعود شاه.

2/ أن يمر عبرها الأفغان، والباكستانين، والأوزبك، فقط دون الإخوة العرب.

رد عليه قادة طالبان بأنه ليس معهم عرب، قال دستم: إذن لا بأس .

كانت خطة قوات طالبان أن يمر العرب مع أول دفعة تخرج ويكونوا متنكرين في زيّ الأفغان مع حلق رؤوسهم ويجعلوا في كل شاحنة نصفها

---

[1] – مدينة مزار شريف : تقع في شمال أفغانستان وبها قلعة الجنك المشهورة .

[2] – مدينة هيرات : تقع في الحدود ما بين أفغانستان وإيران .

عربًا ونصفها الآخر أفغانًا حتى لا يعرفوا العرب من الأفغان ويكون هؤلاء العرب بداخل الشاحنة والأفغان بجانب الباب.

كان من شروط طالبان لدستم أن يحمل العابرون أسلحتهم الشخصية الخفيفة ويتركوا الأسلحة الثقيلة في مدينة قندوز.

تهيأ الشباب للخروج، وفعلًا خرجت أول دفعة ومن بينهم (أبو أيمن اليمني القصير الذي شهد جهاد الروس الأول، قتل فيما بعد في القلعة نسأل الله أن يتقبله) ولكنها عادت أدراجها لظهور بعض المستجدات وبرجوعهم تغيرت الخطة برمتها لأنهم أحسوا بوادر الغدر من دستم، هنا رأت قوات طالبان التحالف مع القائد المسئول عن مدينة (بلخ)[1] وكان حليفًا لهم من قبل، اتفق الجانبان على أن يمر العرب جميعًا متجاوزين مدينة مزار شريف المجاورة لبلخ وقد أحضرت قوات طالبان أربع شاحنات لأخذ المجاهدين والتوجه بهم إلى بلخ ليلًا ولكن كانت يد المؤامرة الخسيسة تنسج خيوطها في الخفاء من دون علم قوات طالبان والمجاهدين العرب، وذلك لكثرة المنافقين والخونة المندسين في صفوف طالبان، أحك لك أخي القارئ تفاصيل هذه المؤامرة باختصار.

عندما تحركنا كان الدليل الذي يقودنا إلى بلخ قد باع هذا الاتفاق وقبض ثمنه، فبدلًا من أن يقودنا إلى بلخ قادنا إلى مشارف بوابة مزار شريف، تعجبنا من هذا التصرف وأجرينا بعده مكالمة هاتفية مع قيادة قوات طالبان وأخبرناهم بأننا أمام بوابة مزار شريف، وتفاجاوا هم أيضًا وأخذوا يسألوننا: لماذا أنتم هنا؟ أثناء المحاورة بيننا علمنا منهم بأن الدليل قد خاننا. جاءت طائرة أمريكية في هذه الأثناء وحلقت فوقنا وشكلت دائرة دخانية في السماء كدليل على أننا محاصرون، نزلنا من الشاحنات فإذا بالساحة

---

[1] – مدينة بلخ : مدينة مجاروه لمدينة مزار شريف .

مكشوفة عن وراءنا وعن يميننا وعن يسارنا، وعن أمامنا تقف بوابة مزار شريف على بعد كيلومترات وحولها قوات دستم بكامل عدتها وعتادها.

أخذنا أهبة الاستعداد للاشتباك معهم على الرغم من أننا في منطقة مكشوفة ليست بها متاريس ولا سواتر نحتمي بها، رأينا من على البعد عن يميننا ويسارنا أرتالًا من الدبابات خلفها قوات مشاة تقف وتنتظر الإشارة.

في هذه الأثناء انطلقت مجموعة أفغانية إلى جهة البوابة لإجراء مفاوضات مع دستم، استمرت المفاوضات زهاء الأربع ساعات، وبعد أخذ ورد وافق دستم على مرورنا عبر مزار شريف إلى هيرات وكان يعلم علم اليقين بأننا مجاهدين عرب لأن الخونة سربوا إليه أخبارًا عن وجود عرب مع الأفغان في الشاحنات فقال لنا: لا أسمح لكم بأن تعبروا ومعكم الأسلحة فعددكم كبير وأخشى أن تستولوا على المدينة، لذلك يلزم عليكم تسليم أسلحتكم على أن أعطيكم إياها بعد خروجكم من المدينة.

هنا حصل خلاف بيننا، أغلبنا رفض فكرة تسليم السلاح وقليل وافق على التسليم وبعد مشاورات وأخذ ورد واتصالات بالقيادة في قندوز جاءت الأوامر بتسليم السلاح لأن الأمر لا يحتمل الرفض مع هذا الحصار المحكم وقالوا لنا: إذا رفضتم أمر تسليم السلاح سيقطع الطريق أمام قواتنا القادمة والتي ستمر من هذا الطريق وقالوا: إن حضورنا إلى هذا المكان كان خطأً.

في بادئ الأمر رفض المجاهدون تسليم أسلحتهم، بعد هذه الورطة قال أمير المجاهدين العرب (غريب الصنعاني) سلموا أسلحتكم طالبًا من بعضنا أن يأخذ القنابل معهم. سلمنا أسلحتنا، فيا له من موقف عصيب ! فقد بكى كثيرون من بعد تسليم أسلحتهم وهي تتراكم أمامهم كالجبال.

شاهدنا ونحن نصعد على ظهر الشاحنات سيارات مقبلة نحونا فيها كاميرات قناة الـCNN وبعض القنوات الأخرى وهم يتزاحمون لتصويرنا، وكذلك رجال الصحافة والإعلام العالمي والمحلي كل يريد أن يحظى بهذا السبق الإعلامي.

تحركت الشاحنات نحو البوابة الرئيسية وأمامنا سيارات دستم، عند دخولنا بوابة مزار شريف كان في انتظارنا سكان المدينة عن بكرة أبيهم وكانوا يصرخون في وجوهنا ويظهرون سعادتهم لأننا سلمنا أسلحتنا، حلق الرجال لحاهم وخلعت النساء حجابهن، فسبحان الله ! فقد كانوا قبل أيام ملتزمون بالشرع وها هم يستقبلوننا بالشتائم واللعنات. ونحن نشق طريقنا وسط هذه الجموع الغفيرة الناقمة علينا إلا من رحم ربي، كان بعضنا يحس بالخيانة وبعضنا الآخر يشك وقليل من كان يصدق، أخبرنا أحد الإخوة الأوزبك وقال توجد قلعة عند نهاية المدينة فإذا تجاوزناها فسنكون في سلام وإلا فالخطر سيحدق بنا.

الفصل الثاني



ملحمة قلعة الجنك .. سبعة أيام تحت النار

اقتربنا من القلعة، وهي تبدو من بعيد كالطود الشامخ تسد الأفق أمامنا، فقد شيّدت منذ خمسمائة عام، لها أسوار عالية وعريضة بحيث يمكن للدبابة أن تمشي فوقها، وخلفها قناه ماء، فالقلعة كبيرة من الداخل وهي مكونة من عدة طبقات وفي الأسفل سراديب وغرف، وهي قلعة عسكرية مجهزة للقتال والصمود أمام الحصار وفيها مخازن أسلحة وذخائر كثيرة.

بعد برهة أحسسنا أن السيارات غيّرت مسارها واتجهت نحو البوابات الضخمة للقلعة، تجاوزنا البوابة الأولى ونحن نسمع صرير البوابة الثانية تفتح والطريق إليها محاط بأشجار كثيفة تأخذ حذا بعضها البعض، مررنا من

خلالها إلى البوابة الثالثة، بعد تجاوزنا لهذه البوابة وجدنا أنفسنا في ساحة واسعة تتوسطها بناية من طابق واحد تحتوي على (بدروم) مثل ارتفاعها تحت الأرض وعلى جوانب الساحة أشجار كثيفة تجري من تحتها أنهر وجداول، أنزلوا الأخوة الذين كانوا في الشاحنة الأولى وفتشوهم بحضور بعض رجال المخابرات الأمريكية ومنظمة الصليب الأحمر الدولية وقناة الـCNN . الآن علمنا أن الخيانة قد وقعت وأن الطامة الكبرى حلت بنا، استمروا في التفتيش شاحنة تلو شاحنة في هذا الوقت طفق بعضنا في تمزيق أوراقه الثبوتيه وبعضنا يمزق وصيته التي كتبها لأهله وطائفة ثالثة يتخلص من سلاحه الذي لم يسلمه من قبل، كان موقفنا رهيبًا والوقت قبيل المغرب من يوم الجمعة 9 رمضان 1422هـ ونحن صائمون. أثناء إجراءات التفتيش وقع دوى انفجار قوى نظرنا مكان الانفجار فوجدنا ضابطًا ذا رتبة كبيرة وبعض جنده ممددون في الأرض وأجسامهم مضرجة بالدماء وبالقرب منهم جثة أبو أحمد السوداني على الأرض، علمنا بأن أبا أحمد قد فعلها، حيث فجّر نفسه بقنبلة كانت بحوزته. أبو أحمد هذا رجل أسمر اللون وفيه صفات النبل والكرم والشجاعة وتظهر فيه علامات التقوى والورع وهو علاوة على هذا رجل خلوق كثير الصمت وقد خاض غمار معارك كثيرة عرفته ساحات الوغى، بالشكيمة وقوة البأس، نسأل الله تعالى أن يتقبله، كان لا يثق في نوايا الأعداء من أول يوم تسليمنا للسلاح، أما القائد الكبير الذي قتله فقد كان مطلوبًا لدى طالبان منذ زمن بعيد فقد كان هذا القائد قد قتل كثيرًا من أفراد قوات طالبان والآن أخذ جزاءه على يد هذا البطل المغوار، رأينا أصحابه يبكون وينوحون عليه كالنساء وهو يرغي كالبعير يطلق أنفاسه الأخيرة، أخذ الغضب يتملك أصحابه وهموا أن

ينتقموا منا بفتح نيران بنادقهم ليشفوا غليلهم ولكن جاءتهم أوامر من أسيادهم الأمريكان بعدم قتلنا.

بعد هذه الحادثة صدر أمر من الأمريكان لرجال دستم بتشديد إجراءات التفتيش فأسرعوا بإدخالنا إلى قبو تحت الأرض عبر سلم لولبي أنزلونا جميعًا وعددنا يبلغ خمسمائة مجاهد وحشرونا في خمس غرف بها صالة كبيرة وممرات ودهاليز دامسة الظلام. إذا أخرجت يدك لم تكد تراها، وبها طاقات ونوافذ صغيرة في الأعلى، مساحتها حوالي 20 × 20 سم تتخللها قضبان طولية وعرضية بصورة محكمة بحيث أنك تعجز تمامًا إذا حاولت تحطيمها ويأتيك من خلالها ضوء الشمس ضئيلًا من مسافة بعيدة جدًا، بينما نحن في هذه الحالة إذ أخذ أحد الإخوة يتحسس قنبلة كانت بحوزته استطاع أن يفلت بها من التفتيش، أخرجها للإطمئنان عليها ولكن شاء الله بأن ينفك صمام الأمان فانفجرت وسط جموع الإخوة فقتلته هو وأحد الإخوة الباكستانين وحكيم التعزي (وكنيته مقاتل التعزي) أحد المقاتلين البارزين، كان هذا قضاء وقدرًا، نسأل الله أن يتقبلهم.

سمع رجال دستم دوي هذا الانفجار وهم في الخارج، ظنوا بأنا نريد التخلص من حياتنا فطفقوا ينادون علينا قائلين لا تقتلوا أنفسكم، لا تقتلوا أنفسكم، بيننا وبينكم عهد وميثاق سوف تخرجون غدا من هنا وتذهبون إلى هيرات كما وعدناكم، فقط أنتم هنا للتفتيش وأصبح الإخوة ما بين مصدق ومكذب.

كانت هذه الليلة الأولى من ليالي القلعة فيا لها من ليالي عصيبة! رأينا فيها الأهوال وعايشنا فيها مواقف بطولية نادرة وقوة إيمان وثبات على الحق وشوق للشهادة وملاقاة الله تعالى كما ظهرت فيها كرامات سأسرد لك تفاصيلها كل في موضعه إن شاء الله.

اليوم الأول: السبت 10 رمضان 1422 هـ عصرًا

طلب رجال دستم بأن نخرج إليهم (اثنين اثنين) وهم في الطابق العلوي، خشينا أن تؤدي هذه الطريقة للتعرف على العرب، فكرنا في أن يكون أحد الاثنين عربيًا والآخر باكستانيًا أو أفغانيًا وعند الحديث والحوار يلتزم العربي جانب الصمت ويتكلم الباكستاني أو الأفغاني حتى لا ينكشف أمر العرب.

كنا لا ندري ما يحدث لهم هناك، فالذي كان يحدث في الطابق العلوي أن الأخوين عندما يخرجان من الباب ويغيبان عن الأنظار يهجم عليهما خمسة من كلاب دستم المدججين بالسلاح ويضربونهما ضربًا مبرحًا ويخلعون منهما كل شيء: ساعات، حافظات، نقود، أحذية، عمائم، نظارات سترات واقية للبرد، ويتركون لهما الملابس الساترة فقط "السروال الأفغاني والقميص"، ثم يعيدون الكرة في التفتيش بعد أن يقيداهما بالعمائم في العضد ويشدون يديهما إلى الخلف حتى يؤدي ذلك إلى إيقاف الدم في العروق، هذا ما كان يحدث لإخواننا في الخارج.

وتتوالى العملية على هذه الوتيرة ونحن لا نعلم ما يحدث في الخارج، خشيت بأن يعرفوا أن هناك جنسيات أخرى غير الباكستانين معهم وأنا كنت الأسمر الوحيد بينهم بعد رحيل أبو أحمد السوداني وخشيت أن أكون سببًا في انكشاف أمر بقية الإخوة العرب، فكرت في حيله لثمت وجهي بالعمامة وخرجت مع باكستانيين اثنين، أحدهما كان مصابًا والآخر صحيحًا، طلبت من الأخ المصاب أن يستند علي، ادعيت بأنني أمارضه في حين يتولى الباكستاني الآخر الحديث معهم وألتزم أنا جانب الصمت لأنني لو تكلمت العربية سينكشف أمرى وأمر بقية الإخوة العرب، ولكن باءت

خطتي بالفشل، لأنهم مجرد أن وصلتهم نزعوا لثامي وتفاجؤوا بلوني الأسمر فصاروا يصرخون عربيان .. عربيان .. عربيان، وجردوني من كل شيء إلا إزاري وردائي وأسرعوا في تقييد عضدي والركلات واللكمات تتوالى علي من كل جهة وهم مستمرون في صرخاتهم عربيان عربيان كأنهم وجدوا ضالتهم في شخصي، وأنا أقول لهم : نهى عربيان .. بلوشي .. بلوشي ...بلوشي، والمقصود لست عربيًا لست عربيًا إنما أنا بلوشستاني، وقلت بلوشستاني لأن بلوشستان قبيلة باكستانية يميل لون أفرادها إلى السمرة، المهم أخذوا يتناوبون علي بالضرب والصراخ إلى أن خرجت إلى الساحة.

وجدت إخواني الذين سبقوني مقيدين يتألمون من شدة وطأة القيد عليهم، وكل واحد يتمنى أن يرخى له القيد قليلًا حتى يرتاح مما هو فيه من الآلام بسبب احتباس الدم في العروق، بعضهم أغمي عليه، بعضهم خدرت أيديهم لفترة طويلة، وأعداء الله لا يبالون برجاءاتهم البائسة. كان يقف أمامهم أمريكي ضخم الجثة يتدلى من على رقبته سلاح (GM3) وفي يده دفتر يسجل عليه البيانات، كان أول ما وقع عليه نظري هذا المنظر وأنا خارج إليهم، قادوني إلى ضابط كبير، أشار إليهم الضابط أن يجلسوني في مقدمة صفوف الإخوة المقيدين، أتذكر أنني جلست قرب أحد الإخوة القطريين يدعى أبو ثابت، سألته بصوت خفيض ما الأمر؟ رد علي بصوت أخفض من صوتي قائلا : أسكت .. أسكت لا تتحدث العربية، عند انتهائه من كلامه رأيت الأمريكي يتجه نحوي، وقف أمامي مباشرة وأنا أتلوى من شدة الألم، سألني ما اسمك ؟ احترت بأي لغة أجيبه، فإن تكلمت بالعربية سينكشف أمري، وفجأة خطر ببالي أنني أجيد اللغة النوبية وهي لغة أجدادي الدناقلة في شمال السودان، شرعت أكيل عليه الشتائم واللعنات بالنوبية وهو ظل يردد: ما اسمك ؟ ثم يردف سائلًا: من أي

البلاد أنت؟ وأنا مستمر في الشتائم واللعنات والإخوة المقيدون حولي يضحكون رغم الآلام ومندهشون من هذه اللغة ومن أين جاء بها هذا السوداني ! فهم سلفًا يعرفون أنني أتحدث العربية، ثم يواصل هذا الأمريكي أسئلته ويقول : كم عمرك ؟ وأرد عليه بأقذع أنواع السباب وهو يتخيل بأنني أجيب على أسئلته، ويواصل.. أأنت نيجيرى، مالي، سوداني، وعندما يئس مني سمعته ينطق بكلمة أفريقي ويسجلها في دفتره ويذهب لغيرى..

تأكدت تمامًا مما يحصل بالخارج، أخرجوا أغلب الشباب من القبو ووضعوهم في شكل صفوف هيئة الواحد منهم وهو جاث على ركبتيه ويديه مقيدتان ومشدودتان إلى الخلف كهيئه وضع الجنين وهو في بطن أمه، فيا له من منظر مؤثر يندى له الجبين ويثير في النفس الشفقة والرحمة. انتهكت آدميتنا بهذه الطريقة المهينة التي لا تحدث حتى مع الحيوانات. رأيت وأنا في هذه الحاله بعض الأفراد يقودون الأمريكى المجاهد جون ووكر وهو مايزال بلباس المرضى؛ خصصوا له مكانا وعليه الأغلال وكان بعيدًا عني قليلا، لا أذكر إن كان جالسًا على الارض أم على مقعد، كانت كاميرات الـCNN وغيرها موجهة نحوه وبعض الأمريكان يحققون معه، وفي مكان قريب من البوابه أيضا رأيت سليمان الشيشاني (قتل فيما بعد في روسيا بعد أن خرج من غوانتنامو) وكان فيه ملامح من جون ووكر وأيضا يحققون معه، وكان تحقيقهم معهم يختلف عنا باعتبار أنهما غربيان وتفاجأ بهما الأمريكيون لاسيما جون ووكر.

كانت ساحة القلعة مليئة برجال دستم والمخابرات الأمريكية والقنوات الفضائية المختلفة وأفراد من الصليب الأحمر (الأسود) الدولي، ضربت حولنا ثلاثة أطواق من الحراس المدججين بالسلاح، الطوق الأول حولنا

مباشـرة يليـه الطـوق الثـاني، أمـا الطـوق الثالـث فهـم القناصـة الـذين كـانوا ينتشرون فوق أسوار القلعة.

خـرج جميـع الإخـوة مـن القبـو إلا (الأسـود الأوزبكيـة) كانـت تشـم رائحـة الخيانـة مـن أول لحظـة -لأنهـم يعلمـون صـفات الجنـرال دستم تمامًـا، كيـف لا؟ وهـو مـن بـني جلـدتهم وقـد حـاربوه مـن قبـل- ولم يخرجـوا في بادئ الأمـر بـل اجتمعـوا مـع أمـيرهم وتبـايعوا علـى المـوت، اتفقـوا علـى حيلـة بأن يرسـلوا أحـدهم يسـتطلع الأمـر وإن قـبض عليـه للتفتـيش يرفـع صـوته عاليـا ليخـبرهم بالحاصـل حـتى يخرجـوا جميعـا للاشـتباك، صـعد الأخ إلى أعلـى، قبضـوا عليـه وقيـدوه وأخـذوا مـا معـه، هنـا رفـع صـوته عاليـا، حـتى يُسـمع بقيـة الأسـود وأخـذ يصيح بأعلـى صـوته قـائلا: لمـاذا نقضـتم عهـدكم؟ ولمـاذا الخيانـة ؟ أنـتم قلـتم لنـا ستذهبون إلى هيرات.. لماذا الخيانة..؟

هنـا قامـت الأسـود الأوزبكيـة قومـة رجـل واحـد واتجهـوا نحـو ممـر، عبـارة عـن سـرداب يـؤدي إلى باب آخـر يخرجـك مـن تحـت الأرض، وجـدوا البـاب موصـدا أمـامهم، حـاولوا تحطيمـه ولكـنهم لم يفلحـوا، عـادوا أدراجهـم مـرة أخـرى منـدفعين كالسـيل الجـارف وهـذه المـره نحـو باب السـلم اللـولبي، صـعدوا إلى أعلـى واتجهـوا نحـو الحـراس الـذين كـانوا يقيـدون الإخـوة وهجمـوا علـيهم بكـل ثقلهـم، وأخـذوا يلقـون علـيهم القنابـل الـتي كانـت بحوزتهم وسـط تكبـيرات تهـز أركـان القلعـة، عنـدما سمعنـا دوي القنابـل وأصـوات التكبـيرات امـتلأت نفوسـنا بالحماسـة والتضـحيه للفكـاك مـن هـذا الوضـع المـذلّ ولكـن أعـداء الله لم يمهلـونا وشـرعوا يفتحـون نـيران أسـلحتهم علـى المقيـدين يحصـدوهم بـدم بارد يعاونهم في هذا أفراد من الاستخبارات الأمريكية.

وبخـروج الأسـود الأوزبكيـة إلى السـاحة فُتحـت علـيهم نـيران جهـنم واشـتعلت القلعـة وأخـذت تغلـي كالمرجـل واخـتلط الحابـل بالنابـل واخـتلط صـراخ النـاس

وهدير الرصاص، ودوي القنابل و الرصاص يتساقط على المقيدين من كل صوب والناس مابين قتيل وجريح وهارب وزاحف على بطنه وسط القتلى والجرحى وقذائف الـ (آر – بي – جي) تخترق أجساد الإخوة المقيدين وغير المقيدين. كانت معركة شرسة قتل فيها الكثير من الإخوة من بينهم أميرنا غريب الصنعاني حيث استقرت إحدى القذائف (آر_بي_جي) في صدره.

في غمرة هذه الأحداث الرهيبة رأيت بطولات نادرة وشجاعة وإقدام من بعض الإخوة مثل مثنى الحربي، كان شابًا صغير السن وقد هجم على جندي للقضاء عليه، ولكن لقي حتفه في الحال، ولا أنسى طلحة المكي هجم على جندي أيضًا وهو مقيّد وقد قتل هو الآخر أيضًا، رأيت أيضا أحد الإخوه ويكنى بأبي العطاء اليمني (طالب علم من مدينة تعز) استطاع أن يتحرر من قيده ويمتطي حصانًا أبيضًا ويشق جموع الأعداء محاولًا أخذ السلاح منهم ولكن عاجلوه بإصابة قاتلة.. الله..الله من شباب قدموا أرواحهم فداء لنصرة الحق.

أرجع بك أيها القارئ مره أخرى إلى ذلكم الضابط الأمريكي (جوني مايك سبان) الذي كان يتولى التحقيق مع الإخوة في الساحة، كان هذا الرجل ذو مكانة رفيعة ورقمًا لا يستهان به في الاستخبارات الأمريكية، جاء إلى أفغانستان منذ 13عامًا ليدرس العرقيات والثقافات الأفغانية وطبيعة البلاد وأخلاقيات أهلها وكان يرفع تقارير دقيقة إلى الإدارة الأمريكية أولًا بأول، وعندما احتدمت المعركة بين الإخوة والحراس كان هو من ضمن الذين كانوا يفتحون نيران بنادقهم على المقيدين بلا رحمة .

كان يراقب هذا الموقف شاب يمني صغير السن وهو في القيد ويدعى مهند التعزي (كان مسؤولا عن الإعلام في شمال أفغانستان) وقد كان حافظًا لكتاب الله ومعلمًا لنا، كان تقيًا ورعًا عابدًا زاهدًا فيه نبل وشجاعة أهل

اليمن أحسبه والله حسيبه. وجد مهند الاستخبارت في عراك مع أحد الإخوة على الأرض، كان يراقب كل هذا عن كثب لم يحتمل هذا الموقف ونهض ودار حول نفسه في لمحة عين ونزع مسدس الأمريكي المعلق في الجيب الخلفي وأفرغ ما به وجندله على الرغم من أن يديه كانتا مقيدتين، هنا لمحه أحد الأمريكان الذي كان يقف على مقربة منه وقتله في الحال وقتل الأخ الآخر، كانت هذه أيضًا إحدى الملاحم البطولية النادرة حيث استطاع هذا الشاب أن يقتل عضوًا كبيرًا في الاستخبارات الأمريكية، كان يلقب بثعلب أفغانستان وبعد مقتله أطلق عليه (أسد القلعة). رأيت فيما بعد في غرف التحقيق في شاشات العرض تشييع جثمانه وكان يسير خلفه جورج بوش وهو يكفكف دموعه، رأيت هذا في معتقل غوانتنامو..

وبينما رحى المعركه تدور على هذا المنوال إذا بي أحس بطلقه تأخذ من لحم ظهرى بأعلى الحوض، قلت في نفسي إنها ساعة الشهادة طفقت أهلل وأهلل، وبينما أنا كذلك سمعت أحد الإخوة الليبين (عبد السميع الليبي) وهو من الأسود الثائرة يهتف بأعلى صوته قائلا: قوموا قومة رجل واحد ولا تموتوا ميتة الدجاج، فكبرنا وقمنا وصار كل واحد يفك قيد أخيه بأسنانه ويقوم هو بدوره بفك قيود الآخرين وهكذ تم فك قيود جميع الإخوة. بعدها تفرقنا، ذهب نصفنا نحو البوابة الرئيسية ونصفنا الآخر لجأ إلى وسط الأشجار داخل القلعة،كانت المجموعة التي على الباب تظن بأن من هم تحت الأشجار قد قتلوا وكانت المجموعة التي تحت الأشجار تظن أن من هم عند البوابة قد قتلوا.

بدت الساحه خالية إلا من القتلى الذين هم في قيودهم، انسحب رجال دستم إلى الأسوار العالية وبدؤوا يفتحون نيران أسلحتهم تجاه البوابة ونحن تحتهم مباشرة ولا يروننا ، هنا استشعرت عظمة الله ولطفه بنا واستحضرت

قوله تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾[1] . " ساعتئذ جاءت طائرة أمريكية ضخمة كنا نسميها "الجاموسه" وألقت أطنانا من المتفجرات وسط القلعة، كنت من ضمن المجموعة التي احتمت بالأشجار، كنا نبحث عن منفذ يخرجنا من هذا الجحيم ولكن دون جدوى فالقلعة أسوارها عالية وسميكة لدرجة أن الدبابات يمكنها أن تتحرك من فوقها، وفي كل ركن تقف أبراج شاهقة يتمركز حولها رجال الجنرال دستم، والجزء الأسفل من هذه الأسوار عبارة عن مخازن أسلحة كانت لطالبان قبل سقوط مزار شريف ثم استحوذ عليها دستم وهي مليئة بالذخائر كما أن بعض الغرف كانت تستخدم كإسطبلات للخيول.. تتبع بعض الإخوة مجرى نهر صغير كان يمد القلعة بالمياه العذبة لسقاية الأشجار والخيول، حاول الإخوة الخروج منه إلى الخارج وقد نجح بعضهم. حصل هذا وهم فوقنا ولا يروننا والمعركه تدور رحاها بينهم وبين إخواننا الذين استولوا على البوابة وكان بإمكانهم الخروج عبرها ولكن علموا أن خروجهم سيوقع بهم في قبضة القوات التي تحيط بالقلعه من رجال دستم والأمريكان، لذلك فضلوا البقاء بالداخل مع استحكام السيطرة على البوابة.

رأيت عدة مواقف بطولية وشهامة نادرة لا أنساها أبدًا، منها أني كشفت ظهري للإخوة طالبًا منهم أن ينظروا إن كانت هناك شظية أو رصاصة ظاهرة ليخرجوها وفي ظني أنني أشدّهم إصابة، حتى رأيت أحد الإخوة المغاربة ويدعى نجيب المغربي يحمل ذراعه اليمنى المكسورة وهي معلقة على الجلد فقط وهو يسأل ويبحث عن سكين أو زجاج أو أي شيء حاد لكي يقطعها، وحين لم يجد

[1] – سورة يس الآية رقم (9)

ما يريده، وضعها تحت رجله وأخذ يشدها بكل قوته ليتخلص منها، ولما فشل في ذلك أخذ يمدها للإخوة طالبًا منهم قطعها، وبينما هو في هذه الحال، إذ ألقت طائرة أمريكية قذائف شغلتنا عن قطع يده وكان هذا خيرًا له، وفيما بعد تقابلنا في غوانتنامو فوجدت يده وقد تحسنت قليلا وبعد أن أفرج عنه أدخل إحدى المستشفيات في بلاده وأجريت له عملية جراحية ناجحة وعادت يده سليمة، سبحان الله..! كان يريد شيئا والله تعالى يريد له شيئا آخر... قتل نجيب فيما بعد في الشام على سواحل اللاذقية، لم يطيب له القعود وإخوانه يقتلون ويذبحون ونساء المسلمين تغتصبن فهاجر إلى سوريا وكان من أركان وأسود (حركة شام الإسلام) وهي جماعة مستقلة هدفها قتال النصيرية. واستشهد أسد من أسود القلعة وغياهب غوانتنامو مقبلا غير مدبر نسأل الله أن يرزقه الفردوس الأعلى.

وموقف آخر حيث رأيت الإخوة عندما اشتدت عليهم زخات الرصاص وقذائف الـ (آر – بي – جي) وأيقنوا بأن لا مفر لهم من الموت أخذوا الحجارة واتجهوا بها نحو أحد الأبراج وبدؤوا يرشقون الجنود لإجلائهم من مراكزهم ويرد عليهم الجنود بوابل من النيران وهم يختبئون مرة ويظهرون مرة أخرى من خلف البراميل و الجنود يتقون هذه الحجارة التي تتساقط عليهم كالمطر، واستطاع رجال دستم قتل عدد منهم (عطية الزهراني) أما البقية التي لم تصب أو تقتل انضمت إلى إخوانهم عند البوابة.

أما الموقف الثالث فكان من أحد الإخوة المغاربة الأوفياء حيث رأى صديقه (فاروق المغربي) مضرجًا بدمائه في منطقة مكشوفة، أخذ يزحف نحوه وعندما وصل إليه أغمض له عينه وقبله في جبينه ثم عاد إلى مكانه

وهو لا يبالي بالرصاص المتساقط من كل مكان. فيا لها من صداقة ومحبة في الله ! لله دره من رجل.

وجدنا نحن بين الأشجار قاذف (آر- بي - جي) مع قذيفته صوبناها نحو العدو المتمركز فوق الأسوار، حاولنا إطلاق القذيفة عدة مرات ولم نفلح وذلك لأن القذيفة كانت رطبة فتركناه والرصاص يتساقط علينا من كل جوانب القلعة بطريقة عشوائية وقتل عدد من الإخوة أمام عيني.

وأتذكر موقفًا آخر، في خضم هذه المعركة جاءت رصاصة طائشة على أخينا دحية اليمني (نسأل الله أن يفرج عنه من غوانتنامو) وسلخت جانب جبهته اليمنى وسقط بين الحشائش ، ظننته قد قتل، فقلت لمن حولي: دحيه قتل، فقام من فوره وقال: أنا ما قتلت يازول، وعلت وجوهنا ابتسامة سريعة..

هبط الليل علينا بأستاره المظلمة والقتال يدور والطائرات تقصف مواقعنا، في هذه الأثناء أخذت أزحف لأصل إلى إخواني عند البوابة قاطعًا الساحة الملتهبة التي تفصل بيني وبينهم، ومعلوم أن كل من يظهر في هذه الساحة يكون هدفا سهلًا للعدو، لأن أرضها مكشوفة، سلكت جانب الساحة أخذت أزحف بين القتلى المقيدين ولا أرفع رأسي، وفجأه انفجرت إحدى الشاحنات التي أقلتنا وأنارت الساحة، وماكان مني إلا أن تظاهرت بأني ميّت بين القتلى إلى أن هدأت النيران، وواصلت الزحف متوقعًا أن تقتلني رصاصة أو قذيفه طائرة في أي لحظة، أثناء زحفي وجدت نهرًا أمامي وبكل هدوء دخلت الماء وقطعته كالتمساح ورأيت أحد الإخوة (يوسف الشهري رحمه الله الذي قتل مؤخرًا في الحدود اليمنية السعودية) خلفي وفعل ما فعلت.

وقتئذ وجدنا الإخوة يحطمون أبواب المخازن القابعة تحت الأسوار بحثا عن الأسلحة والذخائر، بعد أن تمكنوا من تحطيم أبوابها وجدوها مليئة بمختلف أنواع الذخائر، وأخيرًا وجدوا مخزنًا في ركن قصي به مدفعا هاون وذخيرة بكميات وفيرة، حملوا ذينك المدفعين ونصبوهما على أحد أركان القلعة على مقدار 89° درجة، لأنك إذا أطلقتها بدرجة 90° تنطلق القذيفة عموديًا وترتد إليك لتصيبك وأما إذا أطلقتها على مقدار 89° درجه تقع إما فوق السور مباشرة أو خارجه، كانت هذه فكرة الأوزبك.

كان الأعداء يتمركزون حول الأسوار ودباباتهم تنتشر بكثافة وأعداء الله يحاولون التسلق بعد أن أجبرناهم على النزول، بدأ الأوزبك في تشغيل المدفعين وبقية الإخوة يجلبون لهم القذائف من المخازن المليئة بها، فتسقط فوق الأسوار وخارجها، حدث إرتباك في صفوفهم حيث كبدناهم خسائر فادحة في الأرواح والعتاد، قتلنا حوالي ثلاثمائة عنصرًا منهم باعتراف الجنرال دستم، كما قتلنا حوالي خمسة عشر آخرين من عناصر القوات الأمريكية الخاصة المتعاونين معهم، فيما بعد سألنا أنفسنا مندهشين هل كان في إمكاننا قتل كل هذا العدد؟!. سبحان الله ! كنا نريد قتالهم حينما طلبوا منا تسليم السلاح لكن تراجعنا حين رأينا الطائرات تحوم فوقنا ودبابات العدو على يميننا ويسارنا والساحة مكشوفه وموقعنا صعب وليس في إمكاننا النيل من أحدهم لذا كان تسليم السلاح خيرًا لنا ..

نعود إلى إخواننا في البوابة فقد أظهروا بطولات قلما تجدها عند الرجال، فقد ضربوا أروع الأمثال في الاستبسال والتضحية والثبات فقد ظهرت معادنهم وقوة بأسهم وشكيمتهم، نصبوا عند البوابة مدفع (BM)[1] وكلما

[1] – BM : هي إحدى الصواريخ التي تطلق من منصة ثابته على الأرض وتعرف عند العرب ، الراجمات أو الكاتيوشا . وعند الأفغان الواحدة منها تسمى BM

حاول العدو الدخول عبرها بمدرعاته الثقيلة ردوهم على أعقابهم صاغرين وبقية الإخوة يستخدمون سيارة بها سلاح مضاد للطيران "دشكا" (كان عليها خطاب اليمني نسأل الله أن يتقبله) لتطهير الأسوار من هؤلاء الأنجاس الخونة. ومن المواقف المشرفة التي تدل على الشجاعة أنه كان هناك سلاح خفيف "كلاشنكوف" مرتكز في إحدى فتحات القلعة ويقف خلفه ما يقارب العشرة، من الإخوة إذا قتل الرامي يحل محله آخر من هؤلاء العشرة حتى قتلوا عن آخرهم ولا أدري أسحب هذا السلاح من مكانه أم ترك ؟ وحينها كنت مضرّجًا بدمائي بين المدفعين حاولت أن أساعدهم في جلب القذائف ولكنني لم أستطع بسبب الإصابة،كانت الأرض تهتز من حولي ودوي المدافع يصك الآذان وأنا في هذه الحال كنت أسمع الإخوة يقولون لي: قم ..تحرك إلى الداخل، قم ..تحرك إلى الداخل، وأنا مصرّ على المشاركة بقدر ما أستطيع إلى أن جاءني أحد الإخوة ويدعى أبو عيسى الجداوي واسمه فارس، (قد قتل فيما بعد). وحملني إلى داخل القبو.

حين دخولي القبو وجدت الغرف والممرات مليئة بالقتلى والجرحى والمكان مظلم ولا تسمع إلا ابتهالات الجرحى ولا تشم إلا رائحة المسك، لم أجد سوى عربيا واحدا وهو أبو ثابت القطري الذى كان يقول لي (أسكت ولا تتكلم العربية) عندما كنا مقيدين في الساحة، وقد قتل أيضا فيما بعد، سألته عن الإخوة العرب أشار إلي بأنهم في الغرف المجاورة، زحفت وسط الجرحى والقتلى حتى وصلت إليهم اتخذت مكانًا في وسط الغرفة والمكان يلفه ظلام دامس ولا تسمع فيه إلا دوي المدافع والطلقات.. سمعت هاتفًا من أحد الإخوة يخبرني ولعله أبو الوليد المكي (نسأل الله أن يفرج عنه من غوانتنامو وهو صديق عمار المكي الذي قتل في القلعة) يقول: صديقي أبو يعقوب الأردني بجواره وهو جريح، هممت بأن أتحدث معه ولكن أجلته

بسبب الإرهاق الشديد والأرق، بعد فتره أخبرني أبو الوليد بأنه مات متأثرًا بجراحه، حيث كان مصابًا إصابة بليغة بقذيفة اخترقت بطنه وأخرجت أحشاءه، تحسرت بأنني لم أتمكن من الحديث معه في حينه وأسمع صوته،كان هذا الصديق قد أوصاني قبل دخولنا القلعة أن أخبر عمه المقيم في ألمانيا في حالة ما إذا قتل، أن أخبر والديه في مدينة الكرك بالأردن، كان قد أعطاني اسم المدينة التي يقيم فيها عمه بألمانيا واسم المسجد الذي كان يتردد عليه، ولكن في خضّم هذه الأحداث المتوالية ضاع مني العنوان ولست أدري إن كان أهله قد علموا بمقتله أم لا .. وفي غوانتنامو وجدت أحد أفراد الصليب الأحمر (الأسود) الدولي أردني الجنسية ويقطن مدينة الكرك أخبرته عن مقتل أبي يعقوب الأردني ليبلغ أهله في الكرك، إلا أن رده كان عجيبا لم أتوقعه، قال لي لا أستطيع أن أخبر أهله إلا أن تحضر لي شهادة وفاة، ولكن أنى لي أن أحضر شهادة الوفاة ؟ فيا له من طلب مستحيل ! أسأل الله أن يكون أهله قد علموا بمقتله وأن يثبت أفئدتهم.

اليوم الثاني: الأحد 11 رمضان 1422 هـ

طيلة فترة الليلة السابقة لم يتوقف القتال والإخوة في مواجهة الطيران الأمريكي والجيش الدستمي إلى أن حل الظلام وهدأت الأحوال وقلت أصوات الرصاص نسبيًا في هذا الوقت رتب الشباب أوضاعهم وتقسموا إلى مجموعات، الباكستانين حول أميرهم، والأوزبك حول أميرهم أيضا، وكلهم تحت إمرة أخينا الأمير عبد العزيز النعماني اليمني، وذلك بعد مقتل أمير الجماعه غريب الصنعاني في الاشتباك الأول رحمه الله.. بدأ القتال بيننا وبين الأمريكان المدججين بالأسلحة، والطائرات تقصف وتدمر بعنف، والإخوة يحتمون من نيرانهم تحت أسوار القلعة الشامخة، وكذلك رجال الجنرال دستم العملاء يفتحون النيران علينا وهم يقفون في خندق واحد معهم .

من المعلوم أن الأمريكان حين تحرك الإخوة وفكوا قيودهم وقتلوا أربعة منهم لاذوا بالفرار وفي صحبتهم عناصر الصليب الأحمر (الأسود) وبقي في الساحة أفراد من تلفزيون الـ CNN يصورن مشاهد القتال العنيف والقنابل تتساقط هنا وهناك والرصاص يمر من أمامك ومن خلفك وتحت أرجلك ولا تسمع إلا صوته ولا تشم إلا رائحة البارود.

خرجت قناة الـ CNN بحصيلة ضخمة من المشاهد الحقيقية الحية للقتال حيث الجثث تتساقط والأجسام تتمزق وتتطاير أشلاؤها، الذى يرى هذا الفلم يظن بأنه نوع من أنواع الخدع السينمائية وفي واقع الحال هي كانت أحداث حية وهي الآن موجودة لدى الاستخبارات الأمريكية C.I.A، وقد شاهدت بنفسي هذا الفلم في غرف التحقيق في غوانتنامو،

وقد أشاد المحققون والضباط الأمريكان ببسالة هؤلاء الإخوة وشدتهم في القتال.

نرجع إلى موضوعنا وهو بداية اليوم الثاني، كنت ملقيًا على بطني بسبب الرصاصة الغادرة التي جاءتني من الخلف واستقرت في بطني وما علمت بوجودها إلا بعد عامين، حاولت أن أقف على رجلي مرارًا لأداء الصلاة ومعاونة إخواني الذين يقاتلون في الخارج وليس معهم إلا القليل من السلاح، بينما القوات الأمريكية تستخدم سلاح القنص ذو المناظير الليلية، كلما أصيب أحد الاخوة أدخلوه إلى القبو، بين الفينة والأخرى كانوا يأتون بجريح حتى أخذ عدد المجاهدين يقل في الخارج، وإذا قتل أمير نصبوا آخر مكانه .. طبعًا لم نأكل منذ أن دخلنا القلعة إلا قليلًا من الأرز وأخذنا جرعات قليلة من الماء، ولما اشتدت بنا وطأة الجوع عمد بعض الإخوة إلى خيل فذبحوه وطبخوه على أغصان الشجر ووزعوه على الإخوة، كان هذا آخر طعام ذقناه لمدة سبعة أيام.

أخذ يزداد عدد الجرحى شيئًا فشيئًا حتى ضاقت الممرات والغرف من جراء القتال المستمر وتساقط الإخوة باستمرار، والدعم والمساندة مستمرة من الأمريكان بالأسلحة الحديثة خاصة القناصات المحمولة عليها المناظير الليلية والطائرات التي ترمي أطنانًا من المتفجرات، مع ذلك استطاع المجاهدون أن يلقنوا العدو درسًا لن ينساه من فتية آمنوا بربهم، فهم صغار في الأعمار كبار في الأعمال، نعم والله لقد رأينا الشجاعة والبسالة من أناس لم نحسب لهم حساب، أخذ الأسود يواجهون هذه القوه بقوة الله ثم ببعض الأسلحة الثقيلة التي كبدت العدو خسائر فادحة .. نعم استطاع هؤلاء الفتية السيطرة على القلعة ونصبوا على بواباتها صواريخ (S.P.G.Nay)

كلما حاول العدو الدخول أو الاقتراب من البوابة أطلقوا عليه الصواريخ لتدمر دباباتهم فعلموا بصعوبة الاقتحام من ناحية البوابة الرئيسية.

بعد أن استتبت الأوضاع نسبيًا في القلعة تشاور الإخوة فيما بينهم بإعداد خطة للهجوم على مدينة مزار شريف مع تباشير الصباح الباكر أي صباح اليوم الثالث، ليتحرروا من هذا الحصار المضروب عليهم وكذلك من أجل مناصرة إخوانهم الأفغان المحاصرين في مدينة قندوز.. بعد أن فقدنا مائة وخمسون من المقيدين بقى في القبو مائتين مقاتل، مائة منهم جريح ومائة قتيل. وضعت الخطة للهجوم ثم أرسلوا من يخبرنا داخل القبو بذلك ويطلب كل من يستطيع من الإخوة الجرحى المشاركة، حدث كل هذا عند منتصف الليل على أن يبدأ تنفيذ الخطة مع بزوغ فجر اليوم الثالث، فجأه وقبل أن نستجمع قوانا جاءت فرقة قناصة أمريكية خاصة مزودة بأسلحة كاتمة للصوت ومنظار ليلي وأجهزة حديثة تكشف موقع أي هدف متحرك تحت ستار الظلام، وأخذت تستهدف الإخوة وتصيبهم في رؤوسهم فقط، وبدأ الإخوه يتساقطون الواحد منهم تلو الآخر وهم لا يعلمون من أين يأتي الرصاص ؟! فجأه توقف القنص وبقى قليل من الإخوه الذين لزموا مكانهم، وبعد أن انتهت الفرقة الخاصة من مهمتها جاءت الطائرات الأمريكية وحلقت فوق القلعة وبدأت في إطلاق الصواريخ والقذائف الموجهة بدقة في جميع أنحاء القلعة بما فيها المخازن الخاصة بالأسلحة وكانت تلك الأسلحة عجيبة في مفعولها، كانت تحمل مادة تمحي الأخضر واليابس من الأشجار الكثيفة بحيث بدت ساحة القلعه خالية من أي نبات، كانت الطائرات ترمي وتذهب في السابق، أما هذه المرة كأنهم قرروا الإبادة، فصارت ترمي الأطنان من القنابل العنقودية مع الصواريخ الموجهة لكي تخترق أبواب المخازن، اشتعلت المخازن واحدًا تلو الآخر بطريقة رهيبة، من شدة

الاشتعال كانت النيران الكثيفة تضيء مداخل القبو تلفح حرارتها من كان بالقرب من الباب، كان أمرًا رهيبًا لا يستوعبه العقل ولا تصدقه العين، والأعجب من كل هذا أن المخازن كانت مليئه بذخائر الأسلحة الثقيلة دبابات و راجمات وهاونات وصواريخ (الـ BM) وذخائر دوشكا ووشلكا.. يا للهول! رأينا منظرا لم نصدقه ولم نراه من قبل أبدا، هل تصدق عزيزي القارئ عند انفجار المخازن وشدة الحرارة والاشتعال وكثرة الانفجارات انطلقت الصواريخ والذخائر الثقيلة والخفيفة وأخذت تدمر جدران المخازن وتنطلق إلى أعلى، منها التي تنطلق إلى ناحية مزار شريف ومنها التي تنطلق داخل القلعة ومنها التي تنفجر في محيط القلعة ومنها.. ومنها، استمرت هذه الانفجارات عدة ساعات ولسان حالهم يقول علي وعلى أعدائي.

أرسل المجاهدون الذين في الخارج إلى إخوانهم الجرحى الموجودين تحت الأرض (القبو) يدعون من يستطيع حمل السلاح بأن يخرج للمشاركة حتى ولو كان مبتور الأرجل ويخبروهم بأنهم قد تعرضوا لهجوم مباغت وفقدوا كثيرا من الإخوة. تحرك من استطاع من الجرحى للمشاركة، أتذكر هذا اليوم جيدًا، كان يمارضني أحد الإخوة (مُحَمَّد عبدالله الشنقيطي) من أبناء المدينة المنورة، يبلغ من العمر ستة عشر عامًا وكان مصابًا في ظهره، حين سمع النداء انتفض ناهضا كالأسد وقال لي: استميحك عذرًا وخرج ولم يعد بعدها، علمت لاحقًا بأنه قتل بعد أن أثخن في الأعداء، كذلك كان معنا تحت الأرض فلسطينيان خرج أحدهما للمشاركة في القتال وقتل والآخر كان يطبب الإخوة ويداوي جراحهم وحين سمع بمقتل أخيه خرج هو الآخر وقاتل بضراوة حتى قتل، تأسفت لمقتله لأنه كان الوحيد الذي لديه خبرة في مداواة وتجبير الكسور والجميع مصابون إلا النفر أو النفرين ..

الآن الإخوه الذين يقاتلون في الخارج صار عددهم قليلًا جدًا والقلعة كبيرة وقد جاء المدد للأعداء يساندهم غطاء جوي كثيف، دخلت المدرعات تتبعها حشود من الجند إلى ساحة القلعة والبقية الباقية من الإخوة بين حطام الأشجار وخلف الأبواب ...

أتوقف هنا أيها القارئ حتى أوضح لك لماذا استعملوا كل هذه القوة ؟ ولماذا هذا التوقيت بالذات ؟ وكيف عرفوا خطتنا لمهاجمة مزار شريف ؟

دعني أرجع بك إلى الوراء قليلًا، في اليوم الأول عند اندلاع القتال طبعًا حدث هرج ومرج واختلط الحابل بالنابل واضطربت الأوضاع، في هذا الوضع الهائج أخذ كل واحد يفكر في النجاة بنفسه من هذا الجحيم الذي فتح والرصاص يتوالى من كل الاتجاهات وكل يتوقع أن يقتل في أي لحظة، في غمرة هذه الأحداث اضطرب بعض الجنرالات من رجال دستم واحتاروا في أمرهم وأي مكان يلجاؤن إليه، هرب أحدهم ودخل أول مدخل قابله ونزل بالسلم حتى وصل الطابق السفلي تحت الأرض (القبو) وجلس في ركن قصي يلفه الظلام ودخل أيضًا من الإخوة الجرحى من دخل وأخذ عددهم يتزايد وهذا الشخص يسمع ما يدور بين الإخوة ويتصل مع قاعدتة بجهاز لاسلكي متطور جدًا وينقل لهم ما يدور تحت الأرض وظل على هذه الحال حتى سمع من الإخوة خطة هجوم مزار شريف وعلى الفور أبلغ قيادته والأمريكان بما سيحصل، لم نكن نعلم ذلك لعدة أسباب:

أولا : الظلام الدامس.

ثانيا : الجنسيات المختلفة واللغات المتباينة.

ثالثا : كلنا جرحى ومشغولين بأنفسنا.

لم نكن نعرف بوجود هذا الرجل إلا بعد أن جاءت الطائرات في اليوم الثاني وألقت أطنانًا من القنابل على المخازن وتسلل اللهب وأضاءت بعض

المداخل والممرات تحت الأرض، في هذه الأثناء كان أحد الإخوة بجوار هذا الجاسوس ومع انبعاث الضوء لمح وجه الجاسوس فإذا هو حليق اللحية غير مألوف لديه بين الإخوة، فعمد إلى كشاف صغير ضئيل الضوء وسلطه على وجهه ليقطع الشك، بعدها تأكد تمامًا بأنه أحد رجال الجنرال دستم، وقبضوا عليه وفي أثناء التفتيش وجدوا معه آلاف الدولارات، وجهاز لاسلكي صغير الحجم متطور جدًا جدًا ومعه بطاقه تحمل هويته، ويبدو أنه كان ضابطًا كبيرًا في الاستخبارات وقيل أنه كان الرجل الثاني لدستم.

في أثناء قصف الطائرات على القلعة وتدمير جميع ما فيها من بشر وحجر وشجر أصدر الأمير قرارًا بقتل الجاسوس خوفًا من أن يحصل اقتحام ومباغتة من رجاله بالتالي ينجو من قبضتنا.

نرجع أيها القارئ إلى ما وقفنا عنده فبعد أن انجلى الموقف وقلت الحرائق، تسلق عناصر الجيش الدستمي أسوار القلعة ودخلت الدبابات من الأبواب الرئيسية والطائرات تحلق فوق القلعة كالنسور، كان الإخوة الذين بقوا بعد التدمير في غرفة المطبخ وعددهم حوال خمسة عشر عنصرًا (كان من بينهم سمرقند) والبقية الباقية جرحى تحت الجدران، ياللهول! ترى الجثث بعضها معلقة على جذوع الأشجار وبعضها تطفو فوق الأنهار فياله من منظر مريع يثير الشفقة في قلب العدو قبل الصديق ولكن كل هذا يهون في سبيل إعلاء كلمة الله ونيل الشهادة طالما الغاية سامية ولا بد من بذل النفس والنفيس في سبيل تحقيقها ﴿...إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾[1] .. "فبشرى لهم".

تساءل الإخوه فيما بينهم ماذا نفعل؟ يجب أن نجد مكانًا نتحصن فيه قبل أن يهجم الأعداء ويحاصروننا، وفكروا ثم فكروا، ولم يجدوا حلًا، عندها

[1] – سورة الكهف الأيه رقم (13)

تذكروا قول الله تعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا (10) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾[1].

زحفت جحافل الأعداء وانتشرت داخل القلعة وأحكمت سيطرتها عليها تساندها فرقة من القناصة الأمريكية المختفية خلف الجدران المتهدمة، هنا اتفق الإخوة على عدم تسليم أنفسهم ومواصلة القتال حتى يلقوا الأحبة، أثناء تطهير المداخل والمخارج وجد الأعداء غرفة المطبخ التي يتحصن فيها الإخوة، تقدمت دبابة نحو باب المطبخ في هذا الوقت خرج أحد الإخوة وفي يده قنبلة قذفها في وجه الأعداء فقتل وقُتل، أما بقية الإخوة في الداخل لم يكن معهم أي سلاح سوى كلاشنكوف لا يعمل بكفاءة عالية أي شبه معطل يرمي تاره ويتوقف تارة أخرى.

كان بين باب غرفه المطبخ وباب السرداب الذى يؤدي إلى القبو عدة أمتار، وقف أحد الإخوة (من بلاد الحرمين) خلف باب المطبخ وهو يحمل سلاح الكلاشنكوف شبه المعطل ويريد أن يدخل به في القبو، استعد للانطلاق والعدو مصوّب فوهات سلاحه لقتل كل من يحاول الخروج، خرج الأخ كالسهم المنطلق وأخذ يعدو بكل ما أوتي من قوة والجميع يفتحون نيران أسلحتهم عليه، صدقني أيها القارئ لن أستطيع أن أصف لك المنظر حسب رواية الأخ وكيف نجا من نيرانهم، تخيل أيها القارئ شخص يجرى وما لا يقل عن ثلاثين أو أربعين فردا يطلقون الرصاص خلفه وعن يمينه ويساره وتحت أرجله ماذا تتوقع؟ المفترض أن يقتل في الحال ولكن الله سبحانه أراد للأخ أن يدخل عند إخوانه بذلك السلاح الذي

---

[1] – "سوره الأحزاب الأيه رقم(10)".

أدخل الرعب في قلوب الأعداء ونفعنا فيما بعد، وبدخول الأخ المستبسل كانت نهاية اليوم الثاني وبداية اليوم الثالث.

اليوم الثالث: الإثنين الموافق لـ 12 رمضان 1422 هـ

كان الأخ الذي تمكن من الدخول للإخوة في القبو آخر من رأى الشباب داخل غرفة المطبخ قبل أن يقتلوا بالطريقة البشعة التي قتلوا بها، عرفنا طريقة مقتلهم إذ صوبت الدبابات فوهاتها نحو البوابات والنوافذ وشرعوا يقصفون ويقصفون فأحالوا أجسامهم الطاهرة إلى لحوم وأشلاء متناثرة ..

أصبحت ساحة القلعة خالية من الأسود الثائرة والأبطال المغاوير. جمع الأعداء جثث الإخوة الذين قتلوا في اليوم الأول وهم مقيدون وكذلك أشلاء الجثث المتناثرة في غرفة المطبخ ووضعوهم في شاحنات وذهبوا بهم إلى الخارج ورصوهم صفا واحدا وصوروهم ثم وضعوهم في حفرة كبيرة بحضور أفراد من منظمة الصليب الأحمر الدولية (الأسود) حصل هذا أيضا للإخوة الذين قتلوا عن طريق فرقة القناصة في اليوم الثاني وذهبوا بهم أيضا إلى المقابر الجماعية، نظفوا الساحة تمامًا من الجثث حتى يفرغوا للبقية الذين هم في القبو وكان عددهم مائتا شخص ما بين قتيل وجريح بعضهم مقطوع اليد والرجل ومنهم اخترق الرصاص بطنه وبعضهم مشوّه الوجه ومجدوع الأنف والفم (صلاح الدين الحساوي) وبعضهم..وبعضهم..إلخ.

تخيل أيها القارئ هذا المنظر وهذه الصور البشعة والمشاهد المحزنة التي يندى لها الجبين وهم في ظلمات القبو ونحن موزعون في خمس غرف

مفتوحة على صالة بها ممرات تؤدي إلى سلمين أحدهما لولبي والآخر ذو درج عادي داخل مبنى محصن غاية التحصين يتوسط القلعة، هذا المبنى بناه الروس إبان الاحتلال الروسي لأفغانستان وصمموه خصيصًا لمثل هذه الطوارئ، فالغرف الخمس التي ذكرتها لك غرفتان منها خصصناها للقتلى وغرفتان ومعهما الصالة للجرحى والغرفة الباقية أكرمك الله لقضاء الحاجة..

في هذا اليوم أحسست ببعض النشاط، تحركت رغم الآلام وأخذت أتجول وسط الجرحى والقتلى متلمسًا الجدار وسط الظلام الدامس حيث لا تسمع إلا التهليل والابتهالات والألسن تلهج بذكر الله والتضرع، واصلت السير إلى أن بلغت مدخل الصالة أي بداية السلم اللولبي من الأسفل وعن يميني ممر طويل يوصل إلى سلم الدرج، ومنها ينفذ عبر سرداب، هذا الممر الطويل به بابان غير باب السرداب وأمامي جدار، جلست في هذا المكان أي في ركن يصعد بك إلى السلم اللولبي أخذت السلاح الذي دخل به الأخ الذي من بلاد الحرمين لأحرس الجرحى والمكان كما قلت لك مظلم لا ترى سوى نافذة صغيرة في أعلى السلم اللولبي، نفذ ضوء ضئيل وأخذ يتسلل من تلك النافذة هنا عرفت بأننا في النهار،كنا نستعمل حاسة السمع فقط وكنا نتوقع أي واحد من الأعداء في أي لحظة، كنت أطلب من الإخوة إلتزام الصمت لأتمكن من سماع وقع أقدامهم على السلم لأنهم إذا نزلوا دون أن نشعر بهم سيقضون علينا جميعا، فهم بعد مقتل الجاسوس (ضابط الاستخبارات) انقطعت عنهم الأخبار والمعلومات، وأصبحوا لا يملكون أي معلومات بما يحدث في القبو، كانوا يظنون بأننا نملك قنابل وقذائف (R.P.G) لذلك تخوفوا من النزول إلينا ونحن لا نملك سوى السلاح الخفيف الذي لا يعمل إلا بصعوبة ولولا الله سبحانه وتعالى ثم الأخ الذى دخل بالسلاح لكانت الفاجعة أكبر والخسارة أفدح .

نفعنا البابان اللذان كانا في الممر الطويل فيما بعد، فالعدو بعد أن تأكد من مقتل جميع من في الخارج استعد للإجهاز على البقية، نصبوا فوهة الدبابة على باب السرداب وأطلقوا عدة قذائف اهتزت الأرض عدة مرات ولكن هذه القذائف لم تصبنا لأن أبواب الممر حالت دون ذلك ووقفت سدًا منيعًا أمام القصف، استمروا في القصف حتى تمكنوا أخيرًا من تدمير البابين وظلوا على هذه الحال وبقيت الجدران هي الأخرى تعترض قذائفهم بعد تدمير البابين، سبحان الله ! كأن هذه الأبواب والجدران تقف بجانبنا لتحمينا، كانت أحيانًا تأتينا الشظايا والدخان، طلبت من الإخوة الجرحى الذين كانوا في الصالة التحول إلى الغرفة مع أن الغرف ملأى والجرحى يحتاجون إلى وضع خاص يناسب حالتهم ولكن ماذا أفعل ؟ للضرورة أحكام ، بعد محاولات استطعت أن أخلي المكان من بعض الجرحى القريبين من مرمى الهدف، فجأة جاء من النافذة العلويه للسلم اللولبي وابل من الرصاص، انسحبت الدبابة واستخدموا سلاحا آخر أشد فتكًا ألا وهو إلقاء القنابل عبر النوافذ والممرات مع استمرار القصف، كنت أطلب من الإخوة الصمت كلما يقل القصف حتى لا يباغتونا بالدخول، والقصف يشتد مرة ويهدأ مرة أخرى وكل مشغول بنفسه، من كانت إصابته قاتلة يموت في مكانه ولا تحس به، هذا واستمر القصف إلى وقت متأخر من الليل حتى دخلنا في اليوم الرابع.

اليوم الرابع: الثلاثاء الموافق لـ 13 رمضان 1422 هـ

علمت بعد عدة ساعات وبواسطة الضوء الضئيل المنبعث من النافذة العلوية علمت بأننا دخلنا في يوم آخر هو اليوم الرابع، رجعت إلى حراسة الإخوة وحالتي لا تسمح لى بالوقوف، سمعت صوت شيء ما يتدحرج من أعلى مقبلًا نحوي ويستقر أمامي بيني وبينه نصف متر تقريبًا، اتضح لي بأنها قنبلة يدوية تجمدت في مكاني وأنا ملقى على بطني وخلفي الجرحى وثوان معدودة وتنفجر..عندئذ تيقنت بأني ميت لا محالة، وضعت كلتا يديّ على وجهي حتى لا تشوهه، صرت أهلل وأهلل، فجأة انفجر الصاعق فقط ولكن القنبلة لم تنفجر، لم أصدق ما حصل، قنبلة بينى وبينها نصف متر وأنجو ؟! ..أمرت الإخوه بأن ينتقلوا من مكانهم سريعًا ويخلوا الصالة، قبل أن أكمل أوامرى فإذا بي أسمع نفس الصوت وقنبلة أخرى تتدحرج هذه المرة وتندفع بسرعة قبل أن ألتقط أنفاسي من الأولى فإذا هي تستقر بجوار فخذي حيث كنت جالسًا هذه المرة، وإذا أخذتها لا أجد مكانًا أرمي عليه لأن المكان من حولي مكتظ بالجرحى وستصيبهم، وإذا حاولت أن أردها إلى الأعداء طريقة جلوسي لم تكن تسعفني، قررت أن أظل مكاني لأحجب الموجة والشظايا عن الإخوة بقدر ما أستطيع ، ظللت أهلل وأهلل وأنا جالس في دهشة وذهول وفجأة سمعت صوت أضعف بكثير من الصوت الحقيقي للقنبلة بعدها أحسست بآلالام وجروح طفيفة في فخذي فقد انفجر الصاعق أيضًا هذه المرة، ما هذا ؟! قبل أن أشكر الله وقبل أن يهدأ روعي فإذا بالقنبلة الثالثة أمامي مباشرة، قلت في

نفسي هذه المرة هي نهايتي حتمًا، وضعت يديّ على رأسي أستقبل الموت راضيًا غير مدبر، ورحت أهلل وأهلل والقنبلة لم تنفجر، الله الله إنها عناية الله ثم بسبب الرطوبة التي على القنبلة. بعد هذه المحاولات بقليل فتحت نيران كثيفة علينا مرة أخرى، هذه المرة من الرشاشات لعمل تمشيط نهائي، توقعت اقتحامهم علينا، بالفعل سمعت وقع أقدام من أعلى السلم ويبدو بأن اثنين من جنود الأعداء المدججين بالسلاح كانا يدفعان أحدًا أمامهما كستار ومن يدفعانه يقاوم ويصرخ محاولًا الرجوع وهما لا يباليان به، ساعتئذ أحسست بقربهم ووجدت بأن الأمر يحتاج إلى سرعة وتصرف مع إتقان الرمي وهو أن تقف مختبئًا خلف الجدار وتخرج السلاح وترمي وترجع إلى مكانك دون أن تحدث صوتًا، وكان بإمكاني أن أفعل ذلك ولكن هي في النهاية مجازفة وظهري لا يسمح لي بذلك وليس لدينا إلا هذا السلاح الخرب. لم يُقدم أعداء الله على هذه الحيلة إلا ليتأكدوا بأننا نملك سلاح أم لا ؟ لذا لجأوا إلى هذه الطريقة أي استعمال الساتر البشري، بأخذ أحد أسراهم ومحاولة النزول به للتأكد إن كان لنا سلاح نقاوم به أو للتأكد بأننا قتلنا عن آخرنا.

طلبت من أخ بجواري وقد كان سليم البدن بأن يأخذ السلاح ويرمي بالطريقة التي ذكرتها سابقًا، قلت له: المسألة مسألة موت أو حياة للجميع ويجب أن توهمهم بأننا نملك السلاح والقوة حتى لا يتجرأوا بالنزول إلينا وفعلًا أخذ مكاني واستعد واقتربت خطواتهم، خرج ورمى ثم رجع في خلال ثانية، قتل هذا الأخ أحدهم وولى الاثنان الآخران الأدبار مع إطلاق صرخة مدوية. استطاع هذا الأخ إدخال الرعب في قلوبهم والقيام بالمهمة على أكمل وجه ولو كان السلاح يعمل جيدًا لقتلهم ثلاثتهم. أنزلنا القتيل من فوق السلم لعلنا نجد معه سلاح نتقوى به لكن لم نجد معه أي سلاح ولعله

خالفهم في شيء أو كان أسيرا عندهم أو أفشى سرهم لذلك استخدموه كبش فداء، بعد هذا الحادث لم نسمع أصوات الأعداء سوى أصوات المجنزرات تتحرك لا ندرى إلى أين؟ أهي ذاهبة أم أنها تبحث عن موقع مناسب للتمركز والرمي.

هدأت الأصوات تمامًا، وبدا على الإخوة التعب والإرهاق وذلك بسبب العطش فهم منذ ثلاثة أيام لم يذوقوا جرعة ماء أي منذ دخولهم القلعة مع العلم بأن بعضنا كان صائمًا، مات عدد منهم بالعطش ودخل ثلاثة أو أربعة على ما أذكر في هذيان وصاروا يتكلمون كلامًا غير مفهوم، أوقفت أحدهم وهو يهم بالذهاب إلى الخارج، فقلت له: أين أنت ذاهب؟ فقال لي: أنا ذاهب إلى المطعم (الكافتريا) في الطابق العلوي، قلت له بجد وحزم: إرجع مكانك هنا لا يوجد مطاعم، وأحدهم كان قوله قريب من هذا، وفيما بعد التقينا في غوانتنامو ذكرت للإخوه قصة هذيانهم، أنكر بعضهم ماقاله ورد بعضهم لم أشعر بنفسي ولا أتذكر، ضحكنا عليهم كثيرًا (حفظهم الله) ..

ونحن في هذه الحالة العصيبة جاءني أخ طاجيكي وقال لي: الإخوة في حالة صعبة والعطش بلغ بهم أقصى حد أريدك أن تأذن لي بالذهاب إلى النهر لأحضر بعض الماء، كان الوقت منتصف الليل تقريبًا وكان الأعداء قد ذهبوا بعد أن نصبوا حارسًا أمام المدخل في مكان مرتفع لحين عودتهم مرة أخرى في الصباح، ترددت في السماح له في بادئ الأمر لخوفي من أمرين..

الأمر الأول: أن العدو ربما يفكر بذكاء وهو أن يحجز أو يقتل من يخرج ويدخل متخفيًا في هيئة جاسوس أو فاتك مدعيًا بأنه أحد الإخوة.

الأمر الثاني: أن أرفض ذهابه ويزداد موت الإخوة من شدة العطش، ماذا أفعل ؟ والأمران أحلاهما مرّ، أخيرًا سمحت له بالخروج مع أخذ الحيطة

والحذر وأخبرته بكلمة سر تكون معروفة بيننا ليقولها من غير أن أسأله من أنت حينما يحضر، وإن لم يلتزم بهذا فسنطلق الرصاص فالأمر لا يحتمل دخول أحد من الأعداء على الجرحى، المهم اتفقنا على هذه الخطة وخرج ومعه إبريق وطلبت منه الرجوع بسرعة، عشت في فترة قلق رهيبة وتوتر وأنا في انتظار رجوعه، وبعد قليل سمعت وقع أقدام مقبلة نحوي، أخذت الوضعية المناسبة للرمي إن لم يكن القادم ذلك الطاجيكي وبفضل الله نادى من على بعد على حسب اتفاقنا المسبق، جاء ومعه الماء بعد أن شرب وارتوى، شرب الإخوة جميعًا من هذا الإبريق، هل تصدق أيها القارئ مالا يقل عن ثمانين فردا شربوا من هذا الإبريق حتى ارتووا جميعًا، إنه لأمر يدعو إلى التفكير والتدبر بهذه الكرامة التي حصلت لنا. كان هذا الطاجيكي يتحلى بشجاعة نادرة فهو لم يكتف بجلب الماء فقط بل تسلل بين الأشجار وأجرى استطلاعًا سريعًا لمعرفة مواقع الحراسات ورأى أن مدخلنا هذا ينتصب على مواجهته من الجهة المقابلة لنا حارس، بعد أن سمع الإخوة بخروج الطاجيكي وعدم انتباه الحرس لعل الله أعمى بصرهم أرادوا الخروج طلبًا للماء ولو أدى ذلك إلى مقتلهم وخير لهم أن يقتلوا ويستشهدوا ولا يموتوا عطشًا على حسب قولهم، رفضت هذه الفكرة بشدة ورفعت السلاح عليهم وقلت لهم: كل من يحاول الخروج سوف أطلق عليه النار والسبب أنهم لا يعلمون ماينتظرهم في الخارج، أما سماحي للطاجيكي بالذهاب هو أنني كنت متيقنًا من أنه كان شجاعًا حذرًا فطنًا يتصف بالقوة والنشاط، وهمه أن يسقي الإخوة وحريص على الرجوع ويعرف طريقة الدخول إلينا أي كلمة السر المعروفة بيننا .. والسبب الثاني هو خير لنا أن يقتل أو يؤسر أحد منا لا قدر الله بدلًا من مجموعة أفراد. منعتهم ليس لعدم الثقه بهم حاشا وكلا، فكلهم أسود لا تكاد تفاضل أحدهم على

الآخر، وسبب آخر كنت أخشاه وهو أن يقبض على أحدهم ويجبر على كشف ما بنا من نقاط الضعف ويتم القضاء علينا، منعتهم ليس لعدم الثقة كما أخبرتكم ولكن الذي رأيناه شيء لايصدق، قتلى عن يمينك وعن يسارك بعضهم فقد أنفه وبعضهم مبتور الأطراف وبعضهم أحشاؤه في الخارج وبعضهم.. وبعضهم ..إلخ. وكان المكان مليئًا بالدماء والعدو بين الفينة والأخرى يطلق قذائف والإخوة بعضهم دخل في هذيان كما ذكرت آنفًا والإنسان بطبيعته ضعيف ولا يقوى أمام مثل هذه النكبات إلا من كان قوي الإيمان، وحين رفعت السلاح كان خوفًا عليهم وعلى بقية الجرحى وحتى لا يعرف العدو نقاط ضعفنا، وخاصة أنه واهم بأننا نملك أسلحة وأصابه الرعب.

بعد أن رجع من كانوا يريدون الخروج إلى مكانهم جاءني أخوان أحدهما من بلاد الحرمين (مُحَمَّد سرور العتيبي قتل في حادث سير بعد أن خرج من غوانتنامو في الرياض وكان من المفترض أن يكتب عن هذه المذبحة لما لديه من معلومات كثيرة نسأل الله أن يتقبله) والآخر ليبي وألحا علي بأن أسمح لهما بالخروج لجلب الماء لأن الإخوة عطشى وقالا لي بأن هذه فرصة لنا لنجلب الماء بإناء أكبر، وافقت على خروجهما، خرجا وجاءا بإناء أكبر مملوء، ثم جاءني آخران ترددت في بداية الأمر في إخراجهما ثم وافقت لهما بالخروج وذهبا وشربا وعادا بماء كثير وارتوى الجميع، أصبح الطريق آمنا ربما الحارس نام من شدة التعب أو أعمى الله بصره وهو اللطيف بعباده ويكون معك في الشده والرخاء عندما تكون في معيته حيث يقول الشاعر:

وإذا العناية لاحظتك عيونها نم فالمخاوف كلهن أمان

عـاود الطـاجيكي الكـرة مـرة أخـرى وجـاءني هـذه المـره ومعـة ثلاثـة مـن الإخـوة وقـال لي: إئـذن لنـا بالخـروج نأتي بالمـاء ونستكشـف المكـان قبـل بـزوغ الفجـر سمحـت لهـم ، خرجـوا ولكـنهم تأخـروا، سمعـت صـوت رصـاص ووقـع أقـدام متجـه نحـو الممـر فتهيـأت. فـإذا هـو الطـاجيكي يمسـك يـده، قلـت لـه مابـك ؟ وأيـن البقيـة ؟ قـال لي: هوجمنـا وقتـل اثنـان منـا وأنا أصـبت في ذراعـي كمـا تـرى ورابعنـا قـادم خلفـي، خشـيت أن يأتـوا علـى إثـرهم يطلبـونهم ويجـدوا البقية وتكون الكارثة، وقد كانت هذه ليلة عصيبة عشناها رغم توفر الماء.

اليوم الخامس: الأربعاء الموافق لـ 14 رمضان 1422هـ

مازلنـا تحـت القبـو صـامدين صـابرين محتسـبين لله ومـا زال العـدو يحـاول جاهـدًا إيجـاد ثغـرة للقضـاء علينـا وجـرب جميـع مـا عنـده مـن حيـل وأسـلحة خبيثـة وفتاكـة ومـا أكثرهـا ولكـنهم لم يفلحـوا طالمـا عـين الله ترعـانا . كانـت جثـث القتلـى تتنـاثر في كـل مكـان والأرض تمتلـئ بالـدماء وبقـايا الجـدران المحطمـة تـتراكم فـوق الجثـث وأنـين الجرحـى ينطلـق مـن هنـا وهنـاك وقـذائف الهـاون تهـز الأرض تحتنـا هـزًا والظـلام الـدامس يلـف أركـان القبـو، لقـد كـان مشـهدًا رهيبًـا سـيظل محفـورًا في الـذاكرة، ورغـم كـل هـذا كـان الإخـوة مـنهم مـن يشـعر بالسـكينة والطمأنينـة ومـنهم مـن يهيـئ نفسـه للحـاق بمـن سـبقوه مـن إخوانـه ومـنهم مـن يـدعو الله أن يعجـل لـه بالشـفاء حـتى يـثخن في الأعـداء، وقـد حصـلت للإخـوة كرامـات كثـيرة سـأذكرها لـك كـل في مكانـه إن شـاء الله . وبينمـا الرهبـة تخـيّم علـى المكـان إذ بنـا نسـمع حركـة وجلبـة في الخـارج، أيقنـا

بأنهم يعدون أنفسهم للاقتحام علينا لكنهم لم يفعلوا إنما جاءوا بسلاح آخر عجيب ما كنا نضعه في الحسبان، سمعنا دوي انفجار رهيب أعقبه لهب كثيف وصل إلينا عبر الممرات وخيّم فوقنا كالسحاب وأخذ يشب في جسم كل من كان واقفًا من الإخوة، طلبنا منهم الانبطاح على الأرض واللهب يزحف في كل أنحاء القبو، بعض الإخوة اشتعلت أجسامهم وقد جردناهم من ملابسهم وبعضهم احترق شعر رأسه، استمر الحال لعدة ثواني ثم ما لبث أن اختفى اللهب، وقد استمروا في استخدام هذا السلاح مرة بعد مرة والمكان يتحول معه إلى فرن كبير من شدة الحرارة ولكن بحمد الله وتوفيقه عرفنا كيف نتفاداه، ظنوا بأن هذا السلاح سيجبرنا على الخروج وتسليم أنفسنا، كما كانوا يظنون أو يخشون بأننا سنخرج إليهم في أي لحظة مهاجمين ولكنهم لم يكونوا يعلمون ما بنا من تعب وإرهاق وأننا عزّل. لم تفلح بفضل الله هذه المحاولة ولم تأتي بأي نتيجة إيجابية لأننا لم نشعرهم بضعفنا وظللنا متمسكين بهدوئنا ورباطة جأشنا، ولما أحسوا بذلك لجأوا إلى سلاح آخر يعتبر من أسرع الأسلحة في إزهاق الأرواح من دون أي جراح ليشفوا غليلهم دون أن يراعوا آدميتنا خارجين عن قواعد وأدبيات القتال الشريف، استخدموا هذا السلاح الذي نعتبره سلاح الجبناء تخيل معي أيها القارئ نوع هذا السلاح، سمعنا خرير مياه تتدفق من نوافذ غرف القتلى، هرعنا نحوها ونحن نجتاز وسط القتلى لسد المنافذ والفراغات والشقوق بين الأبواب وذلك باستخدام ملابسنا، لم نتمكن من سد هذه الثغرات بسبب قوة اندفاع الماء حيث امتلأت إحدى الغرف وأخذ الماء ينساب إلى الصالة، مع ظهور أول دفعة نبهت الإخوة بالابتعاد عن الماء بقدر الإمكان وقلت لهم: لعل هذا الماء سيكهرب، وبالفعل أخذ الماء يضطرب ويحدث صوتا كصوت الزيت المغلي عندما يصب عليه الماء ويهتز

هزات سريعة مضطربة تتوقف وتعاود الكرة مرة أخرى، تأكدت حينها بأنه ماء مكهرب، وفي غوانتنامو لاحقًا سألت المحقق الأمريكي لماذا توقفتم عن استخدام الماء المكهرب لقتلنا ؟ أجاب جاءتنا أوامر بإيقاف العملية، هذا ما جعلني أقطع الشك بأنه كان ماءً مكهربًا . هكذا لم يتورعوا من استخدام كل أنواع الأسلحة القذرة لإجبارنا على الإستسلام ولكن خابت مساعيهم في كل مرة، قاتلهم الله.

اليوم السادس: الخميس الموافق لـ 15 رمضان 1422هـ

في هذا اليوم شعرت ببعض التحسن وبدأت أتحرك على قدمي بين الإخوة القتلى والجرحى أتفقد أحوالهم، في هذه اللحظة حطم العدو نافذة صغيرة في أكبر الغرف وألقى قنابل وسط القتلى والجرحى إمعانًا في التنكيل بنا، وقد قتل من قتل كما أن هذه القنابل أثارت هلعًا وسط الإخوة، وقد هرع بعضنا إلى الغرف الأخرى المكدسة بالقتلى والجرحى، وبعد أن هدأ روعنا وجدت صديقًا لي يكنى بعاشق الحور (اسمه أحمد الوظاف يسكن الطائف بحي الشطبة) وهو من بلاد الحرمين من أصل يمني، ملقى على باب الغرفة الكبيرة وكان الإخوة الداخلون والخارجون يطأونه بأقدامهم دون أن يروه بسبب الظلام، سألته: لماذا أنت هنا ؟ قم من طريق الإخوة حتى لا تصاب، طلبت منه أن يدخل إلى الغرفة وأنا لا أعلم بأنه مكسور الحوض، حيث جاء أحد الإخوة وأعانه على الدخول، حينها سكب العدو البنزين

من النوافذ دون رحمة لأنهم رأوا أن هؤلاء الشباب أغضبوا سيدتهم أمريكا وهاهم يريدون أن ينتقموا لها، ولم نكن نعرف بأن هذا السائل في بادئ الأمر هو مادة البنزين إلا بعد أن انتشرت رائحته، وعلى الفور تداركنا الموقف حيث أحضرنا السلاح الوحيد " الكلاشنكوف " وأطلقنا الرصاص على المكان الذي يسيل منه البنزين وكانت المفاجأة أن اشتعل البنزين وخرجت ألسنة اللهب إلى الخارج بدلًا من الدخول إلينا و بفضل الله لم يحترق أحدنا. كان قصدهم من هذه الفعلة إجبارنا على الاستسلام تحت وطأة الاختناق فباءت هذه المحاولة بالفشل كسابقاتها والحمد لله رب العالمين.

ونحن على هذه الحال سمعنا أحدًا من الأعلى ينادينا مخاطبًا بلغة لم نفهمها فطلبنا من أحد الإخوة الأفغان أن يسمع ما يقول ويترجم لنا، كانت فحوى كلامه تتضمن التهديد بتدمير الغرف فوق رؤوسنا إذا لم نسلم المسؤول الذي معنا أي ذلك الجاسوس الذي قتلناه، وقد اتفقنا على ألا نرد عليه والرجل ينادي ويصرخ، ويبدو حين قطع الاتصال بينهم وبين رجل الاستخبارات الجاسوس أنهم قد أحسوا بأنه في خطر وكانوا يشكون في أمره أقتل أم أسر ؟ لذلك جاءوا مرة أخرى ونادوا وفي هذه المرة بلهجة وأسلوب آخر وطلبوا المفاوضة، كنا نعلم بأنهم أهل خيانة وغدر، قالوا لنا: الأمريكان في الخارج معنا ونريد أن نتفاوض معكم، وبعد إجراء مشاروات فيما بيننا قررنا الخروج إليهم، وأما إذا سألوا عن رفيقهم ننكر وجود أي رجل منهم بيننا وفي حالة معرفتهم بأن الضابط معنا ألا نخبرهم بما حصل له ونعتبره رهينة حتى الفراغ من المفاوضات والرجوع إلى القبو سالمين. كان من ضمن الإخوة الذين خرجوا للتفاوض أخ أفغاني (محمد الأفغاني) صغير في السن خاض معارك كثيرة من قبل ويتكلم اللغة العربية بجانب الفارسية

والأردو، والبشتو، كان وسيطًا أو بمثابة مترجم ويخدم العرب من قبل قوات طالبان، كان مطلوبًا لدى الجنرال دستم ورجال مسعود شاه، رغم صغر سنه إلا أنه كان يعتبر من العقول الخبيرة بشؤون الحرب، وكنا قد رفضنا خروجه لكنه أصر وخرج ومعه أحد الإخوة العراقيين (علي العراقي) وأخ آخر من أهل اليمن (وضاح الأبيني قتل مؤخرًا في غوانتنامو)، اجتمعوا معهم بحضور الأمريكان، رجع العراقي واليمني أما الأفغاني فلم يرجع قيل أنه لم يذهب من أساسه وقيل أن إصابته كانت بليغة فذهبوا به إلى المشفى. كانت نتيجة المفاوضات أن يرجع هؤلاء إلى إخوانهم ويقنعوهم بالخروج وتسليم أنفسهم، ولما علموا بعدم تجاوبنا معهم جاءت الطائرات الأمريكية وشرعت تقصف وتهدم المبنى من أعلى حتى يتسنى لصواريخهم أن تصل إلينا في القبو، استطاعوا أن يسووا المبنى بالأرض ولكن رغم ذلك الصواريخ لم تستطع اختراق سقف القبو حيث كان المبنى مشيدًا بصورة محكمة من قبل الروس وكأنه مصممٌ لمثل هذه الأحداث.

نعود بك أيها القارئ إلى أخينا عاشق الحور، سمعت صوته يأتي إلي من بعيد ينادي: يا أبا دجانة يا أبا دجانة وكان يحلو له أن يكنيني بهذه الكنية، أسرعت إليه فإذا به يتنفس بصعوبة لأنه اختنق بالبنزين الذي انسكب على رأسه ووجهه، أخذت قميص أحد الإخوة وبللته بقليل من الماء ووضعته على أنفه لمساعدته على التنفس واستعادة قواه، فجأة سمعت هتافًا من الإخوة في ناحية موقع الحراسة، هنا كان العدو قد لجأ إلى آخر سلاح تبقى في جعبته، حوّل مجرى النهر إلى داخل القبو، جاءنا الماء فظن الإخوة بأنهم سوف يلجؤون إلى وضع الكهرباء فيه كالسابق، تكدس جميع الإخوة في غرفة واحدة وأخذوا يعملون جاهدين على سد الثغرات التي يمكن أن يتسرب عبرها الماء إلى الداخل، كان اثنان أو ثلاثة على ما أذكر تعلقوا في

الأبواب وحطام الجدران تجنبا للموت بواسطة الكهرباء، بعد هنيهة أحسسنا بالماء يتسرب داخل الغرفة وينساب رويدًا رويدًا والإخوة يتراجعون إلى الخلف كل يصعد فوق أخيه والماء يزحف نحوهم، فقام الإخوة يودعون بعضهم ويقولون: دقائق يا أحباب ونجتمع في جنة الخلد، منهم من قام وشرب الماء وارتوى ومنهم من توضئ وقال: خير لي أن أصعق وأنا أصلي ومنهم من استلقى على ظهره وقال: ما أشد لسعة الكهرباء ! أريدها أن تقتلني بسرعة ...كانت لحظات عصيبة بحق... لم يتوقف الماء وأخذ يزداد ويزداد إلى أن بلغ الساق .. الركبة .. الخصر ، هنا سمعت صوت عاشق الحور مرة أخرى ينادي يا أبا دجانة .. يا أبا دجانة، وأنا أقول للإخوة: قولوا لعاشق الحور أن يذكر الله، كان المسكين منزويًا في أحد أركان الغرفة ويحاول النهوض وقوته لا تساعده فوصل الماء إلى ترقوته وهو جالس، ما كنت أعرف حقيقة بأن حوضه مكسور وأنه عاجز عن الحركة ناداني المسكين عدة مرات وأنا أرد عليه من الغرفة المجاورة: اذكر الله .. اذكر الله، وهو يحاول أن يقف مستندًا على الجدار يقف مرة ويقع مرة أخرى، يحاول أن يسبح وحوضه المكسور لا يساعده والماء يرتفع والمكان مظلم ولا يجد من يعينه وظل على هذه الحال إلى أن فاضت روحه الطاهرة وبالتالي انقطع صوته، علمت لاحقًا بأنه كان مكسور الحوض، هنا تملكني إحساس بالحزن العميق ولم أستطع كبح جماح دموعي وكأني أسمع صوته يرن في أذاني وهو ينادي يا أبا دجانة يا أبا دجانة، كان ذلك موقفًا مؤثرًا، له وقع عظيم في نفسي، ندمت على أنني لم أذهب إليه وهو في تلك الحالة، تالله لو كنت أعلم ذلك لبذلت في سبيل إنقاذه روحي، كيف لا وهو كان من أعز الأصدقاء وكان رجلا ذا خلق نبيل يخدم الإخوة ويطبخ لهم ويبذل نفسه في

سبيل راحتهم لله دره من رجل وسيظل هذا المشهد باقيًا في ذكرياتي ما دمت حيًا .

استمر الماء في التدفق من خلال النوافذ والأبواب والشقوق الموجودة في أعلى الجدران كالشلال الهادر، صرنا نساند العاجزين على الوقوف كل واحد على أخيه، وأخوه إما مكسور اليد أو مصاب في الرأس أو مصاب في البطن أو الكتف ... إلخ.

حقيقة تأزم الموقف واستفحل، اقترحت مجموعة من الإخوه الاستسلام وشاركهم أحد الأمراء (قعقاع التبوكي) وكان مصابًا إصابات بليغة في أماكن مختلفة، رفض أغلب الإخوه هذا الاقتراح، عندئذ طلب الأمير المصاب أحد الإخوة ليحمله إلى مدخل القبو، حمله أخ يمني (إسماعيل الحضرمي يسكن المكلا صديق عكرمة الذي فُقد وأبو هاجر الحضرمي) على ظهره وخاض به الماء الى أن أوصله إلى مدخل القبو ومن ثم حاول أن يفلت من قبضة الأعداء أي اليمني (إسماعيل) بعد أن أوصل الأمير وتحيّن الفرصة للإفلات وفعلًا انطلق يعدو بكل ما أوتي من قوة ولكن المسكين أردوه قتيلًا في الحال.

الماء ما زال يرتفع ويرتفع إلى أن بلغ الترقوة، لا أستطيع أن أصف لك هول ما حدث لنا في هذا اليوم ومهما بحثت عن مفردات اللغه فلن أستطيع أن أصف لك ما حدث، كانت جثث القتلى تطفو فوق الماء حولنا والماء بارد جدًا، أختلطت دماء القتلى وفضلات الغائط أكرمك الله بالماء فصار ملوثاً – أما الإخوه الواقفون وعلى ظهورهم الجرحى لم يستطيع أحد منهم الصمود وماتو غرقا منهم من أصابه الإعياء والتعب وأخذ يشرق بالماء يغوص تاره ويظهر تاره أخرى ويظل على هذه الحالة إلى أن خرجت روحه، كان الموت يتخطفهم من حولنا ونحن لا نملك أي حيلة أو وسيلة

لإنقاذ أرواحهم، وكان الواحد منا يطأ بقدمه جثثا مستقره في القاع دون أن نشعر ويشرب من هذه الماء وهو يقول: (بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم).

كان كل ثلاثة أو أربعة من الإخوه يحتضنون بعضهم طلبًا للدفئ والحرارة، ضاقت بنا الأمور أقصاها، بعدها عقدنا العزم على الخروج ومواجهتهم حتى يهلك آخرنا، تقدمت نحو بوابة السرداب ومعي السلاح الوحيد والإخوة خلفي والماء أخذ في الارتفاع، عندما وصلت إلى مدخل القبو وجدت منظرًا عجيبًا وجدت الأمير (قعقاع التبوكي) الذي سبقنا منكفئا على وجهه في الدرج الأول من السلم وجدار المدخل عن يمينه وعن شماله قد احمر كالجمر من كثرة القذائف التي تمر بجانبيه، كان المكان دافئا حتى أنني اتجهت نحو أحد الجدران وأخذت أحتضنه لأخفف وطأة البرودة وأستعيد قوتي لمجابهة الأعداء، رأى باقي الإخوة ما فعلته وشرع كل واحد يقلدني في نشوى وفرح، عندما ارتفعت أصواتهم أحس بهم العدو وصار يفتح نيران الرشاشات في هذا الممر الضيق وقتل من قتل وهرع البقية إلى الغرفة الملأى بالماء مرة أخرى، أتذكر حينما كنت في المقدمة جاءت قذيفة (آر – بي – جي) واصطدمت بأعلى السقف فوق رأسي مباشرة وأحدثت دويًا مروعًا أحسست قلبي تحرك من مكانه وبلغ الحنجرة، شعرت بصمم، انسحبت إلى الداخل وأنا أتحامل على نفسي ولا أسمع ما يدور حولي، في الممر وجدت أحد الإخوة وقلت له: فقدت سمعي خذ السلاح بدلًا عني، أخذه ولكن السلاح سقط من يده في الماء واستقر في القاع.

جاء العدو إلى واجهة المدخل وأخذ الأمير المصاب، بعد فترة شعرنا بأن الماء أخذ يقل وينزل من مستواه تدريجيًا حتى بلغ الكعبين على الرغم من

عدم وجود أي منفذ في أرضية الغرف، سبحان الله ! يا لها من كرامات حية عايشناها استشعرنا فيها عظمة الله ولطفه بالعباد.

جاءوا إلى المدخل وتعالت نداءاتهم يطالبون الإخوه بالاستسلام ولكن كيف يكون الاستسلام من أسود إلى فئران مرعوبة، وإلى صباح اليوم التالي لم يجرؤ أي فأر من الاقتراب من عرين الأسود. أخبرونا بأن الأمير حالته مستقرة وهو في المستشفى ويقولون لنا: عليكم أن تخرجوا وحاولوا عدة محاولات لإخراجنا، أخيرا اتفقنا على مسألة الخروج ولكن أجلناها إلى الصباح الباكر.

اليوم السابع: الجمعة الموافق لـ 16 رمضان 1422 هـ

مع تباشير هذا اليوم كانت قد تحققت رؤيا أحد الإخوة يدعى ياسر الرميحي وكنيته (أبو حبيب القصيمي)، رآى في المنام صديقه نجم الدين بن الصامت من اليمن في أول الأيام وقال له: كيف حالك يا نجم الدين ؟ قال: أنا بخير وأنت ياحبيب ستزورنا اليوم إن شاء الله. وفعلا مات أبو حبيب غرقًا وكان ذلك في آخر ساعة من يوم الجمعة 16 رمضان 1422هـ ، فيالها من رؤى صادقة.

هل تصدق منذ أول يوم من دخولنا إلى القبو إلى آخر يوم خروجنا ظلت جثث القتلى بصورة سليمة كأنها محفوظة في ثلاجات، لم تتحلل، لم تنبعث منها أي رائحة سوى رائحة المسك التي تعم المكان. هيأنا أنفسنا للخروج،

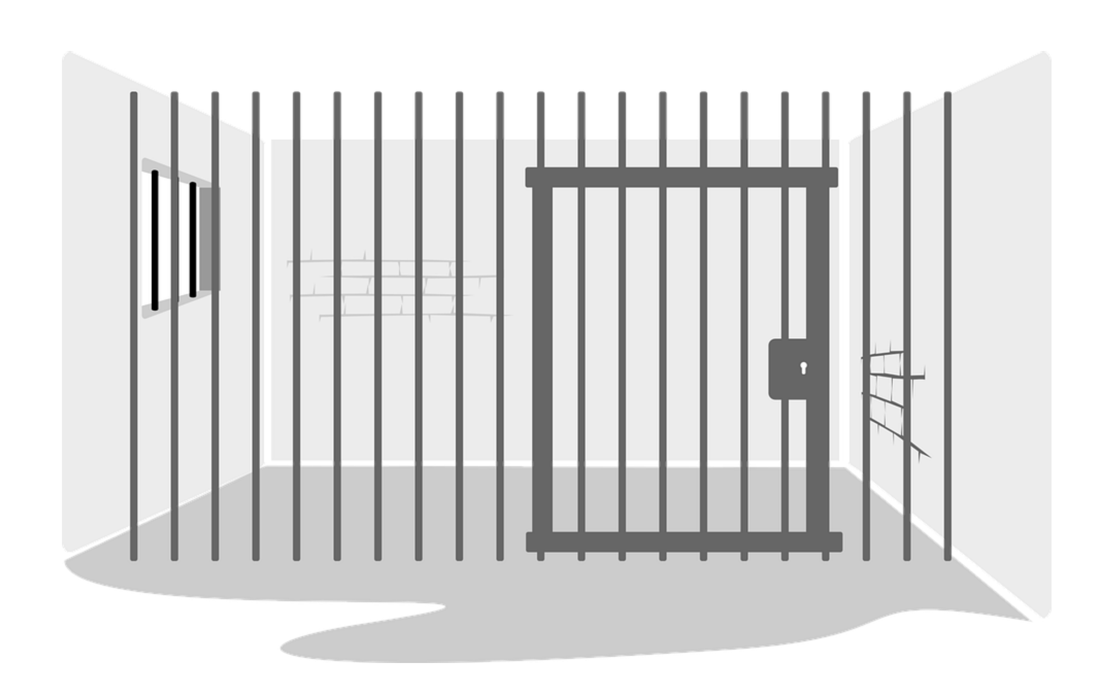
أرسلوا لاستقبالنا في نهاية السلم رجال كبار في السن يبلغ الواحد منهم الثمانين من عمره وليس معهم أي سلاح حتى يبعثوا في المكان نوعا من السكينة والطمانينة، طفقوا، يمدون أيديهم لسحبنا من الأسفل واحدًا تلو الآخر.

خرجنا إلى ضوء النهار ويا للعجب ! لم نجد الأشجار الكثيفة في ساحة القلعة ولا الأسوار العالية الضخمة، كلها قد محيت عن الوجود والمبنى نفسه قد سوّي بالأرض وتحول المكان قاعًا صفصفًا. أما حالنا ماذا تتوقع أن يكون ؟ ماذا تتوقع منظر شخص ظل سبع أيام لم يغير ملابسه ولم يهذب شعره ولحيته ولا حتى ينظف جسده وهو بين الطين والوحل والدخان ورائحة البارود و ... و... ألخ، كانت مناظرنا ونحن خارجون لا توصف، ملابس متسخه وبالية وهيئتنا كهيئة الخارج من القبر وقد علاه الوحل، والطين علا جباهنا ورؤوسنا وشعر الرأس يبدو كشوك القنفذ، تسارعت القنوات الفضائية لأخذ لقطات والعسكر يدفع رجال الصحافة والإعلام ويمنعهم من الاقتراب نحونا.

أخيرا أُسدل الستار وانتهت هذه الملحمة التي سطرها الشباب المجاهد الرافض لهذا الهوان، فضل لقاء ربه الكريم على حياة ملؤها الذل والخنوع وما خاب ولا خسر في اختياره بل هو خروج من هذا السجن الكبير إلى جنات الرضوان مع الرسول الكريم علية الصلاة والسلام وصحبة الكرام.

وهذه أحداث عايشناها ورأيناها، حفرت أخاديدًا في عقولنا وقلوبنا، أبطالها إخوه لنا أفضل منا، سبقونا إلى ما كنا قد وضعنا أعيننا وتعاهدنا عليه.

الفصل الثالث



بين أسوار سجن شفرغاند[1]

جاءوا بشاحنة بها حاوية (container) واستبدلوا ملابسنا بملابس أخرى شتوية وذهبوا بنا إلى سجن "شفرغاند"، وقبل أن ندخل إلى السجن أنزلونا من الشاحنة وسلطوا على وجوهنا كشافات قوية، جاء الجنرال دستم بصحبة حراس أمريكان، وقف أمامنا وأشار إلى ناحيتي، جاء أحد الحراس ضخم الجثة مفتول العضلات ورفعني بقبضة يده عاليا وكأن لسان حاله يقول للإعلام العالمي إن الذين يقاتلوننا ليسوا أفغان بل عرب وأفارقة، تسابقت الكميرات لالتقاط هذا المنظر، بعده خاطبنا الجنرال دستم قائلا: سوف أسلمكم إلى الأمم المتحدة، بعد الانتهاء من كلامه حشرونا في

[1] – شفرغاند مدينة في شمال أفغانستان وهي مسقط رأس الجنرال دستم وبها جيشه .

الشاحنة واتجهوا بنا إلى سجن "شفرغاند" والسياط تلهب ظهورنا، أدخلونا في عنبر مكتظ بالباكستانين والأفغان الذين تم أسرهم أثناء خروجهم عبر قندوز إلى مزار شريف ثم إلى هيرات حيث غدر بهم دستم كما غدر بنا من قبل، حيث جاءت الطائرات الأمريكية وألقت عليهم المتفجرات وهم داخل الشاحنات وقتلوا الآلاف منهم (مجزرة الحاويات)، أما البقية فجاءوا بهم إلى هذا السجن، جمعونا كلنا في ثلاثة عنابر أولًا، ثم أخذوا يحشرون الإخوة الباكستانين كل ثلاثين شخص في غرفة مساحتها مترين في مترين، أما الإخوة العرب فكان كل خمسة عشر شخص في غرفة في نفس المساحة، كنا أحسن حالًا من غيرنا.

قبل هذا كان دستم أرسل من يسأل عن الأمير عبد العزيز النعماني كان هذا الأمير استطاع أن يخلّص قوات طالبان من حصار محكم قد ضرب عليهم من قبل، كانوا ساخطين عليه وصدورهم تغلي بالحقد والكراهية، أخذوه ومعه مُحَمَّد الأفغاني ذلك الفتى الصغير الذي حدثتكم عنه وأحد الاخوة اليمنيين (وضاح الأبيني قتل مؤخرًا في غوانتنامو)، وضعوا ثلاثتهم في شاحنة وهم مقيدين في الأرجل والأيدي وأسرعوا بها أي الشاحنة صعودًا ونزولًا في الإسفلت لعدة مرات لترتطم أجسامهم بحافة الشاحنة في كل الاتجاهات وتزهق أرواحهم، مات الأمير ومعه مُحَمَّد الأفغاني تحت هذا العذاب، أما (وضاح الأبيني) فقد صمد برغم ما به من جراح ونجا في آخر الدقائق، جاء يروي لنا هذا المشهد والدموع تغالبه، الله الله من رجال ضربوا أروع الأمثال في الثبات والتضحية، كل واحد فيهم كان يساوي جيشًا لوحده.

كان بعض الإخوة ذوي الإصابات الخطيرة قد نقلوا إلى المستشفى كما جاءت فرق طبية لمعالجة الجرحى، كنا لا نشعر بآلام الجراح كل تلك الفترة

التي كنا في القبو، أما الآن وبوصول هذه الفرق الطبية شعرنا بآلام شديدة كأننا أصبنا بها للتو، إنه لأمر يدعو إلى التفكير وهذه كرامة أخرى من الكرامات الكثيرة التي رأيناها .

مكثنا في هذا السجن ما يقارب الشهر نعاني من سوء العناية الطبية والمعاملة القاسيه وقلة الطعام ورداءة الخدمات علاوة على كل هذا وطأة الثلج ولسعات البرد القارص، فقد مات كثيرون منا بالبرد منهم الأمير القعقاع التبوكي (يمني) وضعوه في العراء خارج الغرفة ومعه عمر الحديدي (اسمه حسن الحديدي، أصله يمني يسكن مكة)، ماتا من شدة البرد.

وأذكر من ضمن ما أذكر أن جاءتني صحفية فرنسية من أصل مصري ومعها مصور لإجراء لقاء صحفي أشرت إليهما بأن يخرجا وأنني غير مستعد للحديث وتحت إلحاحهما الشديد وافقت بشرط ألا يكون المصور موجودًا بكمرتة، من خلال الحوار الذي دار بيننا علمت بأننا سوف نرحل إلى قاعدة أمريكية أنشيءت حديثًا في مطار قندهار.

قسموا الأسرى إلى قسمين، من كانت إصابتة خطيرة أخذوه إلى مستشفى خدماتها لا بأس بها، وأما البقية قد مكثوا في عيادة كبيرة داخل السجن، وكنت من ضمن مجموعة من بقوا في عيادة السجن نظرًا لاستقرار حالتي الصحية، أصدر مدير السجن قرارًا يقضي بنقلي إلى المستشفى، قلت: بأن حالتي الصحية جيدة ولا يتطلب نقلي إلى المستشفى وأن هناك من هو أولى مني بالذهاب، جاءني المدير يهدر كالبعير وصرخ في وجهي ثم طلب من أعوانه أن يأخذوني إلى هناك. كان ذهابي إلى المستشفى قد عاد إلي بخير كثير، حيث سخرني الله تعالى لأخ كويتي كان يعاني من إصابات بليغة بين فخذيه، كان يتعب كثيرًا في قضاء حاجته، كان لا يجد العناية الطبية اللازمة والمعاونة من قبل المرضين ، عندها علمت بأن حضوري كان

خيرًا لي وله، الزمت نفسي لخدمته وظللت أمارضه طيلة فترة مكوثي بالمستشفى، كان الطعام في هذا المستشفى قليلا ولا يكاد يسد رمقنا، وجدنا حيلة في الحصول على عشرين دولار من تلك الصحفية الفرنسية حيث اشترطنا عليها ألا نعطيها أي معلومات (سبق صحفي) إلا بمقابل مبلغ من المال، كانت حاجتنا ماسة للمال لاسيما نحن نعاني ما نعاني من المسغبة والجوع، أعطينا هذا المبلغ لأحد العاملين بالمستشفى ليشترى لنا طعاما، أحضر ما كنا نطلبه من الطعام، وفي مره قلت للإخوة الذين هم معي في الغرفة، ندع الطعام إلى أن يأتي المساء لأن ليل الشتاء طويل والبرد كما تعلمون قارس والجسم لا يحتمل الجوع، لذا علينا تأخير العشاء وإبقاء جزء من الطعام لليوم التالي كنوع من الادخار، هنا رد علي أحد الإخوة قائلا : " لا ادخار بعد خوجة غار " ، وقصة هذه العبارة المأثورة هي عندما كنا في خوجة غار ادخرنا موادًا غذائية كبيرة استعدادًا لاستقبال شهر رمضان المعظّم، وكلما يهم أحد الإخوة أن يأخذ بعضًا منها نقول له: هذه المواد لشهر رمضان لا تأخذوا منها، ظللنا نكرر هذه العبارة إلى أن جأت الطائرات الأمريكية وأجبرتنا على الانسحاب وتركنا كل تلك المؤن الغذائية خلفنا واستفاد منها غيرنا، هذا ما دفع الأخ بأن يطلق هذه العبارة التي صارت مشهوره بيننا.

نظرت من خلال النافذة في وقت العصر فرقة من الجنود الأمريكان ينتشرون في ساحة المستشفى وهم بكامل أسلحتهم، ثم بعد ذلك دخلوا علينا في الغرف، كنت أول من أجري علي التفتيش الدقيق بواسطة أجهزة حديثة، قيدوا يدي بعصب وغطوا وجهي بكيس من قماش سميك بحيث لا يمكنني رؤية أي طيف آدمي، كنت أتنفس بصعوبة ولم أحس بنفسي إلا ورجلاي ارتفعتا من الأرض فجأة بواسطة رجلين قويين من قوات

الكمانـدوز، واتجهـا بي نحـو الشـاحنة وألقيـاني داخلهـا كمـا تلقـى الأمتعـة، ظننـت حينهـا بأنـي الوحيـد فـوق ظهـر الشـاحنة بحسبان أنـى بصـحة جيـدة وأحســن حــالًا مــن غــيري، بعــد هنيهــه سمعــت صــرخات العســكر وهــم يصــرخون لأحــد الإخــوة: اصــعد.. اصــعد.. لا تتحــرك .. أدخلــوه وأجلســوه بجواري، ثم أخذ العدد يزداد تدريجيًا كلهم إصاباتهم بليغة.

تحركـت بنـا الشـاحنة وهـي تشـق المدينـة باتجـاه مطـار مدينـة مزارشـريف، أوقفــونا في صــف واحــد وصــاروا يقيــدون كــل واحــد ويقرنــوه مــع أخيــه في العضــد ويشــدوهما شــدًا محكمًــا ومؤلمـا بحبـل طويـل بحيـث يسـيرون في خطـى متسـاوية، تصـور مبلـغ الألم الـذى كنـا نعانيـه، إذا أسـرع مـن في الأمـام كـان يـؤلم مـن يليـه وإذا تأخـر مـن في الخلـف يـؤلم الـذي أمامـه، بمعـنى أن أي اخـتلال في حركـة السـير يـؤثر إمـا في الأخ الـذي في الأمـام أو الخلـف، سـرنا بهـذه الطريقـة إلى أن صـعدنا إلى سلـم الطـائرة. كانـت الطـائره عبـارة عـن طـائرة شـحن خاليـة مـن المقاعـد في أرضـيتها حلقـات مثبتـة، بمجـرد دخـول الواحـد منـا يفـك مـن هـذا الحبـل الطويـل ويقيـد بقيـد آخـر ويـربط علـى هـذه الحلقـات كمـا تـربط البهيمـة وذلـك بعـد أن يضـعوا في أذنـك غطـاءً أو سـدادة بجانـب غطـاء العـين بحيـث لا تسـمع ولا تـرى، وبعـد هـذا يقـف حـارس فـوق رأسـك يضـربك إذا عملت أي حركة، ظللنا في هذا الحال والطائرة تطير بنا إلى أقل من ساعة.

قاعدة قندهار[1] العسكرية

هبطنا في إحدى المطارات، نزلنا بنفس الطريقة التي صعدنا بها، نسبة لبعد المسافة بين موقع الطائرة وصالة الوصول أصابتنا آلام رهيبة من جراء هذا القيد، أيدي كثيرة من أيدي الإخوة فقدت الإحساس لعدت شهور، كانت أشد إيلاما من تلك القيود التي وضعت علينا ونحن في ساحة القلعة، أول وصولنا إلى الصالة أخذوا يفكون قيد كل واحد ويجردونه من ملابسه تمامًا، ومن بعده يمرّ عبر عدة غرف كل غرفة معدة لإجراء كشف معين: بول.. دم.. ضغط.. أي عاهة، حتى تصل إجراءات الكشف إلى آخر مرحلة، ثم يأتي الأخ التالي وتستمر العملية هكذا واحدًا تلو الآخر، وفي نهاية الكشف الطبي يلقى بك في حظيرة محاطة بشبك متين كأنما أنت حيوان مفترس جيء به من الغابة، يضعون على صدرك ديباجة عليها رقمك.

تخيل أيها القارىء حالنا ونحن مجردون من ملابسنا تمامًا والبرد قارس يفعل بنا الأفاعيل في منطقة مكشوفة وبجانبك أخوك وهو مثلك عاري تمامًا، كان همنا الأول أن نداري نظرنا لأنك إذا التفت يمينًا أو يسارًا ربما يقع نظرك على أخيك العريان. كان جل تفكيرنا هو البحث عن أي طريقة لنواري سوءاتنا، كانت حالتنا النفسية سيئة للغاية، إن شاء الله سوف لن ننسى هذا الموقف لأمريكا، هذه الدولة التي تنصب من نفسها حامية للحريات، وداعية للسلام العالمي، وداعمة لحقوق الإنسان، لكن للأسف كلها خداع في خداع ، وقد كشفت هذه العملية الدنيئة القناع وسقطت آخر ورقة توت كانت تستر بها سوءتها، وستظل وصمه عار في جبينها أمام الرأي العالمي حتى يقضي الله أمرًا كان مفعولًا .

[1] – قندهار : مدينة تقع جنوب أفغانستان وكانت هى معقل لقوات طالبان إضافة إلى مدينة هلمند .

بلغ بنا الجوع حدًا بعيدًا طيلة فترة الرحلة، لم نر طعاما ولم نذق طعم النوم، أخيرا جاءوا لنا بطعام، فرحنا، ويا لفرحة ما تمت! إذ سمعنا صوت (علي العراقي) ينادي ويقول: ياأخوة هذه المجندة الأمريكية تقول لكم: هذا لحم خنزير، من أراد منكم أن يأكل فليأكل أكل قليل منا، وتورع الكثير ولم يتناولوه وبقوا على جوعهم، والذين أكلوا لم يصلهم نداء العراقي على ما أعتقد.

بعد فتره جلبوا لنا ملابس، فيا لها من ملابس عجيبة ! كانت عبارة عن قطعة واحده، قميص وسروال مخيطان مع بعضهما مثل تلك التي يرتديها أصحاب الورش والمكانيكية (أبرول)، إذا أردنا أن نقضي حاجتنا كان لابد من إنزالها إلى الساقين ويكون الجزء العلوى من جسمك مكشوفًا، مع العلم بأن مكان قضاء الحاجة لم يكن في حمامات مسوّره إنما كان في ساحه مكشوفة داخل حظيرة كبيرة، انظر إلى أي حدّ وصل بهم الخبث والدناءة.

جاءني داخل هذه الحظيرة على ما أذكر ثلاثة أو أربعة، ووضعوا علي قيود حديدية وسحبوني إلى غرف التحقيق والركلات تتوالى علي مع أفظع أنواع الشتائم واللعنات واللكمات، والإخوة بالقرب مني يحثوني على الثبات على الحق وألا أتزعزع ويقولون لي: الله معك ولا تحزن، الله معك ولا تحزن، وصلت إلى غرفة التحقيق وهي عبارة عن خيمة يجلس بداخلها المحقق ويحيط به جنود شاهرين أسلحتهم تحسبًا لأى طارئ. من غرائب الأمور التي تفاجأت بها ولم أكن أتوقعها هو أن المحقق كان ضابطًا مصريًا،كانت جميع أسئلته الموجهة إلي تتركز حول الشيخ أسامة بن لادن، كنت أجيب عليه قائلًا لا أعرفه ولم أره، وهو يقول: إن لم تجب بصدق فأنت مقتول هنا لا محاله، كان المحققون يوجهون لنا دائمًا أسئلة استفزازية

تمس العرض والشرف والكرامة، بعض الأخوة استخدموا معهم العصا الكهربائيه أثناء التحقيق مثل (مُحَّد الشمراني فك الله أسره)، بعد انتهاء الإجراءات الأولية للتحقيق، أخذوني إلى حظيرة أخرى أكبر مساحة من تلك الحظيرة الأولى، تحتوي على خيمتين كبيرتين تسع كل واحدة ثلاثون أسيرًا، ويوجد في أركانها ثلاث ألواح من حديد مركوزه بداخلها سطلين لقضاء الحاجة، وأما الجهة الرابعة وهي الجهة المواجهة للعسكر كانت مكشوفه بحيث يروك وذلك تحسبًا لأي شيء تفعله لنفسك للتخلص من هذا الوضع. يظنون بأن الانتحار شئ طبيعي في المسلمين كما يفعلون، وهذا من أصعب الأمور في المسلم ناهيك عن مجاهد خرج لإعلاء كلمة الله.

كنت أول من دخل هذه الحظيرة مع أحد اليمنيين (دحية الحضرمي فك الله أسره) وتفاجأت بصديق لي من بلاد الحرمين وهو من الذين تمكنوا من الفرار من مذبحة القلعة عبر قناة إلى الخارج،كانوا قد ألقوا عليه القبض وجاءوا به إلى هنا، وكان في الحظيرة المواجهة لي ويحمل الرقم (1). كانوا يأتون بالأسرى من مختلف أنحاء أفغانستان كما كانوا يأتون بآخرين من باكستان، ويتم جمع بعضهم هنا وبعضهم الآخر في قاعدة (باغرام الجويه)[1] حتى بلغ عددهم قرابة الخمسمائة أسير. كانت المعامله للأسرى سيئة جدًا تتمثل في تدنيس القرآن الكريم ورميه في سطل مليئ بالغائط والبول وتوجيه الشتائم التي يعف عنها اللسان وإطلاق الكلاب البولسية لتمزيق ملابس الأسرى وعدم التحدث مع الآخرين و..و..إلخ.

مات عدد من الأفغان من جراء هذا العمل الوحشي، كنا نؤخذ للتحقيق باستمرار بواقع مرتين في اليوم، إذا خرجت منها سالمًا كأنما يكتب

---

[1] – باغرام : هى إحدى المدن الأفغانية التي انشأ فيها الأميركان قاعدتهم الحربية بعد مدينة قندهار .

لـك عمـر جديـد، ظللنـا تحـت هـذا التعـذيب الجسـدي والنفسـي وأنـواع مـن العقـوبات الوحشـية الـتي منهـا: الزحـف علـى الـبطن في الحصـى، الوقـوف لسـاعات طـوال حـتى يغمـى علـى أحـدنا ويقـع مـن طولـه، إجبـار ثلاثـه مـن الإخـوة، يأمـر أحـدهم بوضـع يديـه علـى عينيـه والثـاني بوضـعهما علـى فمـه والثالـث، يـؤمر بوضـع أصـبعيه في أذنيـه وهـم وقـوف، بمعـنى لا أرى ولا أسمـع ولا أتكلـم، ويطـوف علـيهم العسـكر ضـاحكين مسـتهزئين بهـم والإخـوة لا حول لهم ولا قوة أمام هذه الاستفزازات.

عنـدما كثـر عـدد المعتقلـين في هـذه الحظـائر أذكـر جـاءنا وفـد مـن أعضـاء الكنغـرس الأمريكـي وفي صـحبتهم الممثـل الشـهير سلفسـتر اسـتالون علـى مـا أذكر بطل أفلام رامبو وروكي، وأخذ عدة لقطات للأسرى المكبلين بالقيود.

كنـا نـرى أفـراد المـارينز ذوي الأجسـام الضـخمة وهـم يحملـون أمتعـتهم الـتي يتعـب البغـال مـن حملهـا، كنـا نعتقـد بأن هـؤلاء الجنـود ذوي قـوة وبأس وشـجاعة كمـا رأينـاهم في أفلامهـم الوهميـة الـتي يخـدعون بهـا النـاس ولكـن عرفنـاهم عـن كثـب، تبـين لنـا أنهـم مجـرد نمـور مـن ورق، وحقـا ينطبـق علـيهم قـول الله تعـالى ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [1]، نعـم والله سمعنـا دعـاياتهم المزيفـة في وسـائل الإعـلام ويـدّعون أنهـم أهـل قـوة وبأس ويوهمـون العـالم لا سـيما العـالم الإسـلامي والعـربي، تالله كنـا نـرى الخـوف في عيـونهم لدرجـة أن أحـدنا إذا تحـرك أو أحـدث صـوتًا ينـتفض راجعًـا إلى الـوراء عـدة أمتـار، كأنمـا صـعقته كهـرباء شـاهرًا سـلاحه في وجوهنـا، ومـن عجائـب الأمـور أننـا كنـا نتخيـل بأن الحقيبـة الضـخمة الـتي ينـوء بهـا مليئـة بمختلـف أدوات القتـال فـإذا بهـا مليئـه بأنـواع مـن

---

1 – سورة المنافقون الأية رقم :(4).

الحلوى والشوكلاتة والبسكويت والعصائر يعتمد عليها اعتمادا كليًا، أكاد أجزم لو أحدنا أخذ منه تلك الحقيبة لمات كمدًا أو قل لاستسلم في الحال، وهم يحرصون على حقائبهم أكثر من حرصهم على أسلحتهم. ومن الأمور الملفتة أنهم كانوا يحرصون على توفير ماء الشرب لنا ويجبروننا على شربه بكميات كبيرة، لم أكن أعرف سر هذا إلا بعد فترة، كان السر في ذلك على حسب زعمهم بأن شرب الماء بكثرة علاج لأمراض كثيرة وكانوا يأمروننا بتناوله تحسبًا لانتشار الأمراض المعدية في أوساطهم.

مكثت في هذه الحظائر خمسة وعشرون يوما فقط بينما الآخرون ظلوا فيها شهورًا وسنينًا يذوقون ويلات العذاب وأنواع الإهانات والاستفزازات والشتائم المتكررة يوميا، أتذكر حينها أخذوني من هذه الحظائر إلى معتقل غوانتنامو، جاءوا إلي ليلا على طريقتهم المعهودة وهي إذا أرادوا أخذ أحدنا يصيحون بأعلى أصواتهم ويوقظون الجميع ويوقفوهم في صف واحد ويأمروهم بأن يرفعوا أيديهم في أحد أركان الحظيرة ثم ينادون على رقم الشخص المطلوب ويطلبون منه الانبطاح على الأرض جاعلًا يديه خلف ظهره بعد ذلك يطلقون الكلاب البولسية لتصعد فوق ظهرك بعدها يهجمون عليك في جلبة وضوضاء، ويضعون القيود على يديك ورجليك ثم يأتون بغطاء سميك ويضعونه على عينيك وتسحب سحبًا بطريقه مهينة إلى مكان منعزل تمكث فيه ساعات طويلة تحت وطأة البرد والقيود والجوع وعدم الحركة والكلام وغير ذلك إلى أن تبدأ رحله أخرى من العذاب ألا وهي الرحلة إلى غوانتنامو، قبل بدأ الرحله يجري عليك تفتيش دقيق من قبل جنود يرتدون قفازات مطاطية واقية من الأمراض، يتلوه عملية حلق شعر الرأس واللحية والشارب والحواجب بشفرة حادة، ربما يأتيك جندي حاقد ويحلق شعر صدرك أو ساعدك، بعد إجراء هذه الترتيبات يصعدون بك إلى

الطائره واحدًا تلو الآخر، ويصعد مع كل أسير اثنان من جنود المارينز أحدهما عن يمينه ويمسك بيده اليمنى على عضد الأسير ويضع يده اليسرى على قفاه "أي الأسير" ضاغطًا عليه لأسفل والآخر عن يسارك ويفعل مثله إلى أن يجلساك في أحد المقاعد الحديدية وتربط في حلقات مثبتة في أرضية الطائرة كما تربط الخراف ثم تشد بحزام على هذا المقعد الحديدي، ينزع الغطاء السميك بعد الصعود إلى الطائرة ويستبدل بنظارة قاتمة تمنعك الرؤية وعلى أذنيك غطاء أو سدادة تمنعك من السمع ويتم تخديرك بواسطة عقاقير لإفقادك القدره على المقاومة والحركة. أقلعت الطائرة بنا وبعد عدة ساعات حطت إلى قاعدة أمريكية في تركيا أو ألمانيا حيث أخذوا مجموعة أخرى من المعتقلين البوسنيين من أصل جزائري ثم واصلت رحلتها، كان يعطى لكل واحد منّا خبز "توسته" محشى بعجينة فول سوداني. أسوأ الحالات التي كانت تواجهنا حين نقاد إلى دورة المياه حيث يتم تحريرنا من الحلقه فقط أي الحلقة المثبتة على أرضية الطائرة وندخل دورة المياه ولا نتمكن من غسل مخارج البول والغائط بالكاد ونخشى في نفس الوقت من أن نتنجس ببولنا، هذه كانت من أشد المعاناة النفسية التي كنا نعانيها، فإذا سألت عن كيفية أداة الصلاة ؟ أقول لك: كنا نؤديها إيماءً أي بتحريك الأصبع، بعد أكثر من عشرين ساعة طيران أخيرًا وصلنا إلى قاعدة غوانتنامو في كوبا.

أسماء الشهداء - بإذن الله- قبل الانحياز وفي الاشتباك الخاطئ مع الأوزبك وشهداء قلعة جانجي -بإذن الله- في رمضان عام 1422هـ

1. **عمر الجمهور**: أبو دجانة النجدي يسكن بالرياض بحي السلي.
2. **ناصر اليماني**: قعقاع الحارثي يسكن بالرياض.
3. **عبدالكريم الشهري**: أيوب النجدي يسكن بالرياض بحي النسيم.
4. **فيحان العتيبي**: أبو تراب النجدي يسكن بالرياض.
5. **الشيخ أبو عبدالرحمن النجدي**: وهو قاضي بالرياض طويل القامة أسمر اللون وإمام مسجد.
6. **خالد سعد عكشمي العتيبي**: أبو سعد النجدي الراجح أنه قتل، يسكن بالرياض.
7. **أبو حبيب النجدي**: أصله يمني أبيض اللون جعد الرأس هادئ الطبع.
8. **وليد الحضرمي**: أسمر اللون ومتزوج وكان له ستة أشهر ثم سافر، عند أبوه محلات مكيفات يسكن بالرياض.
9. **سلمان**: فاروق الحارثي طويل القامة عنده لتغة في اللسان يسكن بالرياض.
10. **ياسر الرميح** : أبو حبيب القصيمي يسكن بالرياض بحي الربوة.
11. **نايف المعجل**: أسامة البحريني وهو طالب علم يسكن بالرياض بحي الشفا.

12. **صـــالح المســـند**: النـبراس الشـــمالي يســكن بالقصــيم في بريــدة بحــي البصيرية.
13. **عبدالملك الربيش**: بشر القصيمي يسكن في بريدة بحي الصناعي.
14. **أبو حذيفة الشرقي**: أبيض اللون وهو أمرد نحيف يسكن بالشرقية.
15. **أبــو البتــار الشــرقي**: وهــو صــاحب أبــو حذيفــة الشــرقي وهــو أسمــر اللون.
16. **أبو صلاح الدين الحساوي**: حنطي اللون وجهه أفطس.
17. **عبــدالرحمن الســليماني**: مصـعب العـربي يسـكن بالطـائف بحـي الشـطبة أخوه يوسف في كوبا.
18. **أحمد الوظاف**: يمني عاشق الحور يسكن بالطائف بحي الشطبة.
19. **ماجد ثواب الثبيتي**: ثوار الطائف ولد صغير جدًا خفيف اللحية.
20. **مُحَمَّد اللهيبي**: مثنى المكي أبو الرؤى يسكن بمكة بحي العتيبية.
21. **ياسر المطرفي**: عمار المكي يسكن في مكة بالعتيبية.
22. **موسى أصله جيزاني**: خباب المكي حنطي اللون.
23. **أبو معاذ المكي**: طويل ثخين الصوت.
24. **ماجد**: سارية المكي طويل القامة.
25. **أبو النصر النجدي**: نحيف هادئ الطبع يسكن بالرياض.
26. **أبو حيدرة المكي**: المشهور بقصيدة (طاح كرت البعير).
27. **إبراهيم الزهراني**: ذكر الشهادة عمير الجداوي طويل الشعر.
28. **بركــات علــي الســيد القــرني**: أبــو زياد الجــداوي يســكن في جــدة بحــي المنتزهات.
29. **عبدالعزيز العمري**: عطية الزهراني طويل القامة والشعر عند وفاته.

30. **وعيد الحربي**: مسلم الحربي يسكن في جدة بحي الجامعة.
31. **مُحَمَّد اللهيبي**: مثنى الخولاني يسكن في جدة بحي قويزة.
32. **عبدالله**: أصله يمني، كنيته صفوان متوسط القامة والجسم يسكن في جدة.
33. **أحمد هاشم الحربي**: أبو هاشم الحربي يسكن في جدة بحي النزهة.
34. **خالد مُحَمَّد الحربي**: عاصم المدني يسكن بالدويمة.
35. **ماهر العلوي**: جعفر المدني يسكن بالدويمة.
36. **عبدالله مطيران الحربي**: أبو بكر المدني يسكن بالدويمة.
37. **مُحَمَّد عبدالله الشنقيطي**: يدرس في الثانوية الصناعية يسكن في المدينة بحي السيح.
38. **بندر اللقماني**: خلاد المدني، حي الجبور.
39. **أبو زيد البدري**: حنطي اللون يلبس نظارات يسكن بالمدينة.
40. **حسن الحديدي**: أبو عمر الحديدي أصله يمني نحيف الجسم طويل الشعر يسكن في مكة.
41. **أبو عبادة الحجازي الشهري**: حنطي اللون نحيف الجسم متوسط القامة.
42. **ناصر المطيري**: عزام الجلاوي قتل بقذيفة دبابة ظهرت منه رائحة المسك تقطع كله ما عدا نصف صدره ورأسه يسكن في جدة.
43. **صالح**: مصعب العوذلي، أصله يمني وظهرت منه رائحة المسك يلبس نظارة حنطي اللون عمره 32 تقريبًا يسكن في جدة.
44. **ماجد الحربي**: طارق الحربي حنطي اللون خفيف اللحية عريض الجسم يسكن في جدة.

45. **خالد البطي**: أبو ذر النجدي متزوج يسكن في حفر الباطن.

46. **خالد**: أبو حفص النجدي من أقرباء خالد البطي يسكن في حفر الباطن.

47. **أبو المعتصم الزهراني**: قصير القامة فيه صلع في الرأس طويل اللحية أبيض اللون يسكن في الشرقية في حي الأخ أبو حذيفة الشرقي رقم 14.

48. **بابا**: عبدالله البسنوي من أفريقيا أسمر اللون يسكن في مكة قُتل في الانحياز إلى قندوز.

49. **أبو عبدالعزيز العسيري**: طويل القامة أبيض اللون متوسط اللحية كان يدرس في كلية المعلمين بعسير اتصل على أبيه في آخر الأيام وكان راضي عنه، قُتل في الانحياز إلى قندوز.

50. **فواز جزاء الذيباني**: أبو حذيفة التبوكي سمين الجسم خفيف اللحية سافر إلى أفغانستان بعد 11 سبتمبر يسكن في تبوك.

51. **مُحَمَّد: عبدالسلام الحضرمي**: قائد العرب في الشمال وهو قصير القامة حنطي اللون من عدن قُتل بسبب القصف الأمريكي.

52. **عبود الحضرمي**: عثمان الحضرمي ابن عم عبدالسلام الحضرمي أسمر اللون قُتل في الانحياز إلى قندوز يسكن في حضرموت.

53. **عبدالله، أبو الحسن الأبيني**: القائد المجاهد حنطي اللون، سجن في عهد الاشتراكية 8 سنوات كان طالب علم وحافظ للقرآن.

54. **سامي**: أبو عمر العدني نحيف الجسم خفيف اللحية حنطي اللون عمرة 21 سنة.

55. **بسام**: أبو حمزة العدني أبيض اللون خفيف اللحية عمره 21 سنة.

56. **أبو مغوار التعزي**: حنطي اللون جعد الشعر هادئ الطبع.

57. **أبو مهند التعزي**: أسمر اللون صغير القامة كان مسئولا عن الإعلام في الشمال.

58. **أبو إسماعيل الحضرمي**: أسمر اللون يسكن في حضرموت المكلا.

59. **أبو عكرمة الحضرمي**: أسمر اللون جعد الشعر فُقد في الانحياز.

60. **أبو هاجر الحضرمي**: أسمر اللون مبحوح الصوت فُقد في الانحياز.

61. **أبو ثابت القطري**: طويل القامة أسمر اللون.

62. **أحمد الجوفي**: أبو القعقاع التبوكي، أحد القادة في الشمال متوسط الطول أبيض اللون جعد الشعر من اليمن.

63. **طلال**: أبو غريب الصنعاني قائد العرب بعد مقتل عبدالسلام، جعد الشعر عيونه عسلية حنطي اللون.

64. **أبو يعقوب الأردني**: طويل القامة أبيض اللون طويل اللحية وشقراء، كان في جماعة التبليغ الأردن، قدم من أوروبا.

65. **مراد**: أبو عبدالله التونسي أبيض اللون طويل القامة خفيف اللحية يسكن في ألمانيا دخل أفغانستان شهر صفر 1422 هـ.

66. **أبوالعطاء التعزي**: طالب علم طويل القامة خفيف اللحية جدًا أبيض اللون درس في جامعة الإيمان بصنعاء.

67. **نجم الدين ابن الصامت**: صاحب أبو العطاء، طالب علم متوسط القامة أبيض اللون خفيف اللحية.

68. **أبو هاجر القصيمي**: متزوج يسكن بالرياض في حي السلي.

69. **أبو جهاد الصنعاني**: حنطي اللون متوسط القامة واللحية جعد الشعر.

70. **أبو عبدالمعطي الجداوي الحربي**: كان يعمل سائق نقل جماعي وهو متزوج من باكستانية، حنطي اللون متوسط اللحية متوسط الطول والجسم يسكن في جدة.

71. **أبو جنيد**: من أسرة ثرية أصله هندي نحيف الجسم أمرد يلبس نظارة، حافظ للقرآن الكريم يسكن في مكة.

72. **أبو زهير الليبي**: متوسط اللحية والجسم والطول حنطي اللون مبحوح الصوت.

73. **أبو حكيم التعزي**: كنيته "مقاتل "، خفيف اللحية أبيض اللون، أبوه أحد مشايخ المنطقة، يسكن اليمن.

74. **سمرقند**: أبيض اللون خفيف اللحية متين قليلًا متزوج، قد سجن في سجن الرويس يسكن في جدة.

75. **خالد العجمي**: أبو حيدرة الكويتي حنطي اللون متوسط الجسم واللحية عنده سيارة كراسيدا في التسعينات توماتيك.

76. **أبو حمزة الكويتي أو سيف الكويتي**: متزوج من أهل الكويت كان عنده سيارة (في أكس آر) واحترق في الكويت، يُعتقد أنه مطيري حنطي اللون بدوي اللهجة متوسط الجسم واللحية.

77. **أبو عبدالسميع الليبي**: كبير في السن طويل اللحية أبيض اللون.

78. **زيدان الشهري** : أبو زيد الشهري قُتل في القصف الأمريكي وكان يصلي صلاة العصر وقتل وهو يصلي رحمه الله.

79. **أبو عمر الحبيب**: أسود البشرة نحيف الجسم خفيف اللحية.

80. **عادل يُعتقد أنه شهراني**: أبو شداد أبيض اللون متوسط اللحية ناعم الشعر متوسط القامة من بلجرشي أو خميس مشيط.

81. **أبـو عبـدالعزيز النعمـاني** : حنطـي اللـون متوسـط الجسـم والقامـة يلـبس نظارات قُتل متأثر بجراحه بعد القلعة وهو من اليمن.

82. **أبـو أقـص** : حنطـي اللـون متوسـط اللحيـة والجسـم والطـول يعتقـد أنـه من الرياض.

83. **عبـدالله، أبـو أيمـن اليمـني:** قصـير القامـة جـدًا ومتـين الجسـم متوسـط اللحية أخ قديم في الجهاد من اليمن.

84. **أبـو صـابر** : كبـير في السـن خفيـف اللحيـة أصـلع الـرأس قلـيلًا متوسـط الطول والجسم يعتقد أنه مغربي من سكان ألمانيا.

85. **أبـو عبـدالرحمن الكـردي:** طويـل القامـة أبـيض اللـون عمـرة 32 تقريبًـا من العراق مدينة السلمانية.

86. **أبـو فـاروق المغـربي:** طويـل جـدًا أبـيض اللـون متوسـط اللحيـة، رجـل رياضـي حصـل علـى بعـض الجـوائز في الألعـاب الأولمبيـة، يجيـد لعبـة الكونفـو والكاراتية.

87. **أبو عبدالملك النجدي** : أشقر الشعر أبيض اللون كأنه شامي.

88. **فـارس:** أبـو عيسـى الجـداوي طويـل اللحيـة والشـعر متـزوج وهـو مـن الأخوان، حنطي اللون عمره 35 تقريبًا.

89. **أبـو بصـير** : وهـو أخـو فـارس طويـل الشـعر متوسـط اللحيـة أبـيض اللون (مفقود في وقت الانحياز لا نعلم عنه شيئًا).

90. **أبـو ياسـر العـدني:** أبـيض اللـون عـريض الوجـه جعـد الشـعر متوسـط اللحيـــة أخـــوة أسمـــه عثمـــان في كـــوبا.

وبهذا انتهت الأسماء التي عندي، نسأل الله العظيم أن يتقبل منا شهدائنا وأن يغفر لهم ويتقبلهم ويسكنهم في الفردوس الأعلى من الجنة وأن يلحقنا بهم عاجلًا غير آجل .يا رب العالمين، اللهم آمين.

الفصل الرابع



في غياهب معتقل غوانتنامو

خليج غوانتنامو مكان ساحر وبديع ، تقع عينك هناك على جمال الطبيعة في كل شيء: الماء والهواء، المساحات الخضراء المتناهية الاتساع لكن هذا الجمال يحمل في طياته معسكرات مقسمة تشبه الثكنات العسكرية محاطه بأسوار عالية يحرسها الجنود من كل اتجاه عليها بوابة تحمل عنوان واحد هو: عنوان الضياع والموت لكل من يدخلها .. إنها معتقل غوانتنامو.

غوانتنامو اسم سيذكره التاريخ طويلا بعد أن نسيه لسنوات عديدة، ومعتقلها سيظل شاهدا حيا على ممارسات الولايات المتحدة المثيرة للجدل بعد أن أفقدتها أحداث الحادي عشر من سبتمبر الكثير من هيبتها. في هذه المنطقة المعزولة من العالم يعيش حفنة من البشر بلا محاكمة

منذ ثمانية أعوام ومن المنطقي أن يكون بينهم الكثير من الأبرياء ولكن لا أحد يستمع إليهم أو يصدقهم هناك.

غوانتنامو أين تقع؟

تعتبر قاعده غوانتنامو البحرية أخر قاعدة عسكرية في أميريكا اللاتينية .. وهي تقع على الساحل الجنوبي الشرقي لدولة كوبا. فقد شيدها الأسبان أثناء الاستعمار الإسباني لكوبا وجعلوها سجنا بتلك المنطقة ليقمع فيها نشطاء الثورة الكوبية، لكن الكوبيين بمساعدة جيرانهم الأمريكان تمكنوا من تحرير كوبا منذ نحو ما يزيد عن مائة عام ويومها طلبت أمريكا عام 1903م من جارتها الصديقة كوبا أن تستأجر تلك المنطقة التي تقع أقصى جنوب شرق البلاد مقابل مبلغ أربعة آلاف دولار سنويا. كبادرة امتنان من الكوبيين لوقفة الأمريكان إلى جانبهم في حرب التحرير. وافقت الحكومة الكوبية على تأجيرهم لها، ومعلوم أنها تبعد حوالي ألف كلم من العاصمة هافانا، ومن اللافت للنظر أن الحكومات الكوبية المتعاقبة لم تقم بصرف أي شيك من الشيكات التي لا زالت الولايات المتحدة تقدمها لها حتى الآن .. وذلك إشارة من الكوبين إلى إعتراضهم على التواجد الأمريكى لديهم حتى ولو كان في منطقة معزولة ومقابل مبلغ متفق عليه.

حين اندلعت أزمة الصواريخ السوفيتية في أكتوبر 1962م التي كادت تدفع العالم إلى شفير حرب نووية قامت فرقة من ثمانية عشر ألف جندي كوبي بحراسة قاعدة غوانتنامو وتمّ زراعة المنطقة المحيطه بها بالألغام، ومع انتهاء الحرب الباردة بين أمريكا وروسيا وحلفائهم فقدت القاعدة أهميتها الإستراتيجية وباتت تستخدم كمعسكر للتدريب. مع أفول نجم الاتحاد

السوفيتي السابق وانفراد الولايات المتحدة بالعالم وتحولها إلى القطب الأوحد .. عادت هذه البقعة إلى دائرة الضوء مرة أخرى بعد أن بدأ نقل أسرى معركة الحرب على الإرهاب إليها. منذ قيام الثورة الكوبية يطالب فيدل كاسترو استعادة هذا الجيب الأمريكي، كان البعض يخشى أن يثور غضب الكوبين بعد إعلان وصول أسرى طالبان والقاعدة من أفغانستان إليها. يذكر أن الولايات المتحدة قد استشعرت خطرًا شديدا من كوبا أربعة مرات على الأقل .. مما دفعها لإعلان حالة الاستعداد القصوى في القاعدة عندما شعر الأمريكيون أنها يمكن أن تعود للكوبيين، كانت المرة الأولى أثناء الثورة الكوبية عام1906م، ثم كانت الثانية أثناء الثورة الثانية التي قادها الرئيس كاسترو ورفيق كفاحه جيفارا عام 1959م، ثم كانت الثالثة أثناء أزمة الصواريخ السوفيتية عام 1962م عندما أمر الرئيس كاسترو بقطع إمدادات المياه عن القاعدة مما دفع الأمريكين فيما بعد إلى إنشاء محطة لتحلية المياه ووفرت الاكتفاء الذاتي من مياه الشرب لقاعدة غوانتنامو . فهذا المعتقل بات من أشهر المعتقلات في العالم فهو يضم جنسيات عديدة مشتركة في سمة واحدة وهي أنهم مسلمون وأنهم مشتبه في تورطهم في أعمال إرهابية مجرد شك ليس أكثر، قامت أمريكا بإرسال كل من قامت بالقبض عليهم في المعركة التي سمتها الحرب ضد الإرهاب إلى كوبا ووضعتهم في مئات الأقفاص، فمع وصول أسرى القاعدة وطالبان إلى غوانتنامو تبدأ رحلة أخرى من العذاب، حيث تقف عدة عربات مسلحة منتشرة في استقبال الأسرى وعلى متنها جنود يحملون المدافع والرشاشات فضلا عن عربة تحمل قاذفة قنابل يدوية وبجانب هذه العربات المسلحة يقف جنود آخرون من المارينز على أهبة الاستعداد لأي طارئ كما توجد قوات من

القناصة متخفية على جانبي القاعدة علاوة على مروحية تحلق فوق القاعدة لحراستها من الأعلى.

مجرد أن تصل الطائرة إلى المدرج فإن الجنود الأمريكان يسرعون للإحاطة بالطائرة التي تحمل الأسرى في مشهد لا يختلف كثيرا عما يقوم به الحرس الخاص بأي رئيس دولة عند نزوله من طائرته. بعد هذه المقدمة دعني أيها القارئ أسرد لك تفاصيل ما كان يحدث لنا في هذا المعتقل الرهيب.

الوصول الى غونتنامو يوم الأحد الموافق لـ 20 يناير 2002م

نزلنا من الطائرة تحت وابل من السباب والشتائم واللعنات وجاءنا صوت أحد المترجمين وهو يصرخ: لا تتحرك لا تتكلم، أنت تحت قبضة القوات الأمريكية المارينز ثم يردف صارخا، إجلس على ركبتيك خافضا رأسك ولا تتلفت ولا تتحرك، نجلس على هذه الوضعية لعدة ساعات بعدها تأتي حافلات خالية من المقاعد ومثبتة على أرضيتها حلقات حديدية أيضا كما في الطائرة، يتم رفعنا وتثبيتنا بالسلاسل على هذه الحلقات ونحن جاثون على ركبنا مع مزيد من الركلات والصيحات المزعجة، بعد دقائق تدخل بنا الحافلة إلى عبّارة عسكرية وبعد حوالي ربع الساعة تنزل بنا إلى اليابسة وتشق الطرقات إلى أن تصل البوابة الرئيسية لمعتقل إكس راي X-ray وفي ساحتها نظل جاثين على ركبنا خافضي الرأس ويقف فوق رأسك اثنان من جنود المارينز يركلانك إذا حاولت أن تحدث أي حركة ونبقى في هذه الساحة لساعات طوال، بعد أن نجرد من ملابسنا تماما ويدخلونا تحت

جدار مثبت عليه صنبور ماء يتحكمون فيه من بعيد، يفتح الماء عليك بقوة ويصرخون على وجهك بأعلى صوت: إغسل يديك، إغسل رأسك، إغسل رجليك، إغسل ظهرك .. الخ، وهكذا ثم جاءوا إلينا بملابس برتقالية "الزيّ الخاص بالسجناء". بعد هذا نعاد في القيد مرة أخرى ونمر عبر عدة غرف للكشف الطبي مثله مثل تلك الغرف التي مررنا عبرها في قندهار، بعد إجراء عمليات الكشف الطبي يؤخذ منا قياسات الطول والوزن ويوضع في معصمك شريط بلاستيكي عليه جميع البيانات، الاسم ، تاريخ الميلاد، الرقم، الدولة التي تنتمي إليها، الطول، الوزن، فصيلة الدم وغيرها، بعد هذا يسحبونك داخل خيمة ويتم تصويرك من جميع الزوايا وتؤمر تحت معاملة قاسية وصيحات متوالية وجلبة ولكمات بأن تكتب رسالة قصيرة ،إذا سألت لمن ؟ يردون عليك: إلى الجحيم، هذه الطريقة الذكية المقصود منها معرفة ما إذا كنت تعرف القراءة والكتابة أو تحاول تخدعهم كأن تغير اسم والدتك أو والدك أو أن تكتب اسم أي شخص آخر تعرفه ويسألونك عنها فيما بعد إذا أنكرتها، وذلك عند إجراء التحقيق معك. أنزلونا في زنزانات انفرادية مصنوعة من أسلاك الفولاذ داخل عنبر كبير تصطف على جانبيه على شكل أقفاص مساحة كل واحدة منها 180سم x240سم بارتفاع 240سم، أرضيتها من الأسمنت وبداخلها سطلين أحدهما لقضاء الحاجة - أكرمك الله - والآخر للغسل كما يمنح لك حذاء حمام، صابون حمام، فرشة أسنان، معجون، حافظة ماء صغيرة "زمزمية"، فرش بلاستيكي سمكه 2سم ومنشفة صغيرة. كانت هذه الزنازين في بادئ الأمر لا تطاق بسبب الثعابين والعقارب والضفادع التي كانت تتسلق عليها وتقفز إلى الأسرى من خلال الفتحات من أعلى وأسفل نسبة لوجود هذه الزنازين في أرض مستنقعات قريبة من المحيط، يحيط بها سلسلة

من الهضاب مكسوة بالخضرة والعسكر يجوبون حول هذه الزنازين جيئة وذهابا ونسمع أصوات السلاسل والصياح وهم يسحبون أحد الإخوة على زنزانته، كنا ممنوعين في داخل هذه الزنازين من أداء شعائر الصلاة والقيام والحركة والالتفات والتحدث مع الجار والأعجب من ذلك أن حلاقه الرأس واللحية والحواجب والشارب قد غيرت من ملامحنا كثيرا لدرجة أننا لم نكد نعرف بعضنا إلا بعد أن يذكر اسمه، كان شيئا مضحكًا ومثيرًا للحزن في آن واحد، نسبة لتزايد أعداد المعتقلين في هذا العنبر جاءوا بعمال كوبيين لتشييد مزيد من العنابر والأقفاص، كنا نراهم وهم يعملون بجد وهمة ونشاط والضباط الأمريكان يشرفون عليهم، كانوا يسنون لنا يوميا قوانين ولوائح جديدة، أتذكر أول كرامة ظهرت لنا في خضم هذا البلاء العظيم، القوانين الصارمة، هي أنها كانت توجد على أطراف العنابر حمامات للغسل عليها أبواب من الفولاذ مكشوفة، جاءت مجموعة من جنود المارينز وقالوا للإخوة: استعدوا للحمام وأخذوا اثنين أو ثلاثة من زنازينهم بعد أن جردوهم من ملابسهم وسحبوهم إلى الحمامات وأجبروهم على الغسل عراة وأعادوهم إلى زنازينهم وهم عراة أيضا أمام إخوانهم، كنا بقدر الإمكان نداري أنظارنا منهم حتى لا تقع على عوراتهم وهم يعيدون الكرة وإذا رفضنا أو تظاهرنا بالنظافة يقال لنا هذا قانون إجباري ولا بد من الاستحمام عاريًا يوميًا.

عاش الإخوة حقيقة في ضغوط نفسية ولحظات عصيبة لا أستطيع أن أصفها لك وهم يرون إخوانهم يساقون أمامهم هكذا، بعضهم أخذ بالعزيمة وحاول أن يقاوم فيطرحه الجنود أرضا ويسحب على الحصى حتى يوصلوه إلى الحمام، هنا قام الإخوة جميعا وتوضأوا ووقفوا أمام جبار السموات والأرض رافعين أكفّ الضراعة والدموع تنهمر على خدودهم سائلين منه

رفع هذا البلاء العظيم، فلم تمر لحظات إلا ودخل مسئول كبير إلى العنبر آمرا الجنود بتنفيذ قانون جديد صدر لتوه بإيقاف تجريد الملابس وجعل ستار للحمامات وتوزيع سراويل قصيرة لكل واحد على الفور، بكينا مرة أخرى ولكن هذه المرة من شدة الفرح واستشعرنا عظمة الله وقدرته وأن هؤلاء الحثالة والأوغاد وعبدة الطاغوت لن يضرونا إلا بما كتبه الله لنا.

أما الطعام فكان يتكون من وجبتين في الأيام الأولى يأتي الجنود بالوجبات ويضعونها أمام الزنازين وتكون معرضة للتهوية والبرودة والتراب لفترات طويلة ويا ويل من يمد يده ويسحبها إلى الداخل قبل إعطاء الأوامر، تصور هذه الحالة، الطعام أمامك والجوع ينهشك وأنت مغلوب على أمرك ولا حول لك ولا حيله.

بدأوا بأخذ الإخوة واحدا تلو الآخر إلى العيادة الملحقة بالمعسكر لإجراء عمليات الكشف الطبي والفحوصات، كانوا يسحبوننا على نقالة بعد تقييد اليدين والرجلين على حافة النقالة، يصل الأسير إلى غرفة العيادة فيأتي الطبيب ويغرز في جسمك إبرة ضخمة ويسحب كميات كبيرة من الدم حتى تشعر بضعف وإعياء وخمول يسري في أنحاء جسدك، يحفظ هذا الدم بعد ذلك في ثلاجات عديدة، إذا سألتهم لماذا تأخذون كل هذه الكمية ؟ يردون علينا: نأخذها لأجراء الفحص الطبي، ونتفاجأ فيما بعد بأن هذا الدم يتم إرساله لإسعاف جنودهم المصابين في أفغانستان، بعد أن يسحب منا الدم نعود إلى الزنازين وبعد لحظات تأتي ممرضة - وهي عادة مجندة أمريكية- وهي تحمل في يدها أقراصا في حدود خمسة عشر قرصا وتأمرك بتناولها على الفور لئلا يحصل أي مضاعفات.

كيف كانت تسير التحقيقات ؟

بعد التأكد من خلونا من الأمراض المعدية أو المزمنة ونستعيد النشاط والحيوية، يأتى إليك ثلاثة من الجنود والشرر يتطاير من عيونهم وتسمع صوت السلاسل والقيود تحدث ضجيجا وتختلط مع صياحهم وجلبتهم ويركلون باب الزنزانة بقوه عدة مرات وهم يصرخون في وجهك: قم تحرك، ما رقمك ؟ أنت الآن مطلوب للتحقيق. إذا استأذنتهم بأن يعطوك مهلة لقضاء الحاجة أو نحو ذلك يقولون: لا مجال لك اقض حاجتك هناك، يتقدم أحدهم حاملا المفتاح ويمسك بقفل الباب والآخر يأمرك بإخراج يدك عبر طاقة صغيرة وسط الباب ويقبض كفيك بسرعة ويفتحهما بعنف مع ترقب وحذر يشوبهما خوف في وجهه واضطراب في يده في مشهد لا يختلف كثيرا عن من يقيد أسدا، ثم يأتي الثالث ويضع القيود "كلبشات" على يديك آمرا بألا تنظر في وجهه، ومن ثم يدلي السلاسل إلى الرجلين ويدخل يده من خلال الطاقة الصغيرة في أسفل الباب مقيدا رجليك في حذر شديد، بعد هذه المراحل يفتحون باب الزنزانة ويخرجونك، ثم يسير أحدهم عن يمينك ويمسك بيده على عضدك، ويضع يده اليسرى على قفاك ضاغطا عليه، والآخر عن يسارك يفعل مثله، والثالث يمشي خلفك مباشرة تحسبا لأي طارئ، وإن أبديت أي مقاومة تطرح على الأرض وتسحب أو ترفع على نقالة وتمر أمام إخوانك القابعين خلف الشبك الحديدي وهم يرفعون أكفهم سائلين المولى عز وجل أن ينزل عليك السكينة ويلهمك الصبر ويثبتك على الحق، عند وصولك أمام مبنى التحقيق تجدها محاطة بأسلاك شائكة حولها جنود ينتشرون ومعهم كلاب بوليسية شرسة تكاد تنفلت من قيادها كلما رأت أسيرا يقاد إلى التحقيق، يقوم هؤلاء الجنود بإيقاف الأسير ويأخذون معلومات دقيقة من جنود

آخـرين في رفقـة الأسـير، وتتضـمن هـذه المعلومـات. إسـم الأسـير، رقمـه، أي عنبر ؟ مـن أي زنزانـة ؟ ثم بعـد ذلـك يـدلوهم علـى غرفـة التحقيـق المخصصـة لـه، تسـاق إلى غرفـة مسـاحتها تقريبـا 3x3 مـتر مبنيـة مـن أخشـاب متينـة مثبتـة في سـقفها كشـافات ذات إضـاءة قويـة وباهـرة، وفي أعلـى أحـد الـزوايا كـاميرا تصـوير تسـجل جميـع مـا يجـرى أثنـاء التحقيـق وفي وسـطها طاولـة كبـيرة بجانبهـا أربعـة أو خمسـة كراسـي مواجهـة لكرسـي الأسـير، عـادة يـؤتى بالأسـير ويـؤمر بالجلـوس بهـذا الكرسـي ويشـد بسلسـلة علـى حلقـه حديديـة تحـت كرسـيه، وفي أعلـى الجـدار جهـاز تكييـف يسـتخدم أحيـانا كوسـيلة لتعـذيب الأسـير وذلـك برفـع درجـة برودتـه ويـترك الأسـير تحتـه عـدة سـاعات، وهنـاك خلـف كراسـي المحققـين مباشـرة لوحـة مثبتـة علـى الجـدار تحتـوي علـى ثلاثـة أزرار، زر للطـوارئ الصـحية، وزر لفرقـة مكافحـة الشـغب، وزر لا أدري لأي شـيء خصـص، يقـاد الأسـير ويـؤمر بالجلـوس ويشـد علـى حلقـه بقفـل ضـخم، بعـد هـذا يخـرج الجنـود ويظـل الأسـير قابعـا فيهـا والكـاميرا تصـور وأطبـاء نفسـيون في غرفـة مجـاورة يشـاهدونه عـبر شاشـات مـن حيـث لا تـراهم، يمكـث الأسـير في كرسـيه عـدة سـاعات في انتظـار وصـول المحققـين مـع أنهـم لا يأتـون قبـل الأسـير حـتى لا يكونـون المنتظـرين لكـبر في أنفسـهم، بعـد هـذا الانتظـار الطويـل يـدخل عليـه المحققـون بطريقـة وحشـية، مـنهم مـن يركـل البـاب بقـوة بقدمـه، ومـنهم مـن يهجـم علـى الأسـير ويخنقـه سـائلا: مـا اسمـك ؟ وذلـك لإدخـال الرعـب والفـزع في نفـس الأسـير وبالتـالى يـتمكن مـن انتـزاع المعلومـات الـتي يريـدها بهـذه الطريقـة المرعبـة، يبـدأ مـن الأسـئله صـارخا، مـا اسمـك ؟ مـا جنسـيتك ؟ في أي مكـان قـبض عليـك ؟ مـا علاقتـك بتنظـيم القاعـدة ؟ وهكـذا .. ، إذا أجبـتهم بالنفـي، يصـرخ في وجهـك مـره أخـرى قـائلا: إنـك لا تريـد أن تتعـاون معنـا، ثم يأمـر بسـحب الكرسـي الـذي تجلـس عليـه والاتيـان

بكتلة خراسانية لتجلس عليها وأنت طبعا مقيد ويخرج، وتظل وحدك في الغرفة بعد أن يرفع من درجة البرودة، وتظل تحت وطأة البرودة وأنت تعاني ما تعاني من هذه الجلسة وثقل القيد وآلامه لفترة طويلة إلى أول الليل، بعده يأخذونك إلى الزنزانة مرة أخرى ويرجعونك إلى غرفة التحقيق ويعاودون تكرار الأسئلة السابقة، إذا صممت على موقفك تبقى فوق الكتلة الخرسانية حتى الصباح مع مزيد من البرودة، هذا الأسلوب كان أهون أساليب التحقيق وشيئا مألوفا ومتكررا، وأذكر من ضمن أساليبهم ما كنا نسمعه من الإخوه وقرأته في كتاب صدر حديثًا يحمل عنوان "غوانتنامو المعتقل الرهيب" للكاتب سامي الدهشان وأميره فكري، يذكران ما قاله الأخ المعتقل جمعة الدوسري حيث يقول: " في إحدى جلسات الاستجواب، قامت إحدى المحققات بنثر دم حيضها علي بعد أن قام أربعة من أفراد الشرطة العسكرية بتكبيلي وقالت لي: إن هذه هي فرصتي الأخيرة للاعتراف بأني إرهابي وعضو في تنظيم القاعدة وأني متورط في هجمات الحادي عشر من سبتمبر، ثم أجبرني أفراد الشرطة العسكرية على الاستلقاء على الظهر، وكبلوا أرجلي في حلقة مثبتة من الأرض، وقيدوا يدي ورفعوها فوق رأسي وأنا على الآرض، ثم قامت المحققة بإعطاء إشارة للبدء في قطع ملابسي بالمقص، بعدها قامت المحققة بخلع ملابسها الخارجية ووقفت فوقي، ثم خلعت ملابسها الداخلية ونزعت فوطة صحية كانت تضعها مما جعل دم الحيض ينساب على جسدي وعلى أعضائي التناسلية، ثم لطخت صدري بالدم، ولم تنجح محاولاتي للافلات من القيد، ثم قامت بتقبيل صليب كانت تلبسه، وقالت لي هذه هدية من المسيح لكم أيها المسلمون، ثم قامت بتلطيخ وجهي ضاحكة هي وأفراد الشرطة !! وبعد رحيل الشرطة تركوني نحو ساعتين أو ثلاثة ساعات قبل أن يسمحوا لي بالاستحمام ثم

قادوني إلى الزنزانة مرة أخرى وكان أحد أفراد الشرطة العسكرية يقوم بتصوير الواقعة بكميرا فيديو كان يحملها، ونفس هذا الأسلوب حصل أيضًا مع أخينا يعقوب السورى".

لا شك أنني عايشت هذه التحقيقات وخضعت إليها على أيدي عدة محققين، في فترات متفاوتة ما بين شهر أو شهرين حتى وصل عددهم نحو خمس وسبعون محققًا كل واحد منهم له أسلوبه الخاص في التحقيق والتعذيب معًا، كنت أسمع من بعض الإخوة الذين خضعوا للتحقيق كيف كان يتم أسلوب التحقيق معهم، منهم من كان يتحفظ حتى لا يثير الخوف في نفوس الآخرين ويكتفي قائلًا: الأمور طيبة والحمد الله في حين أنه ذاق الويل، ومنهم من يأتى صامتًا بالمرة ويظل على صمته يومًا كاملًا، أو أكثر ولا ندري ما حصل له.

دعنى أذكر لك طرفًا من أساليب التعذيب التي أوردها الكاتبان وقد عايشت وسمعت عنها من هؤلاء المعتقلين قبل وأثناء وبعد وصولنا إلى غوانتنامو أذكر منها:

- الخطف.
- أرغام المرء على المشي عاري القدمين على أسلاك شائكة.
- عصب العينين.
- منع التنفس بوضع اليد على فم وأنف المعتقل لمنعه من التنفس.
- المعاملة الوحشية لإخراج المعتقل من زنزانته بالقوة.
- استخدام الرذاذ الكيماوي – رذاذ الفلفل.
- الإحراق بالسجائر.
- إدخال المعتقل داخل خزانة ثم إغلاقها.
- التهديد بالقتل.

- التلاعب بالحمية الغذائية.
- استخدام الكلاب للتهديد والتخويف.
- الرش بالماء البارد.
- الصعق بالصدمات الكهربائية والتهديد بها.
- التعريض للطقس والحرارة القاسية عن طريق تكييف الهواء.
- لف المعتقل بالعلم الإسرائيلى أو الأمريكي خلال الاستجواب أو قبله .
- الحرمان من الطعام والماء.
- الإرغام على الحلاقة مثلًا حلق شعر الرأس أو الجسد أو الوجه.
- الحقن القسري بمواد غير معروفة.
- الإرغام على الاستلقاء على الظهر أو مؤخرة الساقين .
- تغطية الرأس والوجه.
- أحتجاز الرهائن أي احتجاز أشخاص لإجبار أقربائهم على تسليم أنفسهم.
- الإذلال، مثلًا الزحف القسري والإرغام على تقليد أصوات الحيوانات والتبول على المرء.
- التغطيس في الماء لخلق الإحساس بالغرق.
- الإعتقال بمعزل عن العالم الخارجي.
- خلق الشعور بالخنق أو الاختناق.
- الحرمان من الوضوء.
- الموسيقى الصاخبة والضجيج والصراخ.
- تصوير فوتغرافي وفيديو كضرب من ضروب الإذلال.
- الاعتداء الجسدي مثل الركل واللكم والضرب بالأيدي والخراطيم والهروات والمسدسات.

- الاستجواب المطول مثلًا لمدة عشرون ساعة.
- الحرمان من مقابلة الأقرباء أو الرقابة المفرطة على الاتصالات معهم .
- التعصب الديني مثلًا الازدراء بالقرآن والشعائر الدينية.
- الاعتقال الأسري.
- النقل السري.
- الحرمان من استخدام الحواس.
- الإذلال الجنسي.
- الاعتداء الجنسي.
- الاعتداء المفرط والقاسي للأغلال والأصفاد بما فيه التقييد بالأغلال القصيرة .
- تغيير نمط النوم .
- الحرمان من النوم .
- الحبس الانفرادى لفترات مطولة مثلًا لمدة شهر أو أكثر من سنة.
- الأوضاع الجسدية التي تسبب الإجهاد والركوع والوقوف القسري المطوّل.
- الاستخدام المفرط أو المهين للتجريد من الملابس بحجة التفتيش.
- الأضواء القوية على مدار الساعة.
- التهديد بالاغتصاب.
- التهديد بالانتقام من الأقرباء.
- التهديد بالنقل إلى دولة ثالثة لزرع الخوف من التعذيب أو الإعدام .
- التهديد بالنقل إلى غوانتنامو.
- التهديد بالتعذيب وسوء المعاملة.
- سحب بنود الترفيه أو الغذاء بما فيه البنود الدينية.

- حجب المعلومات عن المعتقل.
- الامتناع عن توفير العقاقير الطبية.
- عدم السماح باستخدام المرحاض مما يؤدي إلى التبول أو التبرز في الملابس. - انتهى كلام الكاتبان.

دعني أيها القارئ الكريم أوضح لك بالتفصيل بعض هذه الأساليب التي أوردها في كتابيهما، فليسمحا لي أن أضيف إلى معلوماتهما الثرية بعض الحقائق وأتناولها بالشرح بحكم أنني كنت شاهدًا على ذلك وصاحب تجربة سابقة مع هذا المعتقل.

الخطف

كان يحدث من قبل الاستخبارات الأمريكية بالتعاون مع الدولة المتواجد فيها المختطف مثل غامبيا التي أختطف منها المواطن العراقى (بشر الراوي) وكذلك المواطن الأردني (جميل البنا) ، وأما لما حدث في باكستان فحدث ولا حرج حيث كان أفراد من الاستخبارات الباكستانية يقتحمون المنزل ليلًا ونهارًا ، ويخطف الشخص من بين أولاده وأسرته خاصة بعد أن عرف الباكستانيون إلا من رحم ربي بأن الأمريكان يدفعون مبالغ مقدرة من الدولارات لمن يقبض على عربي أو يبلّغ عنه، تكالب الباكستانيون على تبليغ الاستخبارات الأمريكية والباكستانية عن أماكن تواجد العرب وأصبح هذا الأسلوب تجارة رائجة عندهم والله إنها لبئس التجارة وبئس الأسلوب.

استخدام الرذاذ الكيماوي - رذاذ الفلفل

كنا نطلق عليها اسم البخاخ (Spery)، وكان لا يحمله إلا الضباط في بادىء الأمر، إذا أرادوا الدخول على الأسير يأتي الضابط في بادئ الأمر ويرش البخاخ على وجه الأسير ويفقده الرؤية تمامًا ويقف أمام باب الزنزانة فرقة الشغب المكونة من ستة جنود عليهم ملابس خاصة ثقيلة ودرع من البلاستيك المقوى على الصدر ليتفادى لكمة الأسير إذا همّ بذلك، ودرع صغير على الركبتين وعلى مفصل المرفقين والكوعين، وواقي بلاستيكي على الساقين ويضع على رأسه خوذة حديدية ذات شبك ليحمي بها رأسه ووجهه ويلفّ عنقه بشريط مطاطي يحافظ به على الحنجرة ويكون ثلاث منهم في أيدهم دروع بلاستيكية مقوية علاوة على الخوذه ذات الشبك كتلك التي تستخدمها قوات مكافحة الشغب والتظاهرات. يقف خلف هؤلاء الثلاثة عشرة آخرون، أربعة منهم من حراس العنبر واثنان من المرضين يحملون حقيبة للإسعافات الأولية، وواحد بيده كمرة فيديو يصور المشهد، ومترجم وضابط يحمل رذاذ الفلفل، بالإضافة إلى قائد المجموعة وهو عادة يكون من ذوي الرتب الرفيعة، يرش الضابط الرذاذ على وجه الأسير ويفقده الرؤية ويتخبط يمنة ويسرة ويضع يديه على عينيه من شدة الألم والحرارة، عندها يفتح الباب ويهجم عليه ستة بطريقة وحشية ويطرحوه أرضًا ويقيدون يديه خلف ظهره ويضعون الأصفاد على رجليه ويحمل إلى الخارج، بعد هذا يبدأ تفتيشه تفتيشا دقيقا بينما جنود العنبر يشرعون في تفتيش الزنزانة بطريقة فوضوية للبحث عما يريدونه، وصاحب الكميرا يدير كمرته تارة على الأسير الملقى على الأرض وتارة أخرى على غرفته المبعثرة، وأحد المرضين يقف فوق رأسه سائلًا أبك كسر؟ هل تريد الطبيب هل تستطيع أن تتنفس ؟ وما إلى ذلك من الأسئلة، والآخر يحمل مادة طبية

خاصة مخففة للسخونة والآلام ويرش بها على وجهك لتعيد الرؤية مرة أخرى، وأما القائد فيقف متربعًا يديه في تباهي وصلف وينظر ما يفعله الجنود بالأسير، بعد انتهاء هذه العملية يعاد الأسير إلى زنزانته حيث يخرج الجنود المرافقون في هذه الأثناء، تبقى مكبلًا بالقيد، ويبقى أحدهم يمسك يد الأسير المطروح على الأرض ويحرره من القيد وهو جالس على ظهر الأسير، ومجرد أن يفرغ من مهمته يجذبه زملاءه إلى الخارج بسرعة فائقة ويغلق عليه الباب في الحال، خوفًا من أن ينهض الأسير ويلكمه أو يركله برجله. هل تدري أيها القارئ الأسباب التي تدفعهم للدخول على الأسير بهذه الهيئة ؟ تصور تفاهة الأسباب معي وإليك بعضًا منها :

- مثلًا إذا فقدوا الملعقة البلاستيكية الصغيرة التي صرفت لك أم لم تصرف.
- إذا وقع تحت نظر الحارس ظرف ملح فارغ داخل الزنزانة وطلب منك أن تناوله ولم تتجاوب معه.
- إذا رفض الأسير تبديل الملابس.

أما الأسباب المنطقية التي تدفعهم إلى المجئ لأخذ الأسير بهذه الطريقة هي:

- عدم الذاهب إلى غرف التحقيق .
- عدم الذهاب إلى العيادة.
- رفض الخضوع للتفتيش الإجبارى.
- افتعال أي سبب يرونه للإيقاع بك حسب طلب المحقق.

التهديد بالقتل

يؤتى بالأسير إلى غرف التحقيق وقد يكون عادة في حالة حبس إنفرادي ولم يكن قد رأى إخوانه الأسرى من قبل، يهددونه بقولهم: لا أحد يعرف بأنك هنا، وإن لم تعترف قتلناك هنا، وهذا الأسلوب يطبق لإجبار الأسير للحصول على معلومات دقيقة، حصل لكثير من الأخوة ولكن لم تحقق نجاحًا.

التلاعب بالحمية الغذائية

يستغرق هذا عدة أيام وشهور وهو أن تقلل وجبة الطعام وتخلو من المواد ذات السعرات الحرارية والقيمة الغذائيه معًا، يؤدى ذلك إلى النحافة وانخفاض الوزن وإن أرادو إعادة وزنه كما كان، تعاد الوجبة كما كانت.

التعرض للطقس والحرارة القاسية ويكون عن طريق تكييف الهواء

بعد أن يؤخذ الأسير إلى غرف التحقيق يترك تحت درجة حرارة عالية لمدة طويلة ثم يتعرض للبرودة القاسية مباشرة، ومعلوم أن انتقال الشخص من برودة عالية إلى حرارة عالية مباشرة، يؤدي لانفلونزا والتهابات وغيرها، وإذا طلبت العلاج لابد أن يكون ثمنه التعاون مع المحقق.

لف المعتقل بالعلم الإسرائيلي أو الأمريكى خلال الاستجواب

حصل هذا لأحد الأخوة من بلاد الحرمين يدعى عبد الهادي الشارخ ودنسوا القرآن الكريم أمام عينيه، واللف بالعلم رسالة إلى العرب والمسلمين ولفت أنظارهم بأننا نحن اليهود والأمريكان هنا نتحكم في هذا المعسكر.

احتجاز الرهائن أي أحتجاز أشخاص لإجبار أقربائهم على تسليم أنفسهم

هذا حدث على حسب علمي وبما رواه لي أهل اليمن، يحدث في بلادهم وهو شيء طبيعي عندهم.

الاعتقال بمعزل عن العالم الخارجي

هذا كان يحصل لكل المعتقلين بغوانتنامو خاصة لأصحاب الحبس الانفرادي، فمثلًا لم يسمح لنا بمشاهدة التلفاز أو قراءة الصحف أو الاتصال بالأهل أو مقابلة أي شخص، وهذا أدى إلى عزلنا عن العالم الخارجي.

خلق الشعور بالخنق والاختناق

ربما يقصد به السحر، كانوا يأتون بسحرة يهود ليعقدوا العقد وينفثوا فيها فيصاب الأسير بالصرع وحالات هستيرية ويخيل إليه بأنه يخنق، كان يصاب بالسحر ويرى المحقق وأشخاصًا آخرين يطالبونه بأن يقول الصدق ويعترف بأنه من تنظيم القاعدة، وآخرون لا يذوقون طعم النوم لمدة ثلاثة أيام من تأثير السحر، بل أكثر من هذا بأن يرى الأسير أمه وزوجته وأخته عراة

أمامه ويتمتم بكلمات كأنما يراهم حقيقة ويكون المحققون على علم مسبق بهذا، حتى إذا جاء الأسير أمامهم يسألونه بخبث: كيف حالك الآن؟ بماذا تشعر؟ إذ تجاوب معهم في الحوار، يقولون له: هل تريد العلاج مما حلّ بك؟ إذا رد الأسير لهم بالإيجاب، يقولون له: لدينا أسئلة إذا أجبتها بصدق ستشفى مما بك. وأتذكر حالات كثيرة من تأثير السحر منها: يرى الأسير عصفورة ويتخيل بأنها تحادثه وتأمره بخلع ملابسه كلها ويفعل هذا. هنا يأمره أحد الإخوة بارتداء ملابسه وكذلك الحارس، فلا يستجيب لهما، لأنه فاقد الوعي بفعل السحر، فيشرع إخوة في قراءة القرآن الكريم، فيستعيد وعيه تدريجيًا، بعده يرتدي ملابسه ولكن يعيش بعد ذلك في حالة نفسية سيئة واكتئاب وعزلة.

ومنها -وهذا كان يحدث عند تناول وجبة الإفطار- أن يسمع المسحور أو قل يخيل إليه أنه يسمع هاتفًا يأتيه ويأمره بأن يتبول في كوب الحليب الذي يهم أن يشربه، ويتهيأ للتبول فيه، عندئذ يزجره أقرب أخ له، بعد ذلك يستفيق مما هو فيه. ومنها أن يدخل المسحور إلى دورة المياه الملحقة بزنزانته ويمكث فيها طويلًا، وعندما يشعر جاره بهذا وهو على علم بحالته – يشرع في قراءة القرآن الكريم فيخرج في الحال. ومنها من يعيش في حالة اكتئاب وانطواء عن إخوانه ويخيّل إليه بأنهم أعداء له ويكرهونه، ومنها الذي يعيش في صداع دائم لا يستطيع التركيز مع فقدان الشهية في الطعام حتى يصيبه الهزال والضعف. ومنها الذي يتكلم من الصباح حتى المساء دون توقف من غير وعي طبعًا. ومنها الذي يقع على الأرض مصروعًا ويضطرب كالحيوان المذبوح ويظل يتخبط يمنة ويسرة ويضرب ما حوله حتى تخور قواه ويهدأ أو تدخل عليه الطبيبة وتعالجه بالمهدئات، وبعد الاستفاقة مما أصابه يأتي الجنود ويأخذونه إلى غرف التحقيق حيث يكون هناك نوع من

المساومة بينه وبين المحقق، قائمة على العلاج مقابل التعاون والاعتراف بأنه من تنظيم القاعدة أو طالبان، ولكن الإخوة بحمد الله لم يرضخوا لمثل هذه المساومات القائمة على الابتزاز الرخيص وبفضل الله وقدرته ولطفه استطاع الإخوة مجابهة هذا البلاء بقراءة القرآن الكريم والتحصين بالأذكار.

الحرمان من الوضوء

الحرمان من الوضوء ويكون عادة بالتحكم في صنبور الماء داخل الزنزانة من الخارج لاسيما قبل الصلاة بدقائق ولا يعاد الماء إلا بعد أن يخرج وقت الصلاة.

الموسيقى الصاخبة والضجيج والصراخ

يكون هذا الأسلوب في داخل غرف التحقيق وذلك بعد أن يئس المحقق من انتزاع المعلومات، يصرخ على وجه الأسير ويسبه ويرسل لمن يأتي إليه بجهاز "ستريو" كبير عالي الصوت ويشغله بالقرب من الأسير ويخرج، هذا على نطاق الغرفة وأما خارج الغرفة فهناك سماعات مركبة في جميع أنحاء المعسكرات يتم التحكم فيها من غرفة الكنترول حيث يبدأون بتشغيل الموسيقى الصاخبة قبل وبعد الآذان مباشرة.

التصوير الفتواغرافي والفيديو كضرب من ضروب الإذلال

كان هذا الأسلوب يستخدم لخداع الإخوة، فمثلا التصوير الفتوغرافي، يؤتى بالأسير في غرفة التحقيق ويمد له صورة فتوغرافية لشخص قد يعرفه الأسير أو لا يعرفه، يكون فيه صاحب الصورة مشوّه الوجه وفيه آثار

الضرب واللكم وملطخا بالدماء، يقال له: هذا الشخص عذّب في إحدى الدول العربية واعترف بكل شيء على نفسه وعليك فلا نريد منك أن تتعبنا معك ونعاهدك بألا نلجأ إلى ما لجأءوا إليه، ونريد منك فقط أن تساعدنا وتساعد نفسك حتى نصل إلى ما نريده منك. ومن هذه الأساليب دبلجة صورة الأسير بوضعيه خليعه مع إحدى المومسات كنوع من أنواع الابتزاز. أما التصوير بالفيديو فيؤتى بالأسير ويعامل معاملة طيبة وحسنة ويقدم له على الطاولة كل ما لذ وطاب من الطعام، بيتزا، معجنات، شكولاته بأنواعها، الفواكه بأنواعها، العصائر بأنواعها، ثم يجلس معه المحققون ويشاركونه في تناول الطعام في جو يسوده الضحك والمرح والبساطة والكميرا تصورهم من حيث لا يراها الأسير، وهم في هذه الحال طبعًا، الأسير يلاحظ كل هذا في صمت واستغراب وذهول، في هذا الجو غير العادى للأسير يسأله المحققون بعض الأسئلة، الغرض من كل هذا، ضرب عصفورين بحجر، الأول لعلهم يجدون من الأسير الاستجابة ويحصلون على معلومات، والثاني الإتيان بأسير آخر له سابق معرفة بصاحبه الأول ويعرضون عليه صور الفيديو التي تتضمن الضحكات المصطنعة والطاولة المليئة، ويقولون له هذا صاحبك فلان الفلاني في المعسكر المجاور لك، قد اعترف عليك بكل شيء بعد أن أنعمنا عليه كما ترى، علمًا بأن صاحبه لم ينطق عنه بكلمة واحدة.

الاعتداء الجسدي مثل اللكم والركل والضرب بالأيدي والخراطيم والمسدسات

أكثر ما كان يستعمل هذا الأسلوب في قاعدة قندهار وباغرام بالمقارنة مع غوانتنامو، وكان أكثر ما يؤدي إلى إزهاق روح الأسير، لحقد في نفوسهم، ولا يوجد معيار معين لاستعماله، فالجنود كان لديهم صلاحية كاملة من قبل إدارة المعسكر، لذلك كنت ألاحظ بعض الجنود حين يضرب الأسير ليس لذنب جناه، ولكن ليثبت للفتاه المجندة بأنه لا يخشى هؤلاء الوحوش، ولو كان الأسير مطلقًا لما تجرأ على ضربه بل كان سيطلق ساقية للريح فرارًا وما أجبنهم عند النزال ! كثير من الإخوة قتلوا من جراء هذا الأسلوب.

تصور معي أيها القارئ، رجل عجوز تجاوز المائة وعشرة من عمره يضرب من قبل أطفال مراهقين تابعين لأفراد القوات الأمريكية بدون مراعاة لإنسانيته، كان هذا واحدًا من الإهانات التي بسببها أراد الإخوة خطف السلاح من الجنود والاشتباك معهم وتدمير القاعدة بإذن الله، كما حدث في قلعة الجنك، ولكن صرف الله سبحانه وتعالى هذه الأفكار من عقول الإخوة، بعد عدة رؤى رأوها في منامهم لشيء يريده الله تعالى، فمنهم من كان يرى الحبيب المصطفى (ﷺ) ومنهم من كان يرى الشيخ أسامه بن لادن يأمره بألا يلجأ إلى هذه الأفكار، صبر الإخوة على الضرب والاستفزازات المتكرر بصورة يومية.

تركتهم على حالهم ونقلت إلى القاعدة الأمريكية بغونتنامو وهناك أخذت نصيبي من الضرب بأنواعه.

التعصب الديني مثلًا ازدراء القرآن والشعائر الدينية

حقيقة لم يتعبنا أي أسلوب نفسي بمثل ما كان يتعبنا إهانة القرآن الكريم حتى وصل بعض الإخوة إلى درجة الانهيار العصبي بسبب ما يراه ولا يستطيع أن يفعل شيئًا وهو في قفص من الفولاذ، ومن شدة الغضب يضغط على أسنانه وتكاد يده التي تمسك الحديد تنزف دمًا، ويدعو الله تعالى ويتمنى لو فتح الله الباب، حتى ينقضّ على هذا الوغد النجس ويشفي غليله بقتله فداء لله وذودًا عن كتابه الكريم، والإدارة والجنود يعلمون علم اليقين خطورة هذا الأسلوب، وكانت أكثر الإهانات لكتاب الله الكريم في قاعدة قندهار وباغرام حيث يؤتى بالقرآن الكريم ويغمس ويوضع في سطل مليئ بالبول والغائط، أكرمك الله، ولسان حالهم يقول: هذا هو كتابكم الذي تعظمون، فمكانه هنا كما تروه، وبعض منهم كان يمزق القرآن الكريم ويأخذ من صفحاته ويمسح بها حذاءه وإذا أراد تفتيش الكتاب الكريم يمسكه من طرف غلافه ويتركه يتدلى وينفضه باستهزاء كأنه يمسك بطائر من أحد جناحيه، ثم يلقيه على الأرض ويقول: آسف سقط مني دون قصد، الأسرى الذين لا يتكلمون في غرف التحقيق ولا يستجيبون لاستفزازاتهم، يأتون بالكتاب الكريم ويضعوه تحت أقدام المحقق حتى يثير مشاعر الأسير ويعذّب نفسيًا، وهذه رسالة للأسير بأن كتابكم الكريم إنما يهان ويدنس بسببك، لأنك إذا استجبت وتعاونت معنا نوقف هذا الأسلوب ويرضى عنك الرب !! أيها القارئ أسألك بالذي رفع السموات بغير عمد، ماذا تتوقع لمثل هذه الأمة ؟ لا أتعجب من أفعالهم بقدر ما أتعجب من أناس من بني جلدتنا يدافعون عن هؤلاء ويحبونهم ويفخرون بأنهم يحملون جنسية أمة ضلت وأضلّت، والأعجب من هذا الذين يساندونهم بالعدة والعتاد وفتح أراضيهم لقواعدهم العسكرية ويزودنهم

بالمال لتقوية أنفسهم ومحاربة المسلمين، إنها والله لبئس التجارة وبئس الربح وصدق الصادق المصدوق مُحَمَّد (ﷺ) حين قال: في حديث " يحشر المرء مع من أحب ". لا أريد أن أطيل عليك في هذا المقام، فما فعله هؤلاء في كتاب الله من تدنيس وتمزيق وإهانات واستهزاء بما ورد من آيات، لا يحصى ولا يعد، وقد كنا نحذّر المحققين وإدارة المعسكر والجنود من غضب الله، ونزول نقمه عليهم، كنا نذكرهم بما حدث قبل سنين قليلة في تركيا عندما أهين القرآن الكريم في أحد القواعد العسكرية التابعة لليهود والأمريكان، فجاء أمر الله بالخسف، وذلك عندما انشقت الأرض وابتلعت القاعدة بمن فيها وما فيها، ولم ينج إلا الشخص الذي حذّرهم، والقصة مشهورة ومعروفة، فالحديث ليس ببعيد، ولكن وجدنا آذانًا صمًا وعيونًا عميًا ونسأل الله تعالى أن يشدد على قلوبهم حتى يروا العذاب الأليم.

الحرمان من النوم

كان يستعمل هذا الأسلوب في غرفة التحقيق عن طريق الاستجوابات المطولة لعدة ساعات، ويذهب الأسير بعد ذلك إلى الزنزانة، وقبل أن يخلد إلى النوم، يأتي الجنود ويأخذونه إلى غرفه التحقيق مرة أخرى، ويجلس عدة ساعات ولا يحضر المحقق، أو من ينوب عنه عند غيابه، حتى يطيل الجلسة، وأسلوب آخر يتم عن طريق إدارة المعسكر والجنود للعنبر بأكمله، والعنابر الانفرادية، يبدأ من أول الليل إلى الفجر بأسلوب قانوني حسب قولهم عندما يخلد الإخوة إلى النوم جميعًا، يحضر العسكر السطول الحديدية والمكانس والمناشف وخرطوم ماء طويل ويسكبوا مادة مطهرة قويه الرائحة على الأرضية الحديدية حتى يصل بعض الإخوة إلى حد الاختناق بسبب

الرائحة، خاصة الذين لديهم حساسية أو المصابون بالربو والأزمة، بينما الجنود يضعون كمامات على أنوفهم ويشرعون في عملية الغسيل مع ضرب أبواب الزنازين بالمكانس والضحك والصياح ورفع الأصوات بالغناء الجماعي، والأسير يتقلب يمنة ويسرة إلى أن يصبح الصباح وتأتي المجموعة الثانية لاستلام الوردية، يحدث هذا في العنابر العادية بشكل شبه يومي أما في العنابر الانفرادية تستعمل هذه المادة السامة ذات الرائحة الكريهة يوميًا بصورة كثيرة.

الحبس الانفرادي لفترات مطولة مثلًا لمدة شهر أو أكثر

كانت تعتبر هذه الانفراديات للتعذيب الجماعي ويشمل التعذيب الجسدي والنفسي فهي عبارة عن عدة (حاويات) ملتحمة بعضها مع بعض، كل اثنين مع بعض ويواجههما من الجهة المقابلة اثنان آخران بنفس الهيئة ومقسمة من الداخل إلى زنازين لكل واحد شفاط للهواء وتكييف مركزي، في السنين الأولى كانت مظلمة تمامًا أما في السنين الأخيرة فقد وصلوا فيها إضاءة قوية إذا وضعت في ملعب رياضي لأضاءت نصفه، وهي في حالة إضاءة دائمة ليلًا ونهارًا ولها تأثير سلبي على الدماغ، في هذه الغرف تحدث عدة ممارسات منافية لكل الأعراف ولا يقرها الشرع ولا القوانين، خصصت هذه الغرف للعقوبات ومن يدخلها يحرم من جميع اللوازم الضرورية فمثلًا لا يحق لك أن تملك صابون ولا فرشة أسنان ولا معجون ولا كوب ونحوه، محرم من كل شيء إلا ملابسك التي ترتديها وحصير من بلاستيك والإضاءة القوية مسلطة عليك والتكييف المركزي يفتت عظامك وتمنع منعًا باتًا من التحدث مع أخيك الذي لا تراه في الزنزانة المجاورة، ولو تكلمت معه أو

رددت عليه السلام، يشدد عليك في المعاملة ويمدد لك فترة الحبس ، طبعًا النوم قليل جدًا والخروج إلى ساحة الرياضة قليل أيضًا وكذا الاستحمام، والذي كان يتعب الإخوة في هذه الأماكن حين يصاب بالجنابة لعدم وجود شيء يستتر به من أعين الحراس وقله الماء، فوق ذلك البرودة الشديدة بواسطة التكييف المركزي وعدم وجود منشفة وملابسك مبتلة لا تملك غيرها وتضطر أن تلبسها في هذا الجو البارد بدلًا من أن تجلس عريانًا، والجنود ينظرون إليك كل دقيقة أو تسحب إلى غرف التحقيق من هذا المكان ويتفنن المحققون في أساليب التعذيب، ولا يعلم أحد بما يحصل للأسير إلا الله سبحانه وتعالى ثم هؤلاء.

هذه الانفراديات منعزلة عن بقية العنابر والداخل فيها ينعزل تمامًا عن الآخرين، كانت معظم أنواع التعذيب تتم في هذه الغرف وكذلك غرف التحقيق، أتذكر بأنه جاورني في أحد العنابر أسير من بلاد الحرمين يدعى (ياسر الزهراني) أحد الناجين من مذبحة القلعة، قتل في المعتقل فيما بعد وحكى لي أشياء حصلت في عنابر الانفراديات تندى لها الجبين. فالزهراني كان له شجاعة نادرة رغم صغر سنه، وكان له مواقف وبطولات في ملحمة قلعة الجنك، كان بمثابة شوكة حوت في حلوق الأمريكان، كان لا يرضخ لهم ولا يلتزم بتنفيذ الأوامر وإن وجد فرصه في لطم الأمريكي أيًا كان لا يتوانى، وكل هذه السنين وهو في الغرف الانفرادية، نادرًا ما ينقل إلى إخوانه في العنابر، لذلك كان الإخوة يشتاقون إلى رؤيته، كان أغلب العسكر يحقدون عليه وكذلك المحققون لأنه لا يتكلم في التحقيق. وقد عانى معاناة شديدة بسبب ورم صغير في ظهره عند نهاية السلسلة الفقرية، رفض الأطباء علاجه إلى أن يأتيهم الأمر من المحقق، ومع مرور الأيام وسوء العناية الطبية فتح الورم وأصبح جرحًا ينزف الدم والصديد، طلب من الممرض التنظيف

فقط مجرد تنظيف، رفض، ومع الأيام توسع الجرح وكثر الصديد والدم حتى وصل به الحال بأن عجز عن الركوع والسجود في الصلاة، وإدارة المعسكر والمحققون يطلبون منه التعاون معهم وأن يعترف بأنه له علاقه بتنظيم القاعدة حتى يعالج، رفض وصمد أمام التحديات والمغريات حتى قتل، وعلمت فيما بعد أن الورم كان بسبب رقاده لفترات طويلة على الحديد في الغرف الانفرادية لأنه كان يعاقب فوق العقوبة بسحب فراشه البلاستيكي ويضطر أن ينام على الحديد، علاوة على التعرض لبرودة جهاز التكييف، وفي أحد الأيام ذهب إلى التحقيق وعند عودته تفاجأ بأن الزنزانة كلها قد رشت بالبخاخ " رذاذ الفلفل " لا يستطيع أن يلمس الحديد ولا الجلوس ولا الرقود بسبب هذه المادة الحارقة، هذه أبسط الممارسات في الغرفة الانفرادية، يكفي فقط أن يسحب منك الأغراض وترفع درجة التكييف والغرفه كلها من حديد حتى تصاب بالروماتزم، من أراد معلومات إضافية عن هذا الشاب الشجاع فليدخل إلى موقع الأسرى في النت سيجد صورة له ورسائل معبرة بخط يده نسأل الله تعالى أن يغفر له ويرفع درجاته، هذا الذي ذكرته نذر قليل مما يمارس في الحبس الانفرادي.

التهديد بالنقل إلى دولة ثالثة لزرع الخوف من التعذيب أو الإعدام

بعض الأسرى تم تعذيبهم في الأردن ودول عربية أخرى سمعت هذا من ألسنتهم وسمعت أيضًا من الإخوة بأن خالد الشيخ مُحَمَّد ورمزي بن شيبة وبن عتش، رموز القاعدة معهم أحد عشر آخرون، كان يتم التحقيق معهم داخل بارجة عسكرية أمريكية وينقلون إلى تلك البلاد العربية ثم يعودون بهم

مـرة أخـرى إلى مـتن البارجـة ومـن ثم العـودة إلى هنـاك وهلمجـرا، انتشـر الخـبر بـين الأسـرى وسمعـوا مـا يجـري مـن تعـذيب في تلـك الـبلاد فاسـتغلها المحققـون لتهديـد الأسـير بنقلـه إلى دولـة أخـرى للتعـذيب الشـديد إذا لم يعـترف ويقولـون لـه نحـن أرحـم مـن تلـك الـبلاد وينشـر أمامـه صـور لإخـوة عـراة وصـور إخـوة الـدماء تسـيل مـنهم لينظـر ويسـتكين، والأخـوه التركسـتانيون كـانوا دائمًـا يهـددون بالنقـل إلى الصـين وكـذلك الجزائريـون والمغاربـة والتوانسـة والليبيـون وكانوا يهددونهم بالعودة إلى بلادهم .

(في إحـدى جلسـات التحقيـق حـاول أحـد المحققـين الأمريكـان تهديـدي بالنقـل إلى السـودان، عرفـت بأن المسـكين لا يعـرف شـيئًا عـن السـودان. قلـت لـه أنا أريـد أن أذهـب إلى السـودان قـال: لي ألا يوجـد تعـذيب عنـدكم، قلـت لـه: لم أر ولم أسمـع عـن أي تعـذيب، لمـاذا أعـذّب ؟ بعـد هـذا لم يجـرأوا علـى تهديـدي بالنقـل إلى السـودان. بـل حـاولوا إغرائـي أيام أزمـة دارفـور بأن أطلـب مـنهم حـق اللجـوء السياسـي إلى أي دولـة حـتى يقولـون بأن السـودانيين في كـوبا طلبـوا حـق اللجـوء السياسـي لعـدم اسـتقرار السـودان، ويسـتغلون الوضـع لصـالحهم، ولكـن بفضـل الله خـاب مسـعاهم ولم يجـدوا مـا يبغونـه، طلبـت بشده العودة إلى السودان وكان عودًا حميدًا).

سحب بنود الترفيه أو الغذاء بما فيها البنود الدينية

فكـل أسـير لديـه داخـل الزنزانـة فرشـة مـن بلاسـتيك سمكهـا 2 سـنتميتر وطولهـا مـتر ونصـف، أخضـر اللـون، صـابون، معجـون، فرشـة أسـنان، بطانيـة، حـذاء حمـام، منشـفة صـغيرة ومصـحف. والإدارة لهـا قـوانين كـثيرة جـدًا، إذا خالفـت القـانون تسـحب منـك جميـع هـذه الأغـراض، والعقـوبات تطبـق علـى مسـتوى

الأمر الذي تخالفه، مثلًا إذا تفلت على العسكري تعاقب لمدة شهر وتنقل إلى الزنازين الانفرادية وتسحب منك أغراضك، وإذا خرجت إلى ممارسة الرياضة أو التحقيق أو الاستحمام يوضع على فمك كمامة، وإذا رميت العسكري أو غيره بالغائط أو البول تعاقب لمدة شهر أو شهرين ويحلق شاربك ولحيتك وتنقل إلى الزنازين الانفرادية بعد سحب جميع البنود بما فيها القرآن الكريم ويصل إلى أن تسحب منك الفرش وتنام على الحديد ويتم تغيير طعامك إلى شعير، وإذا ضربت العسكري فالعقوبة أشد وأكبر، وأما المخالفات الصغيرة تكون عقوبتها لمدة ثلاث إلى خمسة عشر يوما وتسحب منك السجادة التي تصلي عليها والسبحة (كانت تستخدم لتكرار الآيات القرآنية للحفظ) فهم لا يتركون شيئًا يؤذيك إلا واستعملوه.

الامتناع عن توفير العقاقير الطبية

كان هذا من الأساليب التي تستعمل من قبل المحققين بالتعاون مع الأطباء، فقد الطب في هذا المكان قيمته الإنسانية وما عاد الأطباء رسل رحمة، كل أسير له ملف طبي من أول دخوله إلى كوبا أي معتقل غوانتامو وهذا الملف لا يراه الأسير ولا يعرف ما يكتب فيه، ولا يعلم حتى نوع الأمراض التي ظهرت له، تحجب عنه كل المعلومات الطبية المتعلقة بصحته.

كان الإخوة يدعون الله أن لا يمرض أحد في هذا المكان، فإذا مرضت فأنت في بلاء آخر وعذاب أشد وخاصه إذا جاءك آلم في الكلية أو حصى في مجرى البول أو الأضراس، فيا فرحة المحقق بذلك، فإنه يتركك تتألم وتتلوى كالثعبان من شدة الآلم من جراء الحصوة ولا تستطيع أن تبول، تطلب العيادة ويتصل العسكري في العيادة مخبرًا بأن الأسير رقم كذا

يتلوى ويتألم فينظر الطبيب في الملفات إذا وجد أنك من المتعاونين مع المحقق، يرسل الفرقة الطبية أو الممرض ويجري لك الفوحصات، وأما إذا كنت غير متعاون تترك في مكانك إلى أن يشفيك الله، هذا الأسلوب هو المتبع إذا كنت غير متعاون أو متعاون وكنت مصابا بمرض معدي أو مميت فتعالج بالقوة حتى لا تعدي الجنود، ومن يطلب إجراء عملية جراحيه في أي موضع من جسده يحضر له ورقة يوقع عليها بالموافقة، ويأتون بأطباء تحت التدريب لا يستطيع حتى أن يمسك المقص ويجري لك العملية، أتذكر جاء بجواري أخ أسير يدعى عمران الطائفي (كنيته جندل) من بلاد الحرمين. وجدت إحدى رجليه كانت أقصر من الأخرى، وحين سألته عن أخباره قال لي: أجريت لي أكثر من خمسة عشر عملية، أخذوا عظمة من فخذي ووضعوها في الرجل، وبعد شهر جاء طبيب آخر وقال: يجب أن نأخذ عظمة أخرى، وبعد شهور فشلت، ثم أجريت بعدها عدة عمليات كلها لم تنجح، وفي إحدى العمليات وجدت أن الممرض يريد أن يخدّر ظهري ليأخذ عظمة من الكتف أو من مكان آخر، رفضت وخرجت من غرفة العملية وإلى الآن أعاني من قصر في رجلي، ما كان يقوم به الأطباء ما هو إلا تجارب لكسب الخبرة، كنا نرى بعد كل فترة يستبدلون طبيب أسنان بطبيب آخر، إذا أصبت بالآم في الأسنان وذهبت إلى الطبيب ينظر إلى ضرسك فيقول: هذا به سوس من الداخل واحتمال يؤثر على بقية الأضراس ويتفاقم الأمر ويجب عليك أن تخلعه، وإذا طلبت منه أن ينظفه ويحشوه يقول: نحن لا يسمح لنا بالحشوة هنا، فقط مهمتنا الخلع ومن شدة الآلم تضطر وتستجيب للخلع ويتم التخدير ويخلع الضرس، وبعد الانتهاء تذهب إلى الزنزانة وتتفاجأ بعد انتهاء مفعول المخدّر أن الذي خلع، ضرس آخر سليم غير المطلوب للخلع، ماذا تفعل ؟ وإلى من

تشتكي لغير الله، وأنت في زنزانة متر في مترين، ولا أحد يسمعك وبعد أيام تعاودك الآلام مرة أخرى بشدة، وتمنعك النوم والطعام، وإذا استمر الحال هكذا تذهب وتخلعه ماذا تفعل؟ كثيرون تم خلع أسنانهم السليمة، عندها علمنا سبب توافد أطباء الأسنان واستبدالهم تلو الآخر، كان الغرض منه التدريب وكسب الخبرة كما ذكرت. في أمريكا لا يخلعون الأضراس أو الأسنان بالسهل أبدًا ولا هنالك أناس يذهبون لخلع الأسنان وطبيب الأسنان يتخرج من الجامعة ويعمل في المستشفيات والعيادات لفترة طويلة ولا يخلع ضرسًا لأحد، أما هنا فقد وجدوا ضالتهم في الأسرى فنحن في نظرهم لسنا بشرًا ، علمت من أحد المترجمين بأن هؤلاء الأطباء يأتون للتدريب ويدفعون مبالغ للعمل هنا وكان هذا سبب استبدالهم المستمر بآخرين لأن مدتهم في التدريب قد انتهت. أما أطباء العيون فحدث ولا حرج كثير من الأسرى كانت لهم نظارات طبية أخذت منهم واستبدلت بنظارات مدمرة للعيون وكثير من الإخوة ضعف نظرهم وإذا وجدوا علاجًا يكون بنسبة 1%.

التهديد بالنقل إلى غوانتنامو

كان يحدث هذا التهديد في قاعدة قندهار وباغرام، قد اكتض معتقل غوانتنامو بالأسرى، توقفت عمليات الترحيل إليه، وبعد توقف الترحيل وجدوا عدد أسراهم في هذين المعتقلين في قندهار وباغرام يزداد بالأسرى حتى بلغ الآلآف وأصبحوا يهددونهم بالنقل إلى غوانتنامو خاصة بعد أن ظهر اسمه على المسرح كأشهر معتقل عرفه العالم .

أريد أيها القارئ أن أوضح لك حقيقة توصلت إليها بعدة دلائل ذات صلة بهذا العنوان (التهديد والنقل إلى غوانتنامو) فالأمريكان لهم أسلوب ماكر في نشر الشائعات بمعنى أن يفعلوا شيئًا ويريدون غيره تمامًا، في هذه السنوات السبع التي قضيتها في هذا المعتقل، إدارة المعسكر تشدد وبقوة على عدم تسرب أي معلومة تخص هذا المعتقل وما يمارس فيه من تعذيب وإهانة وما إلى ذلك حتى هذه اللحظة، وفي نفس الوقت يسمحون لبعض الجهات بتسريب أدق المعلومات والممارسات والتقارير المدعمة بالصورة لأسرى عذبوا وانتهكت أعراضهم، ويضيفون في هذه التقارير أساليب أخرى فظيعة لم تطبق بعد، الغرض منها توجيه رسالة إلى الأمة الإسلامية والعربية وخاصة أصحاب الفريضة الغائبة (الجهاد) وكل من تسوّل له نفسه المساس بالمصالح الأمريكية والرعايا الإمريكان في أى بقاع من الأرض فإنما مكانه هنا أى في هذا المعتقل الذي تعرفونه فكل هذا الزخم الإعلامى والتضخيم الصحفي حدث داخل هذه السجون استغلتها دوائر الإعلام الغربي وبعض المنظمات الحقوقيه لصالح أمريكا وجعلوا منها ماردا مخيفًا، لا أتهم كل المنظمات والجهات الإعلامية بالتطبيل والموالاه للأمريكان بل كان وما يزال هنالك أناس صادقون في الضغط على أمريكا إعلاميًا بينما هناك أيادٍ تعمل في الخفاء وتصطاد في المياه العكرة لتخويف المسلمين لذلك كنت أتجنب الحديث عن التعذيب النفسي والجسدي في المعتقل للإعلام وعند البدء في هذا الكتاب وجدت أنه لا بد من ذكر بعض الممارسات والأساليب لأنها أصبحت جزءًا من حياتي التي عشتها، ذكرتها لأوضح للشباب المسلم المجاهد بأن طريق الجهاد محفوف بالمكاره ولابد من بذل المهج والأرواح ولابد أن تراق فيه الدماء وأن تأسر وتعذب وأن الصحابة رضوان الله عليهم لاقوا أكثر مما لاقينا وأن هذا الدين لم يأت إلينا إلا بعد أن

أراقوا دماءهم الغالية من أجله وصبروا على البلاء، وأسأل الله تعالى أن يتقبل من كل مجاهد خرج لإعلاء كلمة الله وكل أسير شيك بشوكة في سبيل الله، وألا يغتر الناس بأمريكا فهي جوفاء من الداخل، وبهذا أكون قد أوضحت لك بعض الممارسات التي كانت تستخدم في غوانتنامو.

الفصل الخامس



العيادات النفسية

دعني أنتقل بك إلى منحى آخر يتعلق بهذا المعسكر ويتمثل في العيادة النفسية، عند دخولنا في معسكر Xray بغوانتنامو شرعت إدارة المعسكر بإنشاء مستشفى للأمراض النفسية على حسب تكهناتهم بأن هؤلاء الأسرى لن يستطيعوا الصبر والصمود داخل هذه الزنازين الصغيرة المصنوعة من الفولاذ وخاصة الزنازين الانفرادية، علاوة عن تطبيق أساليب التعذيب الوحشية، توقعوا بأن هولاء سوف يصابون بانهيار نفسي وعصبي لذا شيّدوا المستشفى النفسي وجهزوها أحسن تجهيز لاستقبال الأسرى في خلال ثلاثة أشهر من دخولهم المعتقل، مضت ثلاثة أشهر والشهر الرابع والخامس والسادس ... ألخ، تفاجأت إدارة المستشفى واحتارت في أمرها حين لم يحضر أحد ولم يصب بمرض نفسي أو عصبي رغم ما فُعل بهم في قندهار

ورغم الأسلوب الوحشي الذي كان يصاحب عمليات الترحيل ورغم الشدة والقسوة التي استُعملت عند وصولهم لغوانتنامو، طوال المدة التي حددت أصبح الأطباء النفسيون يتجولون داخل العنابر مندهشين من هؤلاء الأسرى الذين يعيشون كل هذه الفترة في هذه الغرف الضيقة التي لا تسع رجلًا طوله مترين ولا يصاب أحد منهم بأمراض نفسية أو عصبية ولسان حالهم يقول أي نوع من البشر هؤلاء !! وأي جلد وصبر هذا الذي يحملونه بين جنبيهم !!

بدأت إدارة المعسكر بالتعاون مع العيادة النفسية لوضع خطة ذكية لإدخال هؤلاء الأسرى في المستشفى النفسي حتى يتم تشخيص هؤلاء المجاهدين، فكانت أولى الخطوات هي أن يعرفوا مشاكل الأسرى وتم ذلك عن طريق أحد الضباط، كانت مهمته الوحيدة أن يحمل دفترًا أخضرًا ويمر على الأسرى عنبرًا عنبرًا وزنزانة زنزانة ويرافقه أحد المترجمين العرب، وإن كان الأسير غير عربي يطلب المترجم حسب لغة الأسير، ويسأله ما هي المشاكل التي تواجهك في هذا المكان ؟ ويخبر الأسير بأنه سوف يرفع هذه المشاكل لإدارة المعسكر حتى ينظر فيها ومن ثم يحدد العلاج ويشرع الأسير في سرد مشاكله بنفس طيبة وبنية صادقة، منهم من يخبره بأمراضه ومنهم من يطلب النقل من زنزانة إلى أخرى ومنهم.. الخ، هكذا يمر على جميع الأسرى وبعد الانتهاء يرفع تقاريره إلى العيادة النفسية والإدارة واليوم التالي يتجول في عنبر آخر وهلمجرا لمدة شهر ويعاود الكرة في الشهر التالي، تقوم إدارة المعسكر والعيادة النفسية بدراسة هذه المشاكل ليس من أجل حلها ولكنها تستخدمها سلاحًا ضدهم فيما بعد، فما كان يقوم به الضباط ليس سوى معرفة مكامن الضعف لدى الأسرى حتى يتمكنوا من هزيمتهم فكريًا ونفسيًا بعد أن وجدوا الصمود والثبات لديهم، كثير من الأسرى امتنعوا عن

سرد مشاكلهم للضباط ولكن قليل منهم من أخبرهم بنقطة ضعفه واستعملت كعقوبات للجميع نكاية فيهم، مثلًا إذا أخبر أحد الأسرى الضباط بأنه مريض بالربو بعد ذلك يسجله الضابط ويسجل رقم زنزانته ورقمه الشخصي ويذهب، وبعدها يصدر من الإدارة الأوامر للعسكر بأن تسكب مادة مطهرة قوية الرائحة في الماء عند نظافة العنبر ليختنق برائحتها المصاب بالربو وغير المصاب، حتى يكادون يفقدون وعيهم. وبعد أيام يبدأ العسكر في عنبر آخر ويستعملون هذه المادة بكمية كبيرة وصارت أحد الأساليب المتبعة للعقوبة إلى الآن. وإذا قلت لهم بأنك تريد أن تنتقل من زنزانتك إلى أخرى بسبب الصدى الذي يعلو الحديد يسجلها ولا يتم النقل بل تمكث فيها سنة أو أكثر على الحديد المصدى، وإذا طلبت كتب دينية، يؤتى لك بمجلات هابطة وكتب مخالفة لعقيدتك ما من شيء تقوله إلا وتجد عكسه تمامًا وما من شيء تتوقع منه الخير إلا وتجد الشر وهكذا. فقد وصلت بهم الوقاحة بأن يأتي العسكري إلى الأسير الذي بدولته قاعدة أمريكية ويخبره بجمال بناتهم اللآتي ضاجعوهن في القاعدة وذلك استفزازًا لهم ويترك الأسير في حيرة من أمره، مما يجعله يفكر في بنات الإسلام وما حل بهن.

أما العيادة النفسية بعد أن وجدت الكساد في تجارتها اتخذت أساليب لملئ المستشفى حتى لا يخسروا العقاقير النفسية والمخدرات التي جلبت بكميات كبيرة لظنهم بأنه سيكون هناك حالات نفسية كثيرة، وضعوا خطتهم وكشروا عن أنيابهم وحصلوا على صلاحيات عالية ليكونون السبب الأول في جنون الأسير وجعله منهارا وإليك أساليبهم وأعمالهم القذرة.

يأتي العسكري ومعه المترجم يطلب منك أن تعطيه ملابسك وإذا سألت لماذا ؟ يقول لك الطبيب النفسي أمر بذلك لأنه يرى بأنك ربما تشنق نفسك بها، وتحاورهم في غضب مبديًا أي علامة للرفض فيردون عليك: إذن أنت ترفض، تقول له: أنا لست رافضًا ولكن كيف أمكث عريانًا ؟ يرد عليك بكل وقاحة، اجلس عريانًا، والعسكر والإخوان من حولك ينظرون إليك وتكون في حيرة من أمرك وتقول وكيف أصلى؟ وكيف أنام؟

وإذا طلبت الطبيب النفسي يقال لك إخلع أولا ملابسك وسوف نعطيك قميصا طويلا من البلاستيك تستر به عورتك، وإذا رفضت يخبرون قوة الشغب ليجردوك من ملابسك تمامًا ويتم تفتيشك، وكان الأفضل في هذه الحالات أن نخلع ملابسنا دون أن نحتك مع قوة الشغب حتى لا يلمسوا عوراتنا، وتخلع في ضيق وتبرم في حالة نفسية سيئة، ويأتى الطبيب فقد وجد تجارته رابحة ويسألك أسئلة سخيفة ويقول ما المشكلة ؟ ماذا تريد ؟ أتريد أن تقتل نفسك؟ أقول له من قال ذلك يقول: أحسست بأنك غير طبيعي وخشينا أن تفعل شيئًا في نفسك وسوف نعطيك ملابسك بعد ثلاثة أيام إذ استقرت حالتك، وبعدها نفتح لك ملفا في المستشفى النفسي ونتابع حالتك الصحية، يذهب ويتركك في صراع نفسي وغضب ، وبعد قليل تأتيك المرضة وهي تحمل معها أدوية من الطبيب النفسي وإذا رفضت تناولها فهذا يدل على أن حالتك صعبة، في نظرهم وتحتاج لمزيد من الجلسات النفسية، وبعد ثلاثة أيام تؤخذ إلى المستشفى النفسي وترقد على سرير ويكون بجوارك الطبيب النفسي ومعه ملفك ويسألك ويسجل الإجابات: يسألك مثلًا هل تأكل جيدًا ؟ هل تنام جيدًا؟ هل تريد أن تؤذي نفسك ؟ هل ترى أحلامًا مفزعة ؟ هل تحب نفسك؟ هل تحب

جيرانـك؟ هـل تريـد أن تقتـل أحـدا ؟ ويطلـب منـك أن تخـبره بالمشـاكل الـتي تواجهـك حـتى يسـاعدك ويقـول: سـوف أكتـب لـك علاجـات ومهـدئات حـتى تشـفى، تقـول لـه: أنا لسـت مريضًـا، يقـول لـك بـبرود: سـوف يـتم مراقبتـك للتأكـد مـن ذلـك عليـك فقـط تنـاول العـلاج والمهـدئات، بعـدها تعـود إلى العنـبر وكـل يـومين يأتـى إليـك أطبـاء نفسـيون، وأنـت الآن مجنـون رسمـي في ملفـاتهم ولا بـد مـن المتابعـة ويصـرف لـك أنواعـا مختلفـة مـن المخـدرات والمهـدئات بكميـات كبـيرة وفي نفـس الوقـت يـتم تجريـب مفعـول هـذه المهـدئات ومـدى تأثيرهـا الـداخلي والخـارجي حـتى يقـرر إنزالهـا في السـوق، وهـذا هـو الأسـلوب الـذي كـان متبعًـا في العيـادة الطبيـة حيـث يصـرف للمـريض أدويـة جديـدة لشـركات جديـدة بعـد أن جربـت علـى هـولاء الأسـرى الذين كانوا (حقول تجارب) .

كـان هـذا الأسـلوب المتبـع مـن قبـل العيـادة النفسـية المرجعيـة، كـان لكـل أسـير ملفـا في العيـادة النفسـية يضـعون عليـه لمسـاتهم وحـالتهم الـتي يرونهـا وإذا حصـل شـيء للأسـير يخرجـون ملفـه ويقـال بأنـه كـان يعـالج مـن حـالات نفسـية ويـذكرون عـدد الجلسـات، وكـذلك مـن الأشـياء الـتي يسـتفيدون منهـا تلـك الأدويـة الـتي تصـرف المخـدرات وأدويـة للتجـارة لصـالح شـركات الأدويـة وكـذلك تشـخيص شـريحة مـن المجاهـدين للوصـول لنتيجـة مفادهـا كيـف يفكـر؟ وفي ماذا يفكر ؟ وماذا يتمنى ؟ كيف يقاد ؟.

هـذه هـي العيـادة النفسـية اسـتعملت كـأداة في تعـذيب الأسـرى نفسـيًا وهـي واحـدة مـن مئـات الأسـاليب الـتي اسـتخدمت، ولا أنسـى السـحر الـذي اسـتخدمه المحققـون كـان علاجـه يـتم عـن طريـق العيـادة النفسـية وهـي بـدورها تصـرف كميـات كبـيرة مـن المخـدرات حـتى يـدمن المـريض ولا يسـتطيع الاسـتغناء عنهـا ، ومـع المحقـق كـان هـذا يحـدث لقليـل مـن المرضـى وغالبيـة

المرضى كانوا يتخلصون من هذه العقاقير برميها في دورة المياه، وإذا اكتشف الممرض بأن الأسرى يلقون العقاقير، يأمرهم بفتح الفم وتحريك اللسان حتى يرى الدواء قد وصل فمك أم لا، رغم هذا كانوا يتخلصون منها لعلمهم بأنها مخدرات، وإن لم تكن كذلك فهي مضره للجسم لسبب واحد وهو عدم حب الخير لنا.

نبذة عن إدارة المعسكر والجنود

معسكر غوانتنامو كان تحت إدارة ثلاث جهات: إدارة التحقيق، إدارة المعسكر وتتمثل في الضباط والجنود، وإدارة العيادة الطبية والنفسية، ولكل واحد صلاحيات في عمله ولكن دخولهم وخروجهم جميعًا من قبل إدارة المعسكر.

أما من ناحية إداراتهم فالإنسان لابد أن يعدل في القول والعمل وأنا لا أريد أن أهضم حق هؤلاء في كل شيء، فهم حقيقة من ناحية الإدارة والتنسيق والتنظيم خاصة في توزيع وترتيب الجنود، لا يوجد مثلهم، ولكن رغم ذلك كان بعض الضباط والجنود يقعون في أخطاء قاتلة. الجنود الأمريكان 60% منهم ليسوا من أصل أمريكي والبقية منهم ضباط أمريكان صغار في الرتب العسكرية وضباط كبار من ذوي الرتب العسكرية وتحت إدارتهم القواعد والمعسكرات. ومنذ دخولي إلى غوانتنامو إلى أن خرجت مرّت علي جميع وحدات الجيش الأمريكي من بحرية وطيران والنقل والإصلاح والمارينز والمشاة، تمكث كل وحدة ستة أشهر، تنتقل إلى قاعدة أخرى في أفغانستان أو العراق أو الكويت أو قطر أو كوريا الجنوبية ...الخ، وتأتي

وحدة أخرى، وبكثرة احتكاكنا بالجنود من جميع وحدات الجيش الإمريكي خرجنا بالنتائج التالية:

* كثير منهم لا يعلمون أسماء آبائهم وإذا سألتهم أين أمك يقول لك: تربيت في الملجأ.

* بعض منهم عبده الشياطين.

* بعض منهم شواذ جنسيًا.

* والذين يفعلون عمل قوم لوط حدث ولا حرج.

* أغلب المجندات ليس لهن أزواج.

* أغلب الجنود ليس لهم زوجات وإذا سألت لماذا لم تتزوج؟ يرد عليك قائلًا : لماذا أتزوج وحولي الحسناوات وأقضي حاجتي هنا وهناك، إن كانوا فتيانًا أو فتيات، وإذا سألته في أى شيء تصرف راتبك؟ يقول: للملجأ لأنى لم أسدد ما علي وتدربت عندهم، هذه الإجابات ليس لواحد أو اثنين بل لأغلبهم.

* وفيهم الجنس الثالث بكثرة أي المخنثين.

* كثير من الجيوش تقاتل من أجل مبادئ وجيوشهم موحدة من جنس واحد، أما هؤلاء، فليس لهم عقيدة ولا وطنية ولا مبادئ يقاتلون من أجلها وكما ذكرت أن 60% من جنودهم ليسو أمريكان فقد وجدت جميع الأجناس: الهندي، البرازيلي، الكوبي، المكسيكي، الإيرلندي، الإيطالي، النيجري، السنغالي، جميع دول أفريقيا بما فيها السودان ومصر، وجدتهم بالزيّ الرسميّ ولكن ذوي رتب عالية، فهولاء يقاتلون ليس حبًا في أمريكا إنما حبًا للدولار، فولائهم فقط للدولار، أما أمريكا فلتذهب إلى الجحيم، والأمريكان يعلمون ذلك جيدًا، لهذا تجد القوات الأمريكية إذا دخلت حربًا لا تستخدم قوات المشاة، بل الطائرات والصواريخ، ودائمًا تجدهم

متحصنين في قواعدهم ولا يخرجون منها إلا في طائرة أو بارجة حربية أو دبابة، والعالم يظن بأنهم أهل بأس وشجاعة ولكن الأمر خلاف ذلك فهم أجبن خلق الله وصدق فيهم قول الله تعالى ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ ۚ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [1] ودائمًا يظهرون قوتهم الزائفة في أفلامهم الخيالية لخداع عقول الأمة الإسلامية والعربية بأنهم ذوي بأس وشده في القتال والعكس صحيح فقد جاء رئيسهم (بوش) بحماقة وكشف المستور ويظن ما حدث في أفغانستان والعراق وبعض الدول عن طريق جيش المشاة، كلا والله فهؤلاء لا يخرجون من جحورهم إلا بعد أن تدمر الطائرات والصواريخ وتهدم المساكن وتقتل الأبرياء من النساء والأطفال وتخلو المدن تمامًا من أي مقاومة، بعد ذلك يخرجون على ظهور مدرعاتهم، ويستعرضون عضلاتهم، ويتم تصويرهم على هذه الحال وهم يتبخترون في المدينة حاملين أسلحتهم ليبرهنوا للعالمين على أنهم قاتلوا بشراسة وثبات، هل تصدق أيها القارئ! فرقة الشغب المكونة من ستة أشخاص عند دخولهم على الأسير في زنزانته بعضًا منهم يستخدم (الحفاظات) يلبسها تحت سرواله خوفًا من تسرب البول! كل هذا من شدة الخوف، وقد أكد لي هذا أكثر من جندي وبعض المترجمين، فكيف لهؤلاء أن يثبتوا في ساحات الوغى والشدائد، وعلى الأمة الإسلامية ألا تغتر بهم، فهم كما وصفت لك أمة خاوية من المبادئ والقيم اجتمعت فيهم جميع أفعال الأمم السابقة التي أهلكها الله والخوف والرعب لا يفارقهم، قال تعالى ﴿سَنُلْقِي

[1] – سورة الحشر الآية (14) .

فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا ۖ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾ [1].

المعسكرات

معسكر (x-ray) و (المعسكر الأول) و (المعسكر الثاني) و(المعسكر الثالث) و (المعسكر الرابع) و(المعسكر الخامس) و(المعسكر السادس).

يعتبر (x-ray) أول معسكر أنشيء في غوانتنامو، كنت من أوائل الأسرى الذين دخلوا فيه، وجدنا زنازين قديمة قابعة بين تلال خضراء، إما أنشأها الإسبان وإما أنشأها الأمريكان في حربهم ضد كوبا. وقد صممت الزنازين التي نزلنا فيها، طبق الأصل، لتلك القديمة، في خلال شهر ونصف اكتمل المعسكر، وكان بها خمسة عنابر، كل عنبر يحتوي على ستين زنزانة ولكل عنبر له إسم ويشار عليه بالحرف الأول من الإسم، أنشيء المعسكر في أرض منخفضة وفي منطقة شبه غابية كثيرة الأمطار والمستنقعات لا يمر يوم إلا وتجد الحيات السامة تدخل الزنازين وكذا الحشرات بأنواعها، وبعد أربعة أشهر ونسبة لتزايد الأسرى وكثرة الهوام بدأوا في إنشاء معسكرات أخرى كبيرة تبعد عن معسكر X-Ray خمسة كيلومترات تقريبًا وكلها عبارة عن حاويات ضخمة مرتفعة عن الأرض بقواعد خرسانية ضخمة، وقد قسمت هذه الحاويات من الداخل إلى عدة زنازين، وكل عنبر يحتوي على ثمانية وأربعين زنزانة، وأربعة زنازين للاستحمام، وزنازين كبيرة للرياضة وسميت هذه المعسكرات بالمعسكر الأول والثاني والثالث.

---

[1] – سورة آل عمران الآية رقم (151).

المعسكر الأول

بـه ثمانيـة عنـابر وعنـبر خـاص للحـبس الانفـرادي سمـي INDIA (الهنـد) وأسماء الثمانية هي:

(ALFA - ألفـــــــــا) (برافـــــــــو- BRAVO) (شـــــــــارلي- SHARLY) (دلتـــا- DLTA) (أيكـــو- ECOO) (فاكســـترا – FACSTRA) (قولف- GOLF) (هوتيل- HOTAL) .

المعسكر الثاني

وبـــــه عنـــــبران للانفـــــراديات وهـــــي (أوســــكار -OSCAR) (نــــوفمبر – November) والعنـــابر هـــي: (مايـــك – MIC) و(ليمـــا- LEMA) و(كيلـــو- KELO) ويحتـــوى كـــل عنـــبر علـــى ثمانيـة وأربعـين زنزانـة كمـا ذكـرت لـك مـا عـدا الانفـراديات، منهـا الـتي تحتـوي على أربعة وعشرين زنزانة والآخر على ستة وثلاثين زنزانة.

المعسكر الثالث

كـان بـه عنـبران لـيس كـالانفراديات ولا العاديـة، محجوبـة عـن الرؤيـة تسـتعمل لأسرى معينين وبها خمسة عنابر هي عنبر (تانكو – TANGO) و (ســـــيارة - SEARA) وعنـــــبر (روميـــــو-ROMU) و (بابا- PAPA) و (كيـــوباك – QUBAKE)، وكـــل هـــذه العنـــابر تحتـــوي علـى سـاحات صـغيرة للرياضـة وحمامـات للغسـيل، في خـلال هـذه السـنوات

وبسبب عوامل التعرية تهالكت العنابر وكساها الصدأ وكانوا يشرعون في ترميمها وصيانتها كل عام أو عامين، ومن المؤسف أن تكاليف الترميم والصيانة كانت تتم على حساب دول عربية ودول إسلامية، فقد وجدنا بعض الحديد الذي تبنى به العنابر وكذلك مواسير الصرف الصحي عليها شعار دول عربية وإسلامية واسم المصنع الذي صنع فيه، لم نتعجب من ذلك، لأن العالم انقسم إلى ثلاثة أقسام بعد حادثة سبتمبر 2002م، قسم وقف مع الذين رغمت أنوفهم في التراب وقسم في موقف الحياد وقسم وقف ضدهم وأيد تلك الضربة.

المعسكر الرابع

بعد سنتين تقريبًا بدأوا في إنشاء المعسكر الرابع وهو يختلف عن بقية المعسكرات خصص فقط للمتعاونين في التحقيق ومكانًا لاستدراج آخرين من الأسرى من أجل التعاون وهو السجن الجماعي الوحيد في غوانتنامو به خمسة عنابر: عنبر زولو، وسكى، فكتور – يانكي، يوني فورم، كل عنبر بها أربعة غرف وكل غرفة بها عشرة أفراد وحمام واحد والعنابر كلها مفصولة عن بعضها بأسلاك شائكة، ويتم فتح وقفل الأبواب فيها من على البعد من غرف الكنترول وهي عبارة عن برج ضخم محاط بأسلاك وسط الساحة الرياضية المخصصة للأسرى، إذا أرادوا أن يأخذوا أحد الأسرى إلى التحقيق أو العيادة أو المحامي، يجب أن يدخل الجميع إلى غرفهم ويوصد عليهم الباب الفولاذي ويقيّد الأسير.

هذا المعسكر ضلل به كثير من المنظمات الدولية وانخدع فيه الإعلام، خاصة رجال الصحافة الذين كانوا يأتون زائرين ويصورون بعض الأسرى

باللباس الأبيض وهم في جماعات يتحدثون ومن يراهم يظن أنهم في راحة وسعادة، والأمر في الحقيقة ليس كذلك، فهم فقط في حالة استراحة من التعذيب النفسي حتى يعودون إلى إخواهم في العنابر الخلفية إذا لم يتعاونوا مع المحققين. المعسكر الرابع ليس سوى مصيدة للحصول على المعلومات بهذه الطريقة أي بتوفير وسائل الراحة مثل الزنزانة الواسعة وتوفير الطعام والمكوث في شكل جماعات في زنزانة واحدة والخروج لممارسة الرياضة بأنواعها وتغيير ملابسهم من اللون البرتقالي " لون الخطر" إلى اللون الأبيض، وتصرف الأوامر للجنود بألا يؤذوا أحدًا ولا يستفزوهم بل أن يقابلوهم بالابتسامات المصطنعة. وعدم شدّ القيد والخشونة في المعاملة وتوفير الأدوية الطبية والسجادات والسبح (كانت تستخدم لتكرار الآيات القرآنية)، هذه الوسائل الترفيهية التي يزعمون أنها من وسائل الراحة المعهودة، موجودة في أدنى سجن في العالم، وضعوا هؤلاء في الواجهة لتضليل الرأي العالمي وإقناع الصحافة وجميع وسائل الإعلام الأخرى بأنهم مثاليون في التعامل مع هؤلاء، ولكن هؤلاء الزائرون لا يدرون بأن هناك أسرى قابعون داخل أقفاص جنوب هذا المعسكر يذوقون صنوفًا من العذاب وألوانًا من الأذى وتفتح عليهم أبواب العذاب كل يوم بعيدًا عن أعين الرقباء من منظمات حقوق الإنسان وغيرها. بعد أن يدخل الأسير في المعسكر الرابع ويتنفس الصعداء ويرى أشياء لم يرها منذ سنوات، من زنزانة واسعة، ويخالط أخا لم يره منذ زمن بعيد، ويحضن كل واحد أخاه القادم من العنابر ويضمه إلى صدره في شوق وفرحة، وهو لم يكن قد لمس جسم بشر منذ سنوات غير تلك الأيادي القذرة التي تقيده للتعذيب، يحضن الأسير أخاه ويعانقه وعيونه تذرف الدموع ويثير هذا المشهد باقي الأسرى فيشاركونه هذه العاطفة الجياشة ثم يسرد لهم القصص التي حصلت

لـه في معسـكره وأخبـار إخوانـه هنـاك. في هـذه اللحظـات تعـيش في مشـهد معـبر للأخـوة الإسـلامية والمحبـة الصـادقة، تـرى بقيـة الأسـرى في العنـابر المفصـولة بالأسـلاك الشـائكة يلوحـون بأيـديهم ومـنهم مـن يلـوح بالمناشـف ومـنهم مـن يلـوح بالقمـيص ابتهاجـا لقـدوم أخيـه في مشـهد أشـبه بجمـاهير واقفـين في مـدرجات الملعـب ورافعـين أيـديهم بفرحـة الهـدف الـذي أحـرز، يـتم هـذا كلـه وسـط انـدهاش الجنـود الأمريكـان، والجنـود يسـألون بعضـهم: مـن يكـون هـذا ؟ لابـد أنـه قائـد كبـير في صـفوفهم، وإمـا والـده مـن الأثـرياء ويحسـبونها علـى حسـب الماديات الـتي يعيشـونها، في النهايـة يتفاجـأون بأنـه شـخص عـادي جـدًا ومنظـره وبدنـه النحيـل يـوحي بأنـه مـن أفقـر الفقـراء، ولكـن مـا سـرّ هـذا الاسـتقبال الحافـل وهـذه الفرحـة والمحبـة الغـامرة ؟ أقـول: بأنه لا يحس بهذا السرّ لأنـه بعيـد عـن الإسـلام وأنـه سـوف لـن يصـل إلى هـذا السـرّ إلا بعـد أن يتـذوق طعـم الإيمـان وصـدق الصـادق المصـدوق الـذي لا ينطـق عـن الهـوى، الحبيـب المصـطفى حـين قـال: " المـؤمن للمـؤمن كالبنيـان يشـد بعضـه بعضًـا" . كـذلك قولـه ﷺ: "تـرى المـؤمنين في تـراحمهم وتـوادهم وتعـاطفهم كمثـل الجسـد إذا اشـتكى عضـو تـداعى لـه سـائر جسـده بالسـهر والحمى " [1].

بعـد أن يمكـث الأسـير أيامًـا قليلـة ويشـعر بالمفارقـات الـتي هنـا وهنـاك مـن حيـث المعاملـة ويتـذوق أنـواع الفاكهـة ويجـد أصـدقاءه القـدامى، ويجـد الفـراش الـوثير ويشـعر بالراحـة بعـد أن ذاق فـراش الحديـد والتعـب النفسـي والجسـدي يأتي إليـه الجنـود حـاملين السلاسـل لأخـذه إلى غرفـة التحقيـق وهنـاك يـزاح الـتراب عـن المصـيدة ويقـوم المحققـون بتهديـده بأن يعـترف بكـل شـيء حـتى

---

[1] - صحيح البخارى.

وإن لم يفعل شيئًا كأن يعترف بأنه من أعضاء تنظيم القاعدة وإلا فالعودة إلى تلك الأقفاص الرهيبة، هنا يدخل الأسير في صراع نفسي فهو لم يفعل شيئًا ولا ينتمي لأى حزب، فيختار العودة إلى تلك الأماكن التي لا يطيقها بشر، هكذا استخدم هذا المعسكر للاستدراج وانتزاع المعلومات بهذه الطريقة الماكرة الدنيئة، هكذا انخدع رجال الإعلام الذين حضروا وشاهدوا المعسكر الرابع ورأوا النزلاء بثياب بيض وهم في شكل جماعات، والعجيب أن إدارة المعسكر كانت تدخلهم في غرف مثل غرف الأسرى وتريهم أشياءً غير موجودة في غرف الأسرى من وسائل الراحة وما شابه ذلك حتى ينقلها الإعلام للرأي العالمي في الخارج لتحسين صورتهم في نظر العالم، كانوا لا يسمحون للإعلام بمقابلة أي أسير مهما كان وهو من المستحيلات، وهؤلاء الزائرون لا يعلمون بأن الأسير لا يمكث إلا شهرًا ويعاد مرة أخرى إلى تلك الأقفاص.

المعسكر الخامس

أُنشيء هذا المعسكر خصيصًا للعقوبات الفردية والجماعية، به غرف صغيرة جميعها انفراديات، أبوابها من الفولاذ، وغرف أخرى مثلها للتحقيق، هنا تتم الممارسات القذرة من استفزازات وتدنيس كتاب الله ويتمركز خارجها قوات الشغب على أهبة الاستعداد في انتظار الأوامر للدخول على الأسير لكسر أضلاعه إذا خالف القوانين التافهة، ومن خبث الإدارة صمموا ساحات للرياضة بطريقة لاينفذ إليها ضوء الشمس ومساحتها أربعة أمتار في متر ونصف وكذلك الزنازين لا يدخلها ضوء الشمس، شمسك هي الإضاءه الجاهرة التي لا تنطفأ، الذي يدخل هذا المعسكر لا

يخرج منه بسهولة، فإن خرج فقد كتب له عمر جديد، يعتبر هذا المعسكر من أشد المعسكرات معاناةً لأسباب كثيرة.

أولًا : فالأسير رغم ما كان يجده من معاملة قاسية في الأقفاص الضيّقة في المعسكرات الأخرى إلا أنه كان يجد منافذ يدخل منها ضوء الشمس والهواء ويرى بقية الأسرى ويتحدث معهم وأشعة الشمس تطغى على الإضاءة في العنابر الانفرادية في المعسكر الأول والثاني والثالث، وتمكث فيه أسبوعًا أو شهرًا أو شهرين إلى سته شهور، أما المعسكر الخامس لابد أن تمكث فيه سنينا، ومنذ دخولي غوانتنامو وحتى خروجي منه لم أر مثل هذا المعسكر تعذيبًا وانتهاكًا للأعراض، وإدارته منفصلة عن بقية المعسكرات الأخرى.

المعسكر السادس (معسكر أهل اليمن)

لم تتوقف وزارة الدفاع الأمريكية من إنشاء السجون داخل معتقل غوانتنامو خلال الأعوام السبع التي مكثت فيها، كان العمل مستمرًا في بناء السجون، ليس من أجل التوسعة وراحة الأسرى كما يظن البعض بل للتضييق وتفادي الأخطاء التي حدثت في المعسكرات الأولى، فهم لايقعون في خطأ إلا ويستفيدون منه ويسرعون في إصلاحه، كان هذا من الأسباب الرئيسية التي جعلت هذه الأمة في تقدم وتطور.

كنا نشاهد ونحن داخل الأقفاص عن بعد رافعات ضخمة تعمل والعمال منهمكون في العمل بجد وحماس، كنا نرى الكتل الخرسانية ترتفع وتتحرك فوق بعضها البعض، بعد مضي شهور تشكلت أمامنا قلعة ضخمة تقف شاهقة وسط التلال الخضراء يرفرف فوق ساريتها علم الولايات المتحدة

الأمريكية، يعتبر هذا المعسكر آخر سجن أنشيء وتواترت إلينا الأخبار بأنهم بصدد إنشاء المعسكر السابع لتفادي أخطاء السجن السادس الجديد.

بعد أن اكتمل تمامًا استلم الجنود مواقعهم وبدأوا في نقلنا إليه، وجدناه قلعة ضخمة أبوابها تفتح وتغلق بواسطة الكهرباء، وهي ثمانية الشكل، بها ثمانية عنابر والعنبر عبارة عن شكل مثلث به طابق علوي، وأبواب غرف الأسرى من زجاج شفاف قوي لا يمكن تحطيمه تفتح وتغلق بالكهرباء أيضًا، فيما بعد سأوضح لك سبب وضع الزجاج الشفاف القوي وجعله على الأبواب داخل غرف هذه القلعة التي مساحتها مترين في ثلاثة أمتار، سرائر من حديد مثبتة على الأرض، وجدارها من حديد تحتوي على مغسلة ومرحاض ومرآة مصنوعة من النيكل مثبتة على الجدار، وطاولة ومقعد من حديد مثبتان، وثقوب كثيرة منتظمة على اليمين واليسار أعلى الغرفة، إحدى الثقوب للتكييف المركزي الذي لا يتوقف أبدًا، والثقوب الأخرى للشفط، وفي أعلى السقف ستة مصابيح أسطوانية طويلة للإنارة تكون هذه المصابيح ساطعة فوق رأسك طوال الوقت.

وتصميم هذا المعسكر بهذا الشكل يدل على أنهم يريدون تضييق الخناق أكثر على الأسرى، في المعسكرات السابقة كانت لنا بعض الحيل للتواصل مع الأخوة المجاورين لتلقي الأخبار وكنا نتنسم رغم صغر زنازينها الهواء ونرى الأشجار والطيور، أما هذا المعسكر صرنا فيه مثل القطعة الأثرية داخل غرف الزجاج بالمتحف لا يوجد حولك سوى الجدار الحديدي وأمامك باب الزجاج، بعد كل نصف دقيقة يمر من أمامك الحارس وينظر ماذا تفعل ؟ لا تستطيع التحدث مع أهل العنبر المجاور فأنت محاط بكتل خرسانية تمنعك رؤية ومحادثة جارك إلا من الفراغ الذي

تحت الباب، كنا نرقد بالقرب من الباب لأنه المنفذ الوحيد الذي يدخل منه الهواء ونتحدث مع بعضنا من خلاله، ونقرأ القرآن مع الأخ المجاور وننشد الأناشيد الحماسية، في بادئ الأمر منعنا من الكلام، ولكن بفضل الله استطعنا كسر هذا الحاجز وكثير من الحواجز الأخرى، في هذا العنبر كانوا يستخدمون أساليب ماكرة وخبيثة إمعانًا في قهرنا نفسيًا وجسديًا ووضعوا في كل زنزانة مرآه كبيرة أعلى المغسلة لينظر الأسير فيها نفسه كل وقت وفي أي وضع قائمًا كان أو راقدًا، بمعنى أن كل حركة يفعلها تنعكس في المرآة ويمكث سنينًا في هذه الانفراديات ليس معه أحد ولا يتحدث إلا مع خياله، ويرى يومًا بعد يوم كيف يزحف الشيب على رأسه ولحيته ويجعله يفكر ويقول في نفسه سائلًا متى يحين الخروج ؟ هل سأظل هنا هكذا والأيام تمضي بي؟ ويعيش في صراع نفسي رهيب من جراء هذا الوضع المزري، ولكن بفضل الله تمكنا من التغلب على مكرهم بأن لم ندع للشيطان والتفكير مجالًا للتسلل إلى عقولنا وذلك بقراءة القرآن الكريم ومدارسته وهو كان خير مؤانس لنا، فقد كنا بين فكي عدوين: العزلة وأساليب الأمريكان الخبيثة التي تتمثل في تشغيل أجهزة التبريد إلى درجة عالية لمدة طويلة وسحب الأغراض الخاصة بك حتى لا تذوق طعم النوم ناهيك عن لمس الحديد وما به من بروده وبالتالي تنتفخ أرجلك كأنك في ثلاجة، علاوة على الإضاءه القوية المسلطة عليك فهي شمسك، فلا تمر أيام قليلة إلا ويصاب الأسير بمرض الروماتيزم والالتهابات الصدرية.

كانوا يطلقون على هذا المعسكر "معسكر أهل اليمن" والسبب في ذلك أن أحد الإخوة من أهل اليمن، عندما اكتمل بناء هذا المعكسر رأى في منامه أن علم اليمن ملتصق في جداره، فاؤلت الرؤية بأن هذا المعسكر سيكون مكانًا لليمنيين يمكثون فيه إلى ماشاء الله، فكان كذلك، فالآن

أكثر الجنسيات في هذا المعسكر هم أهل اليمن، نسأل الله أن يثبتهم ويفك أسرهم ويرفع درجاتهم.

هذا باختصار شديد نبذة عن المعسكرات الموجودة في جزيرة غوانتنامو وتركت التفاصيل الدقيقة عن الممارسات والأساليب الوحشية التي كانت تستخدم لوجة نظر خاصة بي تحتمل الخطأ والصواب، فوجدت من المصلحة عدم ذكر كل شيء لعدة أسباب منها لن أستطيع أن أصف لك كل الأساليب وأعطيها حقها، فهم قد سبقوا الشيطان في التفكير حتى عجز عن الوسوسة لهم .

المحامون هم الورقة الأخيرة للأمريكان

استعملت الولايات المتحدة الأمريكية جميع أوراقها في الحرب ضد المسلمين باسم الإرهاب والمسميات الواهية باستخدام القوة وإرهاب العالم الإسلامي، بما يملكون من إمكانيات وأحسبها ستزول عما قريب بإذن الله تعالى. استخدموا في معتقل غوانتنامو جميع أساليب التعذيب النفسي والجسدي على الأسرى لانتزاع المعلومات والخيوط التي تؤدي إلى الوصول للرجال البواسل الذين نفذوا الهجوم في برجي التجارة العالمية في الحادي عشر من سبتمبر 2001م، باءت كل محاولتهم للعثور على قيادات تنظيم القاعدة بكل ما يملكون من وسائل تقنية حديثة، ولما أعياهم ذلك شرعوا في جمع المعلومات من الأسرى لعلهم يجدون خيوطًا توصلهم إلى أولئك النفر ولكنهم لم يجدوا ما كانوا يبحثون عنه من معلومات، فكروا في الاتصال بجواسيسهم في البلدان العربية وغيرها لكي يتلقوا المعلومات عن هؤلاء الأسرى ولم يجدوا سوى القليل من البيانات العادية، بعدها اتجهوا إلى فتح

أبـواب المعتقـل للوفـود الحكوميـة لكـي يتصـلوا برعـاياهم ويحصـلوا مـنهم علـى المزيـد، وتفـاجئوا بأن الوفـود لم تـزودهم بشـيء مـن المعلومـات الاسـتخبارتية الكافيـة، وهـذا إن دل إنمـا يـدل علـى أن هـؤلاء الأسـرى ليسـوا مجـرمين ولـيس لهـم انتمـاءات سياسـية أو حزبيـة بـل هـم مواطنـون صـالحون في أوطـانهم. مـع كـل هـذا لم يصـدقوا بـراءة هـؤلاء الأسـرى وفكـروا أفكـارًا شـيطانية خبيثـة ولجـأوا إلى طريقـة ذكيـة لجلـب المعلومـات الدقيقـة لـيس مـن الحكومـات ولا مـن الاسـتخبارات بـل مـن أسـرة الأسـير عـن طريـق المحـامين، فـالآب والأم إذا جـاءهم شـخص وقـال أنا محـامي ابـنكم وسـأتولى قضـيته لإطـلاق سـراحه مـن المعتقـل يجـد مـنهم الحمـاس والمعلومـات الصـغيرة والكبـيرة عـن ابـنهم وهـم يعطونـه هـذه المعلومـات بحسـن نيـة وطيـب خـاطر دون أي تحفـظ، وذلـك مـن أجـل أن يسـعى في إطـلاق سـراح ابـنهم، استغل المحـامون هـذا الأمـر وأخـذوا يسـألون عـن ابـنهم وأصـدقائه المقـربين والـدول الـتي سـافر إليهـا ومـا إلى ذلـك مـن الأسـئلة الدقيقـة ليحصـلوا في النهايـة علـى معلومـات مـن هـؤلاء البسـطاء، يبـدأ الاتصـال بالأسـير بأن يأتيـه ظـرف مختـوم عليـه عنـوان وبيـانات المحـامي مضـمونها، أنا محاميـك الخـاص وأنا موكـل مـن قبـل المحكمـة للـدفاع عنـك وموعـد لقـائي بـك بعـد كـذا يـوم وحضـورك ضـروري جـدًا لكـي أوضـح لـك بعـض المسـائل المهمـة ومناقشـة الـتهم الـتي وجهـت إليـك، كثـير مـن الأخـوة كـانوا يرفضـون مقـابلتهم لعلمهـم بهـذه الخدعـة، وتتـوالى علـيهم الرسـائل بضـرورة المقابلـة، كـان بعـض الأسـرى يـذهب لمقابلـة المحـامي ليعـرف مـاذا يريـد؟ ومـنهم مـن كـان يـذهب ليحسـم هـذا العمـل الـدنيء، ومـنهم الـذي لا يسـتلم الرسـائل ويـرفض بشـدة مقابلتـه لأنـه يـراه أسـلوبًا آخـر مـن أسـاليب انتـزاع المعلومـات أو أسـلوب مـن أسـاليب التحقيـق الجديـدة، ومـنهم المقتنـع بأنـه محـامي، أنا شخصـيًا لم أقتنـع بهـم ولم أثـق فـيهم أبـدًا وحـتى لا أظلـم أحـدًا كنـت

احتمـــل الصـــدق بنســـبة 15% ، وزادني الشـــك أنهـــم متواطـــؤون مـــع الأمريكـان، وذلـك عنـدما ذهـب أحـد الأسـرى لمقابلـة المحـامي ومكـث معـه فـترة طويلـة بعـدها سـأله الأسـير قـائلًا : ألم تقـل لي في المـره السـابقة بأنـك سـوف تسـافر إلى بلـدي لمقابلـة أسـرتى؟، قـال المحـامي: لم أسـافر إلى بلـدك ولكـن قريبًـا سـوف أسـافر وأقـابلهم وأحضـر لـك رسـائل وصـور وأنقـل لهـم أخبـارك، وعنـدما حـان وقـت الانصـراف قـام المحـامي فسـقطت منـه تحـت الطاولـة بـين أرجـل الأسـير صـورة مـن وسـط الأوراق، رفـع الأسـير الصـورة ودقـق النظـر وكانـت المفاجـأة والصـدمة أن صـاحب الصـورة هـو شـقيقه. قـال لـه الأسـير: ألم تقـل لي بأنـك لم تسـافر إلى بلـدي ولم تقابـل أسـرتي، إذن مـن أيـن تحصـلت علـى هـذه الصـورة ؟ لم يسـتطع المحـامي الـرد وصـار يـتكلم كلامًـا غـير مفهـوم وقـال: إن الإدارة الأمريكيـة منعتـنى أن أعطيـك الصـورة، فهـم الأسـير أن هـذا المحـامي مـا هـو إلا عميـل للمخـابرات الأمريكيـة ومتعـاون مـع إدارة المعتقـل، رجـع إلى العنـبر وحكـى قصـته للأسـرى، كانـت هـذه الحادثـة مصـدر قلـق للمتمسـكين بمحـاميهم. كنـت مـن ضـمن الرافضـين بشـدة مقابلـة المحـامين، ولكـن الأخ سـامي الحـاج مصـور قنـاه الجزيـرة لحـب الخـير لي ولطيبـة قلبـه أراد مسـاعدتي بأن قـدم لي طلبًـا باسمـه ووكـل محاميًـا لي بغـير علمـي وبعـد سـنه تقريبًـا مـن تقـديم الطلـب جـاءت إلي محاميـة تعمـل بالحقـوق الدسـتورية في نيويـورك تـدعى (جيتنـا جاليـا جتـا ريـز) قالـت: أنهـا ليسـت المحاميـة الـتي سـوف تـدافع عـني ولكـن يوجـد محـامي آخـر يـدعى (تومـاس ديـركن (Tomas.Durkin أخبرتـني بأن تومـاس داركـن هـذا، هـو مـن سـيتولى الـدفاع عـني وقريبًـا سـوف يسـافر إلى السـودان هـو ومحـامي آخـر يـدعى كلايـف سميـث، وهـو محـامي الأخ سـامي الحـاج، وذلـك لمقابلـة الحكومـة السـودانية للتنـاقش معهـا بشـأن الأسـرى السـودانيين ومـن ثم مقابلـة أقـارب

الأسرى إن وجد إذن بذلك مني، وافقت على مضض لشيء في نفسي وأرسلت رسالة شفوية عن طريقه إلى الحكومة السودانية على لساني ولسان سامي الحاج باتفاق كان بيني وبينه، ومضمونها أن يخبرا الحكومة السودانية عدم المساومة مع الحكومة الأمريكية بشأن الإفراج عنا. حتى وإن دعا ذلك إلى مكوثنا عشرون سنه أخرى في السجن، فقد عشنا معهم فترة سبعة أعوام وعرفنا مكرهم وخبثهم وهم يعرفون كيف يلعبون لصالح ورقهم. سجلت المحامية كل الذى قلته للحكومة وللأسرى لكي توصلها إلى المحامي توماس داركن الذي لم أره إلى هذه اللحظة، بعد شهر ونصف جاءتني رسالة من أهلي فحواها أن محاميك ومحامي سامى الحاج قد حضرا إلى المنزل ومكثا قرابة الأربع عشرة ساعة، أرسلنا معهما صور ورسائل، فرحت بأنني سوف أرى والديّ وإخوتي الذين لم أراهم منذ أحد عشرة سنة انتظرت المحامي لمدة شهر وشهرين لم يأت إلي. ولم يرسل رسالة حينها أرسلت رسالة خطية.

وهذا نص الرسالة:

"الأستاذة جيتنا جاليا جتا ريز:

سوف أدخل في الموضوع مباشرة وأتكلم بصراحة بدون مجاملات، أخبرتك من قبل في أول جلسة لنا بأني لا أعترف ولا أقتنع بأي شخص يقول بأنه محامي في كوبا، وخاصة في هذا المعسكر غير القانوني، وبعد أن استغل الأمريكان المحامين لأغراضهم الخاصة في جلب المعلومات من أقارب الأسرى، فإذا كنت محامية بصدق فأنت ضحية لعبة كبيرة ولا ذنب لي في طريقة أسلوبي في هذه الرسالة، ووضعت نفسك في موضع شبه وشكوك من الغير ومن يضع نفسه في موضع شبه فلا يلومن إلا نفسه، وأقول هذا الكلام إذا كنت محامية حقيقية، وجئت للدفاع عنا في هذه المقبرة، أما إذا

لم تكوني محامية سوف أخبرك لماذا جلست معك أولا؟ وجدت فرصة حتى يعلم هؤلاء الأمريكان حقيقتي ومن أكون فهم لا يثقون في أحد ولا يصدقون أحدًا ولو قال ما قال من الحقيقة، حتى يتثبتوا من الحقيقة بأنفسهم، لذلك حين دخلت هذا المعتقل أخذت مني جميع المعلومات عن حياتي ولكن لعدم تصديقهم حاولوا أخذ معلومات أخرى إضافية عن طريق الوفد الحكومي وأنا متأكد وواثق جدًا بأن الوفد الحكومي لم يضف شيئًا جديدًا ومع ذلك لم يصدقوا أحدًا، وأخيرًا لجاؤا إلى حيلة أخرى لأخذ المعلومات الخاصة جدًا من الأقارب عن طريق المحاميين وكما هو معلوم إن الأقارب دائمًا يعيشون في لهفة وشوق شديدين تجاه أبنائهم وترقب أي أخبار عنهم، وإذا جاءهم أحد وقال أنا محامي ابنكم سوف يجد التجاوب منهم لإطلاق سراح ابنهم ولعدم فهمهم لما يجرى من لعبه سياسية واستغلال المحامين في مسائل غير مشروعة وتوريط السجناء، على العموم حين تأكدت بأن المحامين ليس لهم عمل غير ذلك والبحث عن الشهرة فقط وليس هدفهم إخراج المعتقلين كما يعتقد من يعتقد من الأهالي، سمحت لكم بمقابلة أسرتي حتى تتحققوا معهم وتسألوا عني وتأخذوا معلومات حتى يرضى من يرضى ويصدق من يصدق بأني ليس لي إلا نفسي وأن حياتي في بلدي حياه طبيعية حتى في مقر عملي في بلاد الحرمين، إنما بدأت حياتي تتغير هنا في هذه المقبرة. فوجدت أن ذهابكم إلى بلدي ومقابلة أهلي هي الورقة الأخيرة حتى تصدقوا ما قلت لكم عن نفسي، ولذلك جلست معكم الجلسة الأولى وكان هذا هو هدفي من ذلك.

ثانيًا: حصل منكم أخطاء كثيرة جعلتني أصل إلى هذه النتيجة ولن أخبركم بهذه الأخطاء حتى لا تصلحوها وتستمروا عليها حتى ينتبه غيري ويعرف الحقيقة.

ثالثًا: هذا هو الأهم وخلاصة كلامي لا تطلبوا زيارتي نهائيًا ولا ترسلوا لي رسائل ولا تذهبوا لزيارة أقاربي أبدًا، لأن مهمتكم قد انتهت وقد أرسلت لأهلي رسالة شفوية محذرًا إياهم بعدم مقابلة أي شخص يقول أنا محامي ابنكم، لقد أصبح لدينا عقد نفسية من هؤلاء المحاميين، والمعلومات التي أخذتوها من الأقارب، يمكنكم إعطاؤها المحققين الأمريكان، وكوني على علم سوف يأتي اليوم الذي ينكشف فيه كل شيء وخاصة لعبة المحامين لأن بيع المعلومات وكشف الأسرار أصبح هدفا لكثير من الناس حتى يظهر في الإعلام ويذكر اسمه في التاريخ باسم "كاشف أسرار محامي كوبا".

وإن كنت محامية حقيقة تدافعي عن الأبرياء والإنسانية وحقوق الدستور أنصحك فهذا ليس مكانك وحتى لا تلطخي اسمك واسم مؤسستك في هذه اللعبة القذرة، عليك أن تنمي وتطوري نفسك في مجال المحاماة في مكان غير هذا المستنقع، إن لم تسقطي فيه أصابتك منه مياه وسخة تشوه صورتك.

وفي الختام أقول بأننا ضحايا لعبة سياسية قذرة ومظلومون وإن مسرحية الحياة لم تكتمل بعد ولابد من مشهد ثان لأننا نرى هنا ظالمًا ومظلومًا ولم نجد الإنصاف، وغالبًا ومغلوبًا ولم نجد الانتقام، فلابد إذن من عالم آخر يتم فيه العدل بإذن الله".

وعلى الفور جاءتني رسالة ولا أدري أين كانت تلك الرسالة ومن كتبها؟ يقول فيها. إن السفر من إيرلندا إلى غوانتنامو صعب لذلك تأخرت عليك وسوف أقابلك قريبًا حتى تعلم ما جرى من مقابلات مع الحكومة

السودانية وأعطيك الصور والرسائل وأخبار الأسرة، فرفضت مقابلته وكل الرسائل التي يرسلها بخصوص حضوري، ولا أدري إن كان صادقًا أم كاذبًا، ومن الأسباب التي جعلتني أشك في هؤلاء المحامين ما رواه لنا أحد الإخوة الأسرى من السويد قال: "بينما نحن في معتقل قاعدة قندهار بأفغانستان إذ سمعت جنديان من الجيش الأمريكي فوق برج المراقبة يتحدثان، يقول الأول سائلًا : لماذا نبقي هؤلاء الأسرى؟ لماذا لا نتخلص منهم بالقتل ونريح أنفسنا ؟ رد عليه الآخر يا غبي هؤلا سوف يترحلون إلى جزيرة في المحيط الأطلسي وسيسجنون هناك ويتم إخراجهم عن طريق المحاميين، كان هذا الحديث في بداية الأسر، وضعت هذا الكلام في بالي وأتساءل لماذا الخروج عن طريق المحامين ؟ هل من أجل أن يثبتوا للعالم عدلهم ومراعاة حقوق الإنسان ؟ أم لكي يحصلوا عن طريق المحامين على المعلومات الدقيقة؟ أم فكروا في إنشاء معتقل ضخم "شبه مدينة" للإرهابين وتكون هذه المدينة متوفرة فيها المحاكم والمحامين على أن تكون مدينة بعيدة من أمريكا ولا يسري فيها القانون الأمريكي حتى لا يجد الأسرى حقوقًا حينما تنتهك أعراضهم، لأن الأرض ليست أمريكية، تساءلت مع نفسي كثيرًا ولم أتوصل إلى إجابة.

دور المحامين لم يكن فعالًا في قضايا الأسرى كما يظن البعض بل حصلوا على منافع شخصية كثيرة تعود إليهم منها الشهرة، بسبب هؤلاء الأسرى، ومنها مقابلة رؤساء الحكومات والتعرف على الوزراء، وتكوين صداقات مع رجال الأعمال على أن مكتبه ومؤسسته مفتوحة أمامهم لاستقبالهم وأى مصالح أخرى له في أمريكا، ومنها المؤتمرات التي تجلب لهم الشهرة والظهور في القنوات الفضائية العربية، ومنها التحريض للمظاهرات السلمية لتقديم مذكرة إلى السفارة الأمريكية بشأن الإفراج عن الأسرى وهم على علم

مسبق بأن الإدارة الأمريكية لا تبالي بأحد ولن تفرج عن أسير واحد، قبل أن تحقق معه وتخرج آخر معلومة لديه، حتى إذا بلغت مدة الأسر عشرين سنة ولو اجتمعت الدول العربية بأجمعها لإطلاق سراح الأسرى، لأنهم يرونه نوعًا من الضغط والتهديد عليهم فلا يستجيبون لكبر في نفوسهم.

حقائق لا يعلمها الكثير

عزيزي القارئ سمع كثير من الناس ورأى ما يحصل في معتقل غوانتنامو بجزيرة كوبا من تعذيب وهتك للأعراض وإذلال للمسلمين، نعم حصل كل هذا وأكثر، ولكن هؤلاء الفتية الذين آمنوا بربهم لم يهنوا ولم يستكينوا ولم يضعفوا أمام عبدة الشيطان رغم ما بهم من ضغوط، فقد أظهر الأسرى لهؤلاء الحثالة عزة المسلم وإيمانه وقوته وشجاعته وأخلاقيات ومبادئ الإسلام مما أذهل الأمريكان خاصة الجنود الذين بدأوا في التعرف على هذا الدين الذى جهلوه ودخل بعضهم في دين الإسلام، ولكن الإدارة الأمريكية أحست بذلك ورأت تغير بعض الجنود، ولما كثر احتكاكهم بالأسرى أصدرت قوانين ولوائح صارمة تمنعهم من التحدث مع الأسرى إلا عن طريق الصراخ في وجههم أو إصدار أوامر لإذلالهم وإلا فلا. كانت إدارة المعسكر تجمع الجنود للتحريض على الأسرى وتحضهم على مزيد من الإذلال ويخبرونهم بأنهم أعداء لهم مجرمون قتله، سفاحون دماء ولا ينبغي معاملتهم باللين والعطف، وكانوا يعرضون عليهم مشاهدًا من برجي التجارة وهما تحترقان والجثث بين الأنقاض، وعندما يرى الجندي هذا المنظر يأتي والشرر يتطاير من عينيه ويفرغ ما به من حقد، كان هذا الأسلوب الذي اتخذته الإدارة من العوائق التي واجهتنا.

الأسرى تحملوا الكثير من استفزازات الجنود ورغم ذلك كانوا يخمدون نار الغضب الذي في صدورهم إن وجدوا الفرصة المناسبة لذلك، ويترتب عليه عقوبات شديدة من جراء فعل الأسير وكانت هذه العقوبات لا يهتم بها الأسير طالما أشفى غليله وأذهب غيظه، كان الأسرى يستخدمون عدة أساليب في إذلال إدارة المعتقل والجنود معًا وكانت أشد هذه الطرق وأقواها أكرمك الله (البول والغائط) ذلك السلاح الذي أزعج الأمريكان وفعلوا المستحيلات وسنوا قوانين ولوائح رادعة ليوقفوا تأثير هذا السلاح ولكن دون جدوى. إذن عرف الأسرى قوة وتأثير هذا السلاح وأصبحوا يستخدمونه في المشاكل الكبيرة والأمور العظام التي تحدث في المعسكر مثل إهانة القرآن الكريم وتجريد الأخ من ملابسه وشرعوا يستخدمونه في الأونة الأخيرة لأتفه الأسباب وكنا نطلق عليه "السلاح النووي".

وقد أدخل هذا السلاح الرعب في قلوب الزائرين من البيت الأبيض والضباط والجنود والمترجمين والمحامين وغيرهم. كان الأخ إذا أراد استخدام هذا السلاح يقوم بعده إجراءات وتحضيرات.

أولًا: يحدد الهدف إن كان ضابطًا أو جنديًا أو مترجمًا كان سببا في إثارة غضبنا، يطلب من الأخوة الدعاء ويضع السلاح "النووي" في كوب وقبل أن يصيب الهدف يكون قد وزع ما لديه من أغراض لجيرانه من الأسرى لأن العقوبة عليه ستكون شديدة وسوف يتم سحب كل ما لديه لمدة شهر حيث سيقضي عقوبته في الغرف الانفرادية ويعامل أسوأ معاملة في النوم على الحديد والزيادة في ارتفاع برودة جهاز التكييف وقله الطعام ورداءته.

وعندما يأتي الهدف يناديه ويتظاهر بأنه يحتاج إلى كذا وكذا والهدف أمام زنزانته يستمع إليه وبقية الأسرى ينتظرون باهتمام وهم مشدودي الأعصاب، هنا يرفع الأسير الكوب المليء ويفاجئ الهدف بسكب ما في

الكوب على وجهه وغالبًا ما يملأ فمه إن كان يتحدث، عندها يرتج العنبر بتكبيرات الأسرى والصياح والضحك والسخرية ولا يبالون أيًا كان الهدف (جنرال – جندي – مجندة – مترجم) يذهب وهو يتخبط لا يرى أمامه لأن عيونه قد امتلأت بالمادة ولا يستطيع أحد أن يلمسه ناهيك عن الاقتراب منه، وجنود العنبر يوجهوه من على بعد أن يسير يمينًا ويسارًا ويرشدوه عل هذا النحو حيث يخرج من العنبر وينقل إلى المستشفى مباشرة حتى يأخذوا عينة من هذه المادة للفحص وبعدها يذهب إلى الحمام وعلى الفور يأتي جنود من خارج العنبر حاملين السلاسل لأخذ الأسير إلى الغرف الانفرادية، تحت تكبيرات الأسرى والدعاء له بالثبات والأناشيد الحماسية، ويخرج وهو رافعًا رأسه في عزة، بعدها يأتي الجنود بالمواد المطهرة وخراطيش الماء ويشرعون في تنظيف العنبر، وبما أن الجنود جميعًا ينامون في الثكنات فالخبر ينتشر وسطهم كانتشار النار في الهشيم ويعرف الجميع بأن هذا الهدف قد أخذ نصيبه من (النووي) ويصبح أضحوكة عندهم ويصبح حديث يوم أو يومين، وبعد يومين يعود إلى العنابر ويتفق الأسرى فيما بينهم بأن يضعوا أياديهم على أنوفهم وينظرون إليه فيعيش في كآبة نفسية سيئة، وإن عاد إلى الثكنات يضحك ويسخر منه زملاءه، ويكون بين أمرين أحلاهما مرّ، وبعدها يتأدب ويبتعد عن الاستفزاز والتحرش بالإخوه وبعد شهر يخرج الأسير من الغرف الانفرادية ويعود إلى العنبر ويستقبلونه بالتهليل والتكبير وأناشيد الحماسة، أحيانًا يرجع الأسير في نفس العنبر أو عنبر آخر.

كان الجنرال ميلر ذلك اليهودي الخبيث الذي أذاق الأسرى الويل فقد أخذ نصيبه من ذلك السلاح "النووي" ومزيدًا من التفل والنخامة على وجهه، وبعدها نقل إلى العراق في معتقل أبو غريب ليذيق الأسرى

الويل هناك في حين أنه كان لا يستطيع أن يرفع عينيه هنا في غوانتنامو، فأخرج بقيه حقده في أسرى العراق.

هذا النووي .. حقيقة أدخل الرعب في قلوبهم وقلل من استفزازاتهم، فالجندي يدخل العنبر في حذر شديد والجنرال إذا جاء يأتي وهو محاط بالضباط والجنود ولا يقترب من زنزانة الأسير كثيرًا، ففي السنوات الأولى كنا نرى الكثير من الزوار من البيت الأبيض والبنتاجون والكونغرس يتجولون بين الزنازين كأنهم يتنزهون في حديقة حيوانات، ويوزعون الابتسامات الساخرة وبعد ظهور النووي.. قلت الزيارات حتى انقطعت أرجلهم عن الزيارات. كنا كثيرا ما نسمع تكبيرات وتهليلات وأناشيد في العنبر المجاور وبعده ندرك بأن أحد الضباط قد ضرب بالنووي .. لأنه أمر الجنود بإهانة كتاب الله ويكون صيدًا لأحد الأسرى و يأخذ نصيبه. أما الجنود فقد عاشوا في قلق وحيرة فهو مأمورين بتنفيذ الأوامر ولا يستطيع أحدهم أن يقول للضابط سأتعرض للنووي إذا فعلت ما طلبته مني، لأنه حينئذ سيوصف بالجبن للجنود ،كما تعلمون خاصة المارينز يظهرون قوتهم وشجاعتهم أمام زملائهم فيأتي ويتحرش ويستفز ليراه بقية الجنود وهو على وجل من عمله هذا ويخشى أن يضرب بالنووي في أي لحظة، فإن نجا في هذه اللحظة سوف لن ينجو في المرة القادمة، لذلك بعض الجنود يفعل مثل هذ التحرش أمام زملائه فإذا نجا يأتيك المرة القادمة بأسلوب جديد كله احترام وتودد ومعاملة طيبة حتى يتدخل بعض الإخوة ويقولون لزملائهم اتركوه فقد كفاكم الله شره.

كل هذا وإدارة المعسكر تفكر وتبحث عن حل ناجع لهذا البلاء الذي حل بهم، فالجنود قد اشتكوا كثيرًا ففي كل مره يصاب أحدهم بالنووي وهو أمر لا يحتمل، ففكروا في زيادة العقوبة بما فيه حلق اللحية

والشارب والرأس، وهم يعلمون تمامًا أن الأسير أكثر ما يغضبه حلق اللحية، وبالفعل قلّ الضرب بالنووي لفترة قليلة بسبب هذه العقوبة ولكن سرعان ماعاد الجنود إلى ضلالهم القديم وعاد النووي مرة أخرى، كان الجنود يهددون الأسرى بحلق لحاهم بل وصلت الوقاحة إلى الكذب على الأسير ويدعى بأنه هدد باستعمال النووي عليه، فينقل الأسير وهو مغلوب على أمره إلى الغرف المظلمة تحت تأثير البرودة القاسية وهو مظلوم، وأصبح لهم صلاحية بمعاقبة الأسير لأتفه الأسباب، وهذا زاد من استخدام الأخوة للنووي بكثرة، وبعد أن كان يستخدم مرة أو مرتين في الشهر صار يستخدم في كل أسبوع، وتجد الانفجار في أحد العنابر ومشاكل متواصلة، وفرق الشغب إما داخلة أو خارجة منه، بلغ بالجنود الخوف ذروته وانقلبت المعسكرات رأسًا على عقب وامتلأت العنابر الانفرادية بالأسرى، فالنووي مفعوله قد أثر عليهم كثيرًا وصار أمره لا يطاق. هل تصدق أيها القارئ بلغ بالجندي الأمريكي بأن يتعاون مع الأسير ويساعده باستعمال النووي! كيف؟!

من المعلوم أن الشحناء والبغضاء موجودة في كل مجتمع وخاصة بين اليهود والنصارى بنص القرآن الكريم، هذا رأيناه كثيرًا فلولا الأوامر لاقتتلوا أمامنا، فالجندي إذا كان بينه وبين جندي آخر شحناء ولم يستطع أن يضربه أو يشتمه، يلجأ إلى الأسرى ويحرضهم بأن هذا الجندي غير جيد وأنه يؤذى إخوانكم في الانفراديات وينبغي استخدام النووي ضده، وأنا مستعد للمساعدة بأن أحضر الأكواب لكم وأنا شخصيًا ستكون معاملتي جيده معكم بشرط ألا تخبروا أحدًا من الضباط وغيرهم بأني معكم، فالإخوة لا يظلمون أحدًا إن كان ذاك الجندي معاملته طيبة لا يستعمل ضده النووي،

بهذه الحيلة يستطيع أن يشفي غليله من زميله ويكون الأسير يده التي يضرب بها ولسانه الذي يشتم به.

عندما أحست إدارة المعسكر بخطورة هذا السلاح وأنه أصبح مصدر قلق للجنود والضباط وكبار الزوار، لذا لجأت إلى أساليب جديدة للحد من استخدامه وذلك بأن أعادوا صيانة عنبرين كاملين يسعان ثمانية وأربعين زنزانة، وضعوا زجاجا على الأبواب والنوافذ والجانب الأيمن والأيسر، بحيث يمكث الأسير في زنزانة من زجاج وبهذا لا يستطيع استخدام السلاح. ولهذا السبب وضعوا الزجاج على أبواب الزنازين في المعسكر السادس كما أوضحت لك سابقا. حقيقة هذه الطريقة قلصت من استخدامه ولكن الأخوه لم يتوقفوا تمامًا، لأن عنابر الزجاج عنبرين فقط من عشرين عنبرًا، فالأسرى في العشرين عنبر لم يتوقفوا، فالذي يستعمل النووي ينتقل إلى عنبر الزجاج ويقضى عقوبته ثم يخرج. لجأت إدارة المعسكر إلى حيله ثانية بأن وجهوا الجنود الخبثاء للعمل في عنابر الزجاج، وأعطت أوامر للجنود الذين يعملون في العنابر الخالية من الزجاج بعدم الاستفزاز والإهانة ولكن هذه الطريقة هي الأخرى أيضًا لم تجدي بسبب البغضاء والشحناء التي بين الجنود. جاء أحد الجنود لأخ من بلاد الحرمين (حفظه الله) في عنبر الزجاج وقال له: أريد منك أن تستعمله على أحد الجنود وأنا اعلم أن الوضع هنا صعب لذلك سوف أعطيك كوب فارغ لتجهّزه فيه وسوف أفتح لك النافذة الخاصة بالطعام بحيث لا يرى أنها مفتوحة، إذا جاء الجندي إدفع النافذة وألقي عليه ما في الكوب وبالفعل تمت العملية بنجاح وكان هذا الجندي الذي أصابه النووي مطلوبًا مبغوضًا من قبل الأخوة الأسرى، لأنه آذى الكثيرين منهم. وإذا حصلت مشكلة كبيرة في عنابر الزجاج ولم يجد الإخوه طريقة لاستخدام النووي يتفق أغلب الإخوة ويخرجون المادة عبر

فتحه الباب بعد تذويبها بالماء حتى يسهل خروجها ويملأ وسط العنبر، وتتفاجأ الإدارة والجنود ولا يستطيعون التحرك داخل العنبر، كنا نفعل ذلك لنكسر أنفتهم وكبرياءهم ويسرع الجنود في نظافة العنبر والضحكات تتعالى عليهم ونقول لهم: اغسل هنا جيدًا يا أمريكي وان كنت جائعًا فهو أفضل طعام لك ونسخر منهم، وهذا مما يملأ نفسه حنقًا وحقدًا ويتم معاقبتنا عقابًا شديدًا، فكرنا في ترك هذه الأفعال ولكن وجدنا أن الأمريكان لايتوقفون عن غيّهم إلا بالضرب، إن تركتهم لا يتركونك والأفضل أن نشغلهم حتى يخف أذاهم عنا.

أنا شخصيًا استخدمت النووي مرة واحدة فقط، وكان هذا بسبب أحد الرقباء الأميركان الخبثاء، فقد كذب على أحد الإخوه ويدعى (ماهر الفلسطيني) وقال: "إنه هدده بضربه بالنووي"، والاخ أصلًا لم يهدده ولكن الرقيب أراد معاقبته بأي طريقة وكتب التقرير بذلك ونقل الفلسطيني إلى الغرف الانفرادية للعقاب، غضب الأخوة من هذا التصرف وكانوا يخشون إذا تكلموا أو اعترضوا تكتب عنهم تقارير وينقلون إلى الانفراديات بغير سبب، وهذا الرقيب حقيقة آذى أسرى كثيرين وكانت له صلاحيات يمارسها، لأن أحد الضباط كان إما صديقه أو من ذوي قرباه، لذلك كان يستفز الإخوة، كان ضخم الجثة ومكروها بين الجنود. شاهد الإخوة أخاهم الفلسطيني في شيء من الحزن والشفقة وهو ذاهب إلى العقوبة من غير ذنب والرقيب يتجول رافعًا رأسه في تيه ومستمتعًا بنشوة النصر على هذا المسكين ولسان حاله يقول: من الذي يجرأ على تهديدي ؟ من الذى يستطيع أن يرفع عينيه علي ؟ والإخوة في هذه الأيام كانوا يريدون الهدوء ولا يريدون التحرشات والمشاكل لأن الكثير منهم كانوا يريدون أن يكملوا حفظ كتاب الله، قلت في نفسي: لابد لي أن ألقن هذا الرقيب درسًا لن

ينساه في حياته ولم أضع في حسابي عاقبة ما سأقوم به، لذا قررت استخدام النووي واستخرت الله أولًا، ثم تجهزت ولم أخبر أحدًا بذلك إلا جاري وهو من بلاد الحرمين من مدينة القصيم وسلمته الرسائل والأشياء الخاصة بي، لأنها سوف تصادر إذا ذهبت إلى الغرف الانفرادية كما أخبرت اليمني الذي كانت زنزانته تواجهني، أمرته أن يبتعد ويلف فراشه وأشياءه ويجلس في ركن قصي، كان الإخوة مشفقون علي من العقوبة الشديدة ويقولون لي لا تستعمل النووي لا يوجد (زول)[1] سوداني غيرك في هذا العنبر يخبرنا عن السودان وأنهاره ومعالمه، كانوا يحبوني في الله ويقولون لي: إن فعلت هذا ستنقل إلى مكان آخر وتغيب عنا سنينًا واحتمال لن نراك إلى الأبد إلا إذا شاء الله. هذان اثنان ممن كانا يعرفان ما أنوي فعله، فكيف سيكون الحال إن عرف بقية الإخوة البالغ عددهم ثمانية وأربعين أخًا، من أجل ذلك طلبت منهما كتم هذا السر. غاب الرقيب بعد خروج الفلسطيني مباشرة حتى يهدأ العنبر، عاد إلى العنبر مرة أخرى خوفًا من أن يتهمه زملاءه بالجبن، جاء حذرًا وهو يعلم أنه مستهدف ولكنه في نفس الوقت يساوره الشك بأن أحدًا لن يجرؤ عليه وهو ينتفخ ويقول في قرار نفسه: أنا الذي يخشاني الجنود وهؤلاء أسرى تحت رحمتي، طلبت من الإخوة ألا يسبوه حتى لا يشعروه بأنه مستهدف، طلبت منهم أن يعطوه الأمان، دخل إلى العنبر وخرج منه ثم دخل وخرج، وتيقن تمامًا بأن هؤلاء الأسرى قد خافوا وأن احدًا لن يجرأ على النيل منه. رأيته مقبلًا نحوي، طلبت من جيراني واليمني أن يأخذا حذرهما من هذا النووي الذى سيقلب الأمور رأسًا على عقب، أوقفته وقلت له: الجنود لم يأخذوا بقيه طعام الغداء، أريد منك أن تفتح نافذة الطعام، فتح النافذة ليأخذ الطعام، أعطيته وقبل أن يغلق النافذة

[1] – زول : في اللغة العربية بمعنى شخص .

قلت له عندي قوارير ماء وكان لدي منها ستة قوارير وكنت أتدرب بها كرفع الأثقال، وستة كاسات أخرى فارغة، مع الكأس المليئ بالنووي، أعطيته قارورة الماء الأولى والثانية والثالثة والرابعة وهو يستغرب، ثم أردفته بالخامسة والسادسة حتى امتلأت يداه وهو مندهش كيف تحصلت على كل هذا، ومن المعلوم أن الذي يملك أكثر من حاجته يعاقب، وأنا لم أفكر في هذه العقوبة لأن العقوبة القادمة أكبر وأشد منها بكثير، أعطيته كل هذه القوارير الفارغة وصديقي من بلاد الحرمين واليمني ينظران في حذر وترقب وبقية الإخوة يخيم عليهم القلق مما سيحدث، عندما همّ أن يغلق النافذة أخرجت الكوب المليء بالنووي وقذفته بقوة على وجهه، سال بعضها على رقبته وبعضها التصق بالسقف وظل يتساقط على رأسه، أطلق صرخة مدوية وولى هاربًا، هنا تعالت التكبيرات والضحك والسخرية على الرقيب وهو مطاطأ الرأس في حاله يرثى لها، خرج ليعمل فحوصات، ما أن خرج الرقيب حتى توافد علي الجنود يهنئوني رافعين أيديهم بعلامة النصر، منهم من أدخل يده في الزنزانة يحييني بحرارة ومنهم الذي يشير عليّ بعلامة (good)[1](OK) ومنهم من كان يتمنى أن يدخل عليّ في الزنزانة ليشكرني، كل من يمر أمامي من الجنود يبتسم في وجهي، أخبرتهم بأن يبلغوا أخوانهم الجنود بأن النووي سوف يستخدم أيضًا على الذي يكذب على الأسرى وأن يبلّغ الحاضر الغائب، كان هذا التصرف المتمثل في السعادة والفرحة للجنود مفاجأة بالنسبة لي، ويبدو أنهم كانوا أيضًا غاضبين عليه ولكنهم مغلوبون على أمرهم وخاصة وهو قائدهم. جاءت المجموعة التي سوف تأخذني إلى الغرف الانفرادية كانت معاملتهم تختلف عن المعهود من شدة في القيد وغيرها، أحسست أنهم في سعادة مما فعلته في الرقيب، عند

---

[1] – OK: الاشارة بالابهام تفيد الايجاب والقبول وهى مصطلح غير عربي .

خروجي رأيت في وجوه الإخوة الفرح والسعادة يخالطه نوع من الحزن والإشفاق لأني مفارقهم، خرجت والتكبيرات المتواصلة تهز أركان العنبر والدعوات بالثبات والحفظ تتوالى عليّ، حين وصلت البوابة الخارجية وجدت مجموعة كبيرة من الجنود يخيّم عليهم الصمت ولولا وجود المسئولين وكبار الضباط لأظهروا سعادتهم. ووجدت في الغرف الانفرادية المعاملة مختلفة تمامًا ولم أحس بأني في الغرف الانفرادية إلى أن خرجت منها والحمد لله. بعد شهر خرجت من الانفرادى وعدت إلى زنزانتي وعبارات الترحيب والثناء تنهال عليّ من كل حدب وصوب، من الإخوة والجنود، بعد أيام جاءني الرقيب وقد ارتسمت على وجهه ابتسامه عريضة وحياني، علمت من الإخوة بأنه أصبح من أفضل الجنود في معاملة الأسرى، هكذا كنا نأدبهم بالنووي ..

أما المجندات الأمريكيات فقد أخذن نصيبهن من النووي بما فيه الكفاية بسبب إغرائهن للشباب، كان بعضا منهن يخلعن السترة العسكرية وتبقى بالملابس الداخلية بحجة أنها تريد نظافة العنبر، والشباب في مرحلة حرجة من الأعمار ما بين ثمانية عشر إلى ستة وعشرون سنة، هنا يتبرع أحد ويستخير الله ويطفئ هذا النار بالنووي، يضرب به على وجه المجندة حتى ترعب ولا تحاول مرة ثانية إفساد هؤلاء الشباب، كان منهن من تخصصت في تفتيش الزنازين وأخذ الأغراض الصغيرة لكي تثبت للجنود بأنها قادرة على هؤلاء الأسرى ،كان كثير منهن يتحرشن بالأخوة في الطريق وهم ذاهبون إلى التحقيق أو العيادة، وهي إما أن تكون مأمورة وإما أن تكون خبيثة في نفسها، وكان الحل لكل هذا، إما النووي أو التفل في الوجه – أكرمك الله – .

ومن الأسلحة الفتاكة التي كان يستخدمها الأسرى التفل والنخامة حتى صار هذا السلاح من أكثر الأسلحة استخدامًا، فالجندي تتفل على وجهه يمسح النخامة من الوجه ويستمر في الاستفزاز، وما من جنرال أمريكي في غوانتنامو إلا وأخذ نصيبه من التفل إلا القليل وكذلك المحققون لأن التفل لا يحتاج إلى تحضير وكان هذا هو السلاح الوحيد الذي لم يستطيعوا أن يحدوا من خطورته، تستطيع أن تستخدمه وأنت مقيد في السلاسل أمام المحقق أو الطبيب أو المحامي، لذا لجأوا إلى وضع كمامة على أنف وفم الأسير لمدة شهر عقابًا له إذا تفل على وجه أحد من الضباط أو المحققين أو الجنود وغيرهم، ولله در الإخوة من بلاد الحرمين والإخوة اليمنيين والإخوة من بلاد المغرب العربي فقد أجبروا المجندات على احترام أنفسهن، كثير منهن يبكين بعد التعرض للنووي والتفل وإذا جاءت في المرة القادمة لا تستطيع أن ترفع عينها على الإخوة.

ومن الأسلحة الأخرى الضرب بالرأس، وكان هذا يستخدم في حالة أن يكون الأسير مقيدًا ويشرع الجندي في تفتيش جسده بخبث ويحاول أن يلمس الأماكن الحساسة، كالعورة، عندها يضرب الأسير الجندى برأسه حتى يكاد يفقده وعيه، عندئذ يجتمع عليك ثلة من جنود آخرين ويلقونك على الأرض كما يلقى الثور ويجلسون على صدرك ويوسعونك باللطّم والركل والضرب، وكان هذا أشد أنواع العقوبات على الأسير، لأن هذا العقاب كان غالبًا ما يؤدي إلى عاهات مستديمة وتشوهات وأحيانًا إلى موت الأسير بأيديهم، لذلك كانوا حريصين أشد الحرص بأن لا يكون في المعسكر أي سلاح سواء كان سلاحًا أبيضًا أو ناريًا، وكانوا يقومون بالتفتيش اليومي للزنزانات خوفًا من مثل هذه الأسلحة البيضاء مثل قطعات الحديد أو الحجارة أو أي أشياء حادة،

أخطر سلاح كان في أيدينا هي المعالق البلاستيكية التي تأتي مع الوجبات الثلاث، كانوا يأخذونها قبل الصحون البلاستيكية من شدة الخوف. وإذا حقد جندي على أحد الأسرى يقوم بوضع معلقة بلاستيكية في زنزانته ويبلغ عنه فرقة الشغب، تأتي فرقة مكافحة الشغب وتدخل على الأسير وبعد التفتيش يجدون المعلقه مخبأة في مكان ما، ينقل الأسير إلى التحقيق ويسأل: لماذا خبأت المعلقة ؟ وأي الجنود تريد أن تصيب عينه؟ مهما تحاول أن تبرئ نفسك فأنت كاذب في نظرهم، فتنقل إلى الحبس الانفرادي، أما الجندي الذي لفق إليك التهمة فهو يعتبر جنديًا مثاليا عند المسئولين وأنه من الحريصين على أمن المعسكر ولكن مثل هذ ا الجندي لا يستطيع الإفلات من عقوبة الإخوة مهما طال الزمن أو قصر، ولا بد أن يتبرع أحد الإخوة للانتقام لأخيه كالذي فعلته مع الرقيب الذي كذب على الأخ الفلسطيني.

ومن الطرق التي كنا نستخدمها هو سحب يد الجندي لكسرها، كان يحصل هذا كثيرًا إذا فعل الجنود شيئًا مع الأسير وهو في القيد، يصمد الأسير أمام ما يفعله الجندي ويضمر ذلك في نفسه حتى يدخل الزنزانة، وأثناء فك القيد يسحب السلاسل إلى الداخل بقوة، كثير من الجنود كانوا يخشون من هذا الفعل لذلك كنا نرى أيديهم ترتجف عند فك القيد، كانت نفسياتهم منهارة، كنا نهددهم بالقتل وترتعد فرائصهم خوفًا من هذا التهديد، يأتي أحدهم إليك ويقول أنا لم أفعل شيئًا لماذا تهددني بالقتل؟، يقول لك وأنت داخل الزنزانة، سبحان الله مقلب الأمور! فقد صار القوي تحت رحمة الضعيف، ويأخذ يستعطف من هو أحق بالعطف. إذا أردنا إثارة أعصابهم نقول لهم: لا تتكبر علينا وتستعرض عضلاتك فإن كنت

شجاعًا فاذهب إلى العراق وأظهر عضلاتك هناك (للزرقاوي)[1] كنا نقول هذا حتى لكبار الجنرالات وبل أشد من هذا، أمام جنودهم، أغلب الجنود كانوا يعانون من غباء مركب لا يحسنون التصرف ويقعون في أخطاء قاتله كأن يترك قفل الزنزانة مفتوحًا، حينئذ كنا نأدب الجندي بطريقة أخرى كنا نطلب المترجم ونقول له نريد أحد الضباط لنبلغه بمشكلة كبيرة في هذا العنبر، والجندى لا يعرف أن الأمر يخصه وأنه سيفتح عليه بعد قليل نار جهنم، يحضر الضابط رافعًا أنفه في كبر وخيلاء ويسأل ماذا تريد؟ يرد عليه أحد نيابة عن الآخرين ويخبره بأن هذا الجندي غبي ولا يهتم بالحراسة جيدًا ودائمًا يترك الحراسة ويجلس مع المجندات والفتيات وقفل الباب مفتوح، هنا يرتبك الضابط وتدور عينيه وينظر أولًا إلى زنزانة المتحدث ويسأل باهتمام أي الزنازين مفتوحة ؟ إذا كان الأسير المتحدث يريد إهانة الضابط يقول له: ابحث بنفسك أو أسال هذا الجندي الغبي أي الغرف تركها مفتوحة، يبحث الضابط والجنود والمترجم عن الزنزانة المفتوحة، في خوف ووجل وعندما يصابوا بالخيبة في العثور على الغرفة المفتوحة يقول الأسير المتحدث: الزنزانة رقم كذا، ويتفاجأون بذلك ولايستطيع الجندي الدفاع عن نفسه، ويعاقب عقوبة إدارية قاسية، كان يحدث مثل هذا كثيرًا، أنا شخصيا وجدت ما لا يقل عن ستة زنازين مفتوحة بداخلها الأسير في فترات مختلفة إذا كان الجندى حسن المعاملة مع الأسرى نستره وإن كان من الخبثاء نبلغ عنه الإدارة ونضحك على غبائه.

[1] – الزرقاوي: أحد قادة تنظيم القاعدة الذي أذاق القوات الأمريكية الأمرين ببلاد الرافدين .

بعض الرؤى الصادقة والكرامات

حقائق كثيرة وصفات غريبة لا أستطيع سردها لأن المقام لا يسعني، نكتفي بهذا القدر، فالإخوة رغم الأسر وألوان العذاب وصنوف الإهانات ضربوا أروع الأمثال لعزة المسلم، كنا نستشعر معيّه الله وعظمته ونعمته ورحمته ولطفه بنا خاصة بعد أن صرح رئيسهم الأحمق (بوش الصغير) حين قال: " إن رحمهم ربهم لن أرحمهم"، وذلك عند أول دخولنا لمعتقل غوانتنامو، أبى الله سبحانه وتعالى إلا أن ينزّل علينا رحمته ولطفه نرى أساليبهم في التعذيب، كانت تنزل علينا بردًا وسلامًا، وهم يرون أنها لا توجد مثلها، وكان من نعم الله علينا الرؤى الصادقة التي كنا نراها في المنام خاصة الحبيب (المصطفى ﷺ) ، كان يأتي في المنام ويصبّر الإخوة ويحثّهم على الثبات وكثير منهم من كان يرى سيدنا موسى عليه السلام وسيدنا عيسى عليه السلام، ومنهم من كان يرى الصحابة رضوان الله عليهم، ومنهم من رأى نفسه يخرج من هذا المعتقل ويقتل ومنهم من كان يرى انهيار أمريكا وإليك طرفًا من هذه الرؤى الصادقة.

رأى أحد الإخوة في منامه سفينة ضخمة في عرض البحر تغرق وتحيط بها عدة سفن صغيرة، إما أنها كانت تأخذ منها أشياء قبل أن تغرق وإما أنها كانت تمد لها يد العون حتى لا تغرق، أوّلها أحد الإخوة وقال: (إن السفينة الضخمة هي أمريكا وغرقها هو انهيارها وأما السفن الصغيرة هي الدول الموالية لها حين أحست بانهيارها، شرعت تسحب مصالحها منها أو

أخذت تمدّها بالعون لإنقاذها حتى لا تفقدها وتفقد مصالحها، ولكن لم يفلحوا في محاولتهم لإنقاذ ما يمكن إنقاذه) .

أما الرؤية الثانية.. فقد رآها أحد الإخوة البوسنيين من أصل جزائري، كان هذا الأخ من أكثر الناس رؤية للنبي (ﷺ) ، لا يمر شهر إلا ويرى النبي ﷺ، قبل خروجي بسنة قابلناه أنا وسامي الحاج مصور قناة الجزيرة في الساحة الرياضية، سألناه عن آخر الرؤى فقال: رأيت رؤية عجيبة ثم سأل: هل لديكم كاتب روائي سوداني إسمه الطيب صالح، قلنا له: نعم، قال:رأيت الرسول ﷺ يقف فوق قبر من القبور ويمسك بمعول. قلت له يا رسول الله ماذا تريد أن تفعل بهذا المعول؟ قال: أريد ان أعيد دفن والدة الطيب صالح وصرت أساعده في ذلك, انتهى) . الرؤية تحتمل النقص لأن الزمن طال ولا أدري إن كانت الرؤية خاصة بأسرة الكاتب الطيب صالح أم يرمز بها إلى السودان، نسأل الله أن يهدى عباده للحق، أما الرؤية الثالثة:

فهي خاصة بي وقد رآها أحد الأخوة المغاربة (سعيد بوجعدية) قبل خروجي من الأسر بشهر وكانت بشارة بخروجي، قال لي: يازول رأيتك في رؤية مبشرة قلت: له خيرًا إن شاء الله، قال بينما أنا جالس في زنزانتي وأنت معي في الزنزانة، دخل علينا رئيس السودان عمر البشير ومعه اثنان من الحراس وسألني: أين وليد السوداني؟ قلت له: ها هو معي بالداخل ماذا تريد منه ؟ قال جئت لآخذه معي، قال المغربي: خرجت أنت يا وليد وسلمت عليه ثم قلت للرئيس أريد أن أذهب معكم إلى السودان، فقال الرئيس: مرحبًا بك ولكن هذه الأيام الحرارة مرتفعة عندنا في السودان، انتظر حتى يبرد الجو). انتهى.

ولم تمر أيام وجاء الوفد الحكومي السوداني وتم فك أسرنا بعدها بأيام قليلة أنا وسامي الحاج (مصور قناة الجزيرة) وأمير يعقوب والمغربي

نفسه نزلنا بمطار الخرطوم. الرؤى كثيرة جدًا وإن وجدت فرصه سوف أجمعها من أصحابها وأجعل لها كتابًا باسم (رؤى غوانتنامو). وأنشرها إن شاء الله.

والكرامات التي حصلت للإخوة من غيري والرؤى كثيرة وأروي لك بعضا منها، منها أخ في الغرفه الانفرادية بلغ به الجوع مبلغًا عظيمًا علاوة على المعاملة القاسية وبرنامج التجويع المطبق عليه، دعا هذا الأخ وتمنى من الله تعالى أن يرزقه أشهى أنواع الطعام وفي لحظات فتح الحارس نافذة الزنزانة وناوله الطعام، ومنها أن أحد الإخوة رأى في منتصف الليل من النافذة عمودًا من نور نازلًا من السماء في أحد الزنازين وعمل جاهدًا لمعرفة زنزانة من كان ولكنه لم يفلح، ومنها ما رواه لي ياسر الزهراني الذي كتبت عنه في وسط الكتاب قال لي: كنت مضربًا عن الطعام ورفضت أخذ أنبوبة التغذية، جاءت فرقة الشغب ووقفوا أمام زنزانتي لغرز الأنبوب بالقوة، هنا دعوت الله وقلت: اللهم اكفني شرهم بما شيءت، رجعوا ولا أدري لما ذهبوا ؟ وبعد قليل جاء الضابط وتكلم معي لكي آخذ الأنبوب، رفضت، خرج وجاء بفرقة الشغب مرة أخرى، دعوت الله قائلًا اللهم اكفني شرهم بما شيءت، فلم يستطيعوا الدخول عليّ، وهكذا استمرت هذه الحالة إلى زمن طويل، أدعو الله تعالى ويرجعوا صاغرين خائبين، وأخيرًا وجدوا أن الأمر لا يحتمل وقال: يجب أن يأكل الأسير فهو لم يأخذ الأنبوب منذ أيام، يقول الأخ ياسر الزهراني: دخلوا علي برفق ولين ومعاملة حسنة ووضعوا الأنبوب.

هكذا عشنا حياة قاسية كلها معاناة وتعب في سبيل عزة الإسلام والمسلمين لا نبغي من وراء ذلك سمعة ولا رياء، إنما جعلناها خالصة لوجه الله تعالى فكان قدوتنا ورائدنا في كل أقوالنا وأفعالنا الحبيب المصطفى ﷺ

وأصحابه الغر المحجلين الذين حملوا راية الإسلام وقدموا أنفسهم فداء وتضحية في سبيل نشره في أرجاء المعمورة، فما عانيناه في سبيل الإسلام لا يساوي شيئًا أمام ما عانوه وما ذاقوه من ألوان العذاب، فطوبى لهم وحسن مآب وأسال الله تعالى أن يتقبل عملنا هذا ويجعله في ميزان حسناتنا يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

الفصل السادس

الخاتمة

تلك كانت تجربتي مع الأمريكان ومن حالفهم منذ أن وطأت قدماي أرض الجهاد والصمود أفغانستان ومن بعدها غياهب معتقل غوانتنامو سيئ الذكر وقد خلصت من هذه التجربة إلى عدة حقائق منها:

* إن الهجمة التي قادتها أمريكا ومن حالفها ضد ما يسمى محاربة الإرهاب في شتى بقاع العالم الإسلامى والعربى وخاصة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001م ما هي إلا ذريعة لاستهداف العالم الإسلامي والعربي وكسر شوكته حتى لا تقوم لها قائمة، هذه القوة التي يعملون لها ألف حساب.

* إن أمريكا ومن حالفها لا تسعى إلا لتحقيق مآربها على حساب الأنظمة العربية والإسلامية الضعيفة وذلك ببسط سيطرتها على موارد هذه البلاد وبناء قواعد لحماية مناطق نفوذها الحيوية والعسكرية والإستراتيجية والاقتصادية ولعمري إن هذا لإستعمار اقتصادي جديد من نوعه.

* إن أمريكا ومن حالفها تسعى بشتى الوسائل إلى تنصيب حكومات ضعيفه موالية لها، تحركها كقطع الشطرنج تلبي لها رغباتها وتنفذ لها أجندتها الخفية.

* تسعى إلى نشر ثقافاتها الفاسدة عبر وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة لصرف أنظار الشباب المسلم عن الجهاد وإلهائه عن التمسك بدينه الحنيف وإنها والله لأخطر أنواع الإستعمار، هذا الغزو الثقافي والاستلاب الفكري، فالأمة الإسلامية مستهدفة بواسطة هذه القنوات الفضائية والمواقع الإباحية في الإنترنت والتي باتت تدخل بيوت المسلمين من غير استئذان، أي مصيبة هذه التي حلت بهذه الأمة المغلوب على أمرها!

* إن أمريكا ومن حالفها وصلت بهم الجرأة أن تفرض على بعض الأنظمة العربية والإسلامية الموالية لها بحذف الآيات التي تدعوا إلى الجهاد وكذلك الآيات التي تكشف جرائم بني إسرائيل وتاريخهم الأسود ضد أبنائهم وضد الإنسانية وتجبرها على تغيير هذه المناهج بمناهج أخرى تستجيب لرغبتها.

* شعار حقوق الإنسان والحرية وحماية القانون الدولي الذي تدعيه أمريكا ومن عاونها بأنها حامية له تتخذها كذريعة لإضعاف الأمة الإسلامية والنيل من سيادتها وعزتها ولكن للأسف هذه الشعارات أبعد ما تكون في قاموسهم القانوني والسياسي، وما ذقناه في قاعدة قندهار ومعتقل غوانتنامو لهو دليل كافٍ بأنها في وادٍ وهذه الشعارات في وادٍ آخر. فلا يغتر أحد بهذه الشعارات البراقة الجوفاء التي تتستر خلفها أمريكا وغيرها وتمرر من خلالها سياستها الدنيئة على العالم الإسلامي والعربي.

* إن إمبراطورية هذا الزمان (أمريكا) قد دنت نهايتها وسيكون مصيرها مصير من سبقتها من الإمبراطوريات القديمة كالروم والفرس والأقوام السابقة التي طغت وبغت وملأت الأرض فسادًا فأخذها الله أخذ عزيز مقتدر.

لكل شيء إذا ما تم نقصان　　　فلا يغرّ بطيب العيش إنسان

هي الأمور كما شاهدتها دول   من سـره زمن ساءته أزمان

* فهذه الأزمة المالية التي تضرب العالم بأسره وفي مقدمتها أمريكا ما هي إلا أولى مراحل الانهيار الكبير، وقد يأتي الخطر من مكمنه كما يقول المثل ... فأمريكا ستدمر نفسها بنفسها وذلك بسبب سياستها الرعناء وعجرفتها الزائفة.

في الختام أقول لن ينصلح أمر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ولن نصل إلى العزة والمنعة إلا بتحرير كل شبر من الأراضي الإسلامية والعربية، من هؤلاء الأنجاس والرجوع بالإسلام إلى سابق عهده ومنبعه الصافي وتطهير أنفسنا من كل مظاهر الفساد الذي استشرى في مفاصل مجتمعنا عبر وسائل الإعلام وغيرها. ولن تستكمل الأمة الإسلامية والعربية فضائلها وقيمها الروحية ومبادئها النبيلة إلا بالتربية الدينية الصحيحة.

يطّلع بها الآباء والمعلمون والدعاة والأئمة فالرسول ﷺ يقول: "كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته.." ولن تصل الأمة إلى مجدها وعزتها إلا بتوحيد بنيها واستغلال مواردها الذاتية لخدمة مصالحها.

تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسرا   وإذا افترقن تكسرت آحادا

تعلمون أن هناك مسلمون زجّ بهم في غياهب المعتقلات والسجون السرية في أنحاء مختلفة، سجنوا زورًا وبهتانًا ليس لشيء إلا لأنهم قالوا: ربنا الله، ونحن وإن لم نستطع نصرهم بالسلاح المادي فعلينا أن ننصرهم بالسلاح المعنوي، أي سلاح الدعاء والتضرع إلى الله تعالى بأن يفك أسرهم

ويحفظهـم مـن كـل سـوء ويعيـدهم إلى أوطـانهم سـالمين غـانمين، إنـه ولي ذلـك والقادر عليه.

وآخـــر دعـــوانا ان الحمـــد لله رب العـــالمين والحمـــد لله الـــذي بنعمتـــه تـــتم الصالحات.

الأشعار

قصيدة الأسير

للداعية: إبراهيم الربيش (رحمه الله) .. معتقل سابق بغونتنامو (كتبها داخل المعتقل)

قـــالوا أســـيرٌ قـــد بَـــراهُ أُســـارهُ   في ســـــجنه وهمومـــــه أســـــرارُ

ويـــرى الســـماء بهـــا مـــلاذَ همومـــه   ونجومهـــــا أحبابـــــه السُـــــمّارُ

"الجَـــدي" صـــاحبه، "سُـــهيلُ" أنيســـه   في ليلــــه، وحـــــديثهم أســـــرارُ

في ليلــــة بالصـــمت طـــاب حـــديثها   سمـــرٌ عجيـــب بالســـكوت يُـــدارُ

قـــالوا أســـيرٌ في الســـجون مغيَّـــبٌ   وســـط الغياهـــب والأنـــيس جـــدارُ

يبقـــى وحيـــدًا أو يعـــيش معـــذبًا   يلقـــى المواجـــع مـــا لديـــه جـــوارُ

الســـجن ليـــلٌ بالمواجـــع سَـــرمدٌ   وخروجـــــه إن أخرجـــــوه نهـــــارُ

نـــور الســـجون بهـــا ظـــلامٌ دامـــسٌ   والكـــون فجـــرٌ بالظـــلام منـــارُ

قـــالوا أســـيرٌ بالهمـــوم مقيـــدٌ   وعليـــه مـــن نســـج الهمـــوم شِـــعارُ

وضـــجيعه عنـــد الرقـــاد همومـــه   وعليـــه منهـــا في الفـــراش دِثارُ

قـــالوا أســـيرٌ بالقيـــود مكبـــلٌ أو مـــن قيـــود الظـــالمين فـــرارُ

القيـــــد أثقلـــــه وآلم رجلــــــه وبســـــاقِهِ مـــــن قيـــــده آثارُ

وبخصـــره مثـــل الحـــزام سلاســـلٌ ومـــن القيـــود بمعصـــميه ســـوارُ

الســجن كهــفٌ مظلــمٌ بــل مــوحشٌ فيـــه الأفـــاعي والعقـــارب جـــارُ

هاتيـــك تلدغـــه وتلـــك تخيفـــه وعليـــه يضـــرب كـــالجيوش حصـــارُ

وتغـــرُّه الأخـــرى بملمـــس جلـــدها وبنابهـــا الأهـــوال والأخطـــارُ

الســـجن غـــابٌ والســـجين غزالـــة والـــذئب فيهـــا الصـــائد الغـــدارُ

مــن قــد رأى ذئبًــا يصــون مــودةً أم هــل يُصــان لــدى الــذئاب جــوارُ؟

الـــذئب لـــؤم والخيانـــة أمـــه والغـــدر فيـــه ومـــا عليـــه غبـــارُ

الســـجن ميـــدان وفيـــه غَضـــنفرٌ وعليـــه مـــن أثـــر القيـــود صَـــغارُ

أســـدٌ يُقـــاد إلى اللقـــاء بســـاحة القـــطُّ فيهـــا الســـيد المغـــوارُ

القـــطُّ نســـرٌ والهِزبـــر حمامـــةٌ والسِّـــر قيـــدٌ إنهـــا الأقـــدارُ

الســجن ســوقٌ والســعادة بائــعٌ ومــن التعاســة قــد أتــى السمســارُ

السّـــعدُ أفلـــسَ والشـــقاوة تشـــترى	والبيـــع غـــشٌ باللئـــام مـــدارُ
قـــالوا أســـيرٌ يا لســـوء مصـــيره	ومـــن التعاســـة عنـــده أخبـــارُ
فـــأجبتهم كفّـــوا الملامـــة وَيْحكـــم	فـــأنا الأســـير ومـــا بأســـري عـــارُ
وأنا الســـجين وفي الســـجون ســـعادتي	ولـــدي مـــن شـــرف الســـجون شـــعارُ
أنا إن أُســـرت أنا الهِزَبـــر شـــجاعةً	بمكيـــدةٍ قـــد صـــاده غـــدارُ
ولـــئن أُســـرت أنا المهنّـــد مُغمـــدٌ	ولـــدى اللقـــاء يســـلُّه الكـــرارُ
الســـجن أُنســـي بـــل أمـــين ســـريرتي	ولـــدي منـــه وعنـــده أســـرارُ
نقضـــي الليـــالي والجـــدار مـــؤانسٌ	ومـــع السلاســـل قـــد يطيـــب حـــوارُ
صـــوت السلاســـل نغمـــةٌ محبوبـــةٌ	لمســـامعي وكأنـــه قيثـــارُ
الســـجن وادٍ والســـيول تُصـــيبه	ولـــنحن في صـــحرائه أشـــجارُ
ســـيلٌ مـــن الرحمـــات يأتي صـــيبًا	هـــل يمنـــع الســـيل العظـــيم حصـــارُ؟
كـــلا ولـــن تلقـــاه ألـــف قذيفـــةٍ	أو ألـــف جـــيشٍ للقـــاء جـــرارُ

السجن دربٌ بالمخاطر حافلٌ | ولدى الجنان سينتهي المشوارُ
ولدى الجنان رضى الإله مرادنا | وبها النبي مع الصحابة جارُ
السجن أُنس بالكتاب وآيه | وظلامه بهدى الإله منارُ
يامن رأى بالسجن طِيب حياته | والأُنس فيه كذلك الأنوارُ
لبس السعادة فيه أجمل حُلّةٍ | ومن الحدائق عنده أزهارُ
حدِّث فديتُك عن نعائم ربنا | وإذا خلوت فما هي الأخبارُ
وليعلم الداني وقاصي قومنا | والأبعدون بِحيّنا والجارُ
الصالحون من الخلائق كلها | والطالحون كذلك الأشرارُ
وعجائزٌ في الليل طال بكاؤها | عند الدعاء وبعدهن صغارُ
ولتعلم الدنيا بكل عبيدها | أن الإله بحفظه قهارُ
ساق الرحائم للعباد عظيمةً | وعدو ربي دربها المسيارُ
وعلى يديه تُساق نعما ربنا | وترى العدو لردها يحتارُ
وتراه يَجهد كي يَسوق أذيةً | بمكيدةٍ ويُعينه مكارُ

لكنـــــه يبقـــى أمامــــك عــــاجزًا ... قــد ســاق لكــن حالــت الأقــدارُ

واعجـــب لســـجانٍ عبـــوسٌ وجهـــه ... وفـــؤاده قِــــدرٌ عليـــه النـــارُ

وســـجينه شـــرب الســـعادة عذبـــةً ... ومـــن الســـعادة عنـــده أســـرارُ

يُبـــدي الســـعادة في الشـــدائد والرخــا ... وكأنـــه شـــجرٌ عليـــه ثمـــارُ!

فاســعد بســجنك مــا بقيــت موحــدًا ... تمُســـي وتُصـــبح، ربــك الجبــارُ

لســتَ الأســير فأنــت مصــدر عــزةٍ ... للعـــزة العظمـــى بقلبـــك دارُ

مـــا الأســـر إلا أن تَهـــيم بغـــادةٍ ... حســـناء تنثـــر حولهـــا الأزهـــارُ

مـــا الأســـر إلا أن تُقـــيم بحانـــةٍ ... وجليســـك العربيـــد والفجـــارُ

مـــا الأســـر إلا أن تُجـــالس مطـــربًا ... دَنِسًـــا ليشـــجي سمعـــك المزمـــارُ

مـــا الأســـر إلا أن تعـــيش معـــذبًا ... كــي لا يفـــارق جيبـــك الـــدولارُ

مـــا الأســـر إلا أن تلاحـــق شـــهوةً ... هانـــت عليـــك لأجلهـــا الأســـفارُ

مـــا الأســـر إلا أن تُطيـــق معيشـــةً ... بالـــذّل عـــاثَ بأرضـــها الكفـــارُ

أرض الشّمال

للشاعر: صلاح البحريني – كتبها في سجن غونتنامو حينما سمع قصة الإخوة الأربعون الذين قتلوا وهم في الصلاة، وهولاء هم الذين رآهم عبدالله المكي في (الرؤيا) وإليك بعض أسمائهم.

أرى بوسـط فيـافي الأسـر إذا شـجر   أوراقهـا سـقطت فعلتهـا أغصـان

مضيت أمشي على الحصباء في مهل   أدنو وأدنو وجوف اللب حيران

وجدت نقشا ببطن الجزع قد نقش   أرض الشمال أبعد الغدر خذلان؟

سمعت صوتا من الأغصان هاتفني   أسد الشمال هنا بالأمس قد كانوا

فرحت أقلب في أوراقها فإذا   لكل واحدة إسم له شأن

رفعت واحدة نادت تخاطبني   (عبد السلام) فداك اليوم عينان

رفعت أخرى فنادت لي (أبا بكر)   فتى أسيفا إذا ما يتلى قرآن

رفعت أخرى مقيم الليل مبتهل   أبا (الفداء) ودمع العين بركان

رفعت أخرى رفيق القلب خادمهم   بفقد (حمزة) كم قاسوا وكم عانوا

رفعت أخرى مدير الحرب قسورة | تبكيك يا (عمر) في البحر حيتان

إذا تبدت جموع الكفر مقبلة | تردها بحمى (القيسي) نيران

ويحكم القطع في أشلائها (حسن) | رميا وقنصا فما للعيش إمكان

وفيهمو (عمر) شق الوغى غضبا | ذاك الحبيب سقاني الهم أحزان

وتقدم الأخرى في أثواب محنتها | ترثي (زهيرا) ولن ينساه فرسان

رفعت أخرى فإذا بالليل يحدقها | ونور (حفص) وقد ضمته أشجان

رفعت أخرى فإذا بالدمع يغلبها | بصنع (صعصاع) لم تأتي فتيان

رفعت أخرى فنادت لي (عبد الملك) | كذا (زيد) فهل للحزن ميزان

و(عز الدين) و(خلاد) كذاك (جنيد) | وما أطاقت بقاء الروح أبدان

و(مصعب) وكذلك الليث (عزام) | وإن (حيدرة) للكفر طوفان

(أبو تراب) بقاع الأرض تفقده | و(ابن العلي) يليه الفوز عثمان

وجدت واحدة بالدمع شاهقة | (أبا مُحَمَّد) الليث الذي خانوا

بأهـــل غـــدر ولكـــن نال مطلبـــه فما استطاعت بقاء وذاك القلب ولهان

طفقـــت ســـعيا إلى الأوراق أجمعهـــا جمعتهـــا فبـــدت بالجمـــع كثبـــان

تأتي رياح إلى العليـــــــاء ترفعهـــــــا نحـــو الســـماء حامـــت فيـــه عقبـــان

تـــداخلت قبـــدت بالأفـــق ماثلـــة كقلعـــة نطقـــت والكـــرب ألـــوان

يا قلعـــة الجنـــك فيـــك الأســـد قاطبـــة ومـــا اســـتكانوا لطغيـــان ومـــا لانـــوا

هبوا لعزّ وقضّ الـــــــذلّ مضجعهم قبـــل الجهـــاد ومـــا بالـــدار ســـلوان

منـــارة العـــز أبـــدت نورهـــا فمضـــوا إلى العليـــاء وشـــخص المـــوت ربان

بخيط غـــــــــــــــدر خيطت مؤامرة فهل تليق بجســـم الأســـــــــــد قمصـــان

أسد وأي أســـــــــود لأرض تلحقهم بعد الذي بذلوا والنفس غربـــــــــــان

إلى أسير غونتنامو

شعر: د. مُحَمَّد الحسن مختار بلال

الـــدهر ذو غـــير أحوالـــه عجـــب   يومـا يعينـك يومـا عنـك ينقلـب

لا تـــركنن لـــه واحـــذر تقلبـــه كـــم   سـر قومـا وكـم أبكـى ومـا انتبهـوا

إني لأنظـــر في الآفـــاق مـــن زمـــن   طـال انتظـاري ولا أخبـار ترتقـب

جـافي عيـوني الكـرى مـذ جـاءني خـبر   لاهـم بارحـني لا هـزني طـرب

لي صـاحب كنـت في البأسـاء أحسـبه   مـن أحسـن النـاس خلقـا زانـه أدب

لكـــن يـــد الأقـــدار تأخـــذه   في قلعـة حفهـا الحـراس والحجـب

قيـل أرسـلوه لي أرض سـاء مسـكنها   خلـف البحـار سـجينا مـا لـه سـبب

ســـجن تناهـــت إلى الأسمـــاع سمعتـــه   أرض الفسـاد وفي سـاحاته العجـب

فســـق وذل وتعـــذيب بـــه اجتمعـــت   بـئس المكـان جحـيم نبتـه خـرب

طال النـوى وحبـال الوصـل قـد صـرمت   عـزّ اللقـاء وشـت البـين والحقـب

منـذ فـارق الأهـل والأحبـاب في سـفر   أمسـى المكـان جـديبا مـا بـه عشـب

ظلــت مرابعنــا مــذ غــاب صــاحبنا ... جـرداء قـد بارحـت أرجاءهـا السـحب

كيـــف الوصـــال ولا خـــل يؤانســـه ... في أرض موحشـــة لا أنـــيس يقـــترب

مـــن ذا يعـــين خلـــيلا خانـــه جلـــد؟ ... مـن يسـتجيب لصـوت هـدّه التعـب؟

ليـــت المكـــان الـــذي واراك جانبـــه ... أن يبقـــى لي نـــزلا أختـــار أنتســـب

يا نورســـا حـــط في الشـــطئان مكوبـــه ... إني انتظـــرك مـــن الـــدمع ينســـكب

إني لأســـــأل عـــــن حالـــــه أثـــــر؟ ... علـي وأخفـف مـا في القلـب يضـطرب

ناشـــــتك الله يمـــــم أرض صـــــاحبنا ... عجّـل –فـديتك– شـوقي إنمـا لهـب

خـــبر (وليـــدا) فـــإني عنـــه منشـــغل ... إن مسـه نصـب قـد مسـني النصـب

إن الفرنجـــــة قـــــد ذلـــــوا محارمنـــــا ... واسـترهبوا النـاس للثـروات قـد نهبـوا

مـــا أن يحســـوا بأرض أنجبـــت بطـــلا ... إلا وشـــدوا خيـــولا نحوهـــا ركبـــوا

مـــا يســـمعون بقطـــر عـــاب شـــرعتهم ... إلا وحـــاق بـــه التنكيـــل والرعـــب

مـــا أن تحـــل خطـــوب حـــول ســـاحتهم ... قـــالوا مصـــائبنا الإســـلام والعـــرب

كـــم حـــاولوا عبثـــا تشـــويه شـــرعتنا والحـــق يشـــهد والتـــاريخ والكتـــب

أيـــن المواثيـــق والأعـــراض تنتهـــك؟ أيـــن المنـــابر والأشـــعار والخطـــب؟!

إفكـــا لقـــد زعمـــوا الإســـلام ذا خطـــر هـــذا هـــراء لعمـــري إنـــه كـــذب

حسبي البـــــــلاء وحسبي أنه قـــــدر إنا إذا قـــدر قـــد حـــلّ نحتســـب

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم

* عـودة إلى السـؤال: لمـاذ يكرهوننـا ؟ مقـال منشـور في جريـدة آخـر لحظـة للكاتب الصحفي تركي صقر بتاريخ 2008/12/2م العدد (838).

* غوانتنـامو المعتقـل الرهيـب – سـامي الدهشـان وأمـيرة فكـري ط1 2006م، دار الأحمدي للنشر.

*كيـف يـتم التعامـل مـع الأسـرى مـن قنـدرهار إلى مطـار غوانتنـامو، أبـو لجـين إبراهيم.
Abulojin @hotmail.com

